بغداد قبل ثمانين عاماً

الشيخ جلال الحنفي البغدادي (رحمه الله تعالى)
بغداد - العراق

قبل ثمانين عاما كنت طالبا في كتّاب الملا إبراهيم الذي كان يقع في مسجد خرب تهدم حرمه وأهملت الصلاة فيه، وكان في هذا المسجد بالذات قبر الإمام المجتهد المعروف أحمد ابن حنبل (ت ٢٤١هـ) (رحمه الله تعالى) على ما تتصوره رخامة بنيت على ضريحه في غرفة مستقلة، وكنا نجلس على مقاعد خشبية خلافا لبعض الكتاتيب التي كان يجلس طلابها على حصير يكون على الأرض مما يقال لها جوازر البصرة ككتّاب الملا داوود في مسجد أسطة كرز بالعمّار إحدى محلات بغداد وغيره.. وكانت الكتاتيب كثيرة في بغداد منها كتّاب (لالا عيس*) بجامع حسين باشا وكتاب (لالا هراتي) في مسجد الطيار في محلة عباس أفندي، وكتّاب الملاّ عليوي في محلة قمر الدين، وكتّاب (لالا جليل) في مسجد عثمان أفندي، وكان الطالب لا يقال له: طالب إنما يقال له: صانع ولمعلمه ملاّ أو لالا وللطالبة صانعة ولمعلمتها مليّة أو إستة لأنها تعلمها الخياطة كذلك، وكتاتيب البنات هذه تعقد في البيوت..

ومن تقاليد الكتاتيب أن الطالب إذا وصل في القراءة إلى سورة (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكّين حتى تأتيهم البينة) كان عليه أن يبعث إلى الملاّ بصحن من الحلوى مع شيء من النقود ولذا قالوا (لم يكن حلوى بَگَنْ. شاهيتي لملّتي. شدة ورد لخلفتي. شدة عصي للصنّاع) أي الطلاب..

* أصل اسمه عيسى

ولدى الملاّ فلقة وهي مؤلفة من عيدان وحبال تشد على قدَمَي الطالب الصغير يرفعها من طرفيها طالبان فينهال عليه الملاّ بعصا من الخيزران.. وكان يصل إلى الكتّاب كل يوم رجل يحمل چمبرا طويلا على رأسه وهو ممتلئ بأنواع من الحلويات التي يقال لها يومذاك شكرات ومنها العنبرلي والگرگري والسمسمية والمصاصات وما يسمى باللذيذة وأصابع العروس وچعب الغزال ليبيعه الملاّ على الطلاب..

وكان الطالب إذا وصل إلى قوله تعالى:

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾

(البقرة:٧) قفز إليه زملاؤه يخطفون طاقيته ليذهبوا بها إلى أهله يبشرونهم بأن ابنهم ختم ليحصلوا بذلك على الحلوالغ أي الإكرامية.. وكانت تقام حفلة ختمة للطالب الخاتم إذ كان يلبس ملابس جديدة ثم يخرج من الكتّاب مع زملائه في صف شبه طويل اثنين اثنين ويتقدم الخاتم وأمامه طالب يقرأ نشيداً خاصاً يرد على كل فقرة من قراءته جماعة الطلاب بلفظة آمين ومن بعض ألفاظه :-

الحمد لله الذي تحمـّدا آمين

حمدا كثيرا ليس يحصى عددا آمين

كلّم موسى واصطفى محمدا آمين

حتى إذا وصلوا إلى بيت الخاتم أطعموا يومهم ذاك بطعام يختاره لهم أهل الصبي..

واليوم لا كتاتيب ولا فلقة ولا ختمة ولا شكرات من النوع الذي كان شائعا يوم ذاك. وهو والله خير من حلويات هذه الأيام شكلا وطعماً. وقد كنتُ مررت أيام الصغر من محلة قنبر علي فشاهدت تلك المعامل التي تصنع الشكرات التي لا وجود لها اليوم.. وكان دوام الطلاب في الكتاتيب يبدأ من الصباح الباكر ويستمر إلى غروب الشمس على أن يذهب الطالب إلى بيته لتناول طعام الغداء ويعود بقيادة الملاّ أو الخلفة - وهو وكيله - وكنا إذا أوشكت الشمس أن تغرب أنشدنا نشيداً خاصا لترقيق قلب الملاّ ليطلق سراحنا فنذهب إلى بيوتنا:- ياخوجتنا صرفينا راح الوكت علينا

وشموسنا غابت وأرواحنا ذابت

وكان للملاّ ختم من حديد يختم به على أفخاذ الطلاب عصر يوم الخميس مستعملا في ذاك نوعا من الحبر وذلك كيلا يذهبوا يوم الجمعة إلى النهر للسباحة فيه ويفتشهم يوم السبت فإذا رأى الختم باقياً على حاله تركهم وحالهم وإذا رآه ممسوحا فلقهم. وكان أهل كل صبي يقولون للملاّ عند إيداعهم طفلهم إلى المُكَتِّب يقولون للملاّ (إلك اللحم وإلنا العظم) يأذنون له أن يقسوا في تأديب ابنهم دون أن يحدث له عاهة دائمة..

وكان خبثاء الطلاب يتظاهرون بالقراءة إلا أنهم يلفظون ألفاظاً هزلية إذ يقولون (الحمد اشعندو كباية محشاية مغطاية بالعباية اجه الديج نگرة اجه الواوي أكلهَ)..

وكانت القراءة إما بالتهيج وإما بالروان. والتهيج هو: التهجي وكنا نستعمل الزبر والزير والبيش ونقول (ألف، لام، زبر، ال، ح، ميم، زبر، حم، الحم، والـبيش، دو، الحمدو) ولا نعرف الفتحة والكسرة والضمة التي بدأ باستعمالها في الثلاثينات الملاّ توفيق المستنطق الذي كان مكتب طلابه في مدرسة السليمانية ببغداد.. وكنا نقول (ألف تز بر أن.ألف تو زير إن.ألف تو بيش) يعني ألف مع فتحتين وألف مع كسرتين وألف مع ضمتين. وإن الزبر يعني الفتحة والزير يعني الكسرة والبيش يعني الضمة. وجمع الزبر زبرات وفي بعض الألغاز (سبع زبرات مزبّرات بين عم والنازعات) يعنون هذا اللغز قوله تعالى:

﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾

بغداد قبل ثمانين عاما

وبظهور المدارس الابتدائية وانتشارها ألغي هذا المصطلح الأعجمي، وكانت الحكومة قد اعترفت بالكتاتيب وعيّنت لها مفتشين حتى زالت ما قبل الأربعين. ورغم أن الكتّاب كان يقال له (مكتب) فإنهم لم يكونوا يقولوا لطالبه فيه (مكتبلي) وانما كانوا يقولون (مكتبلي) لطلاب الابتدائية وجمعه (مكتبلية)..

قبل الكلام على نظام الحياة في بيوت السكان وطرقاتهم ومساجدهم وأسواقهم وسائر تجمعاتهم نشير إلى عادات كانت راسخة ثابتة وأوضاع كانت قائمة. وذلك أن القادم إلى منطقة المصبغة. وهي في نهاية شارع السموأل يسمى شارع زيد بن ثابت. يرى البواخر النهرية قائمة في دجلة تنقل الركاب والأمتعة إلى البصرة والمدن التي تقع على خط النهر. ولا مركب الآن في دجلة ولا باخرة.. وكانت اللقالق ليالي الصيف تلقلق وتصوت في أعشاشها التي تبنيها فوق المباني العالية وقباب المساجد والكنائس. وهي أعشاش عالية منها الآن واحد في مدخل القشلة حيث كان يقيم والي بغداد..

كان الجسر العتيق مؤلفا من ركائز خشبية تتوم على عدد من القوارب تسمى الجساريات. وكانت ترتبط بالحبال التي تنتطع بفعل الرياح الشديدة بحيث يفارق الجسر مكانه. فتذهب به الرياح بعيداً فتعمد الجهات الرسمية إلى إعادته. وكان القادم من باب الآغا إلى الجسر العتيق لا ينتهي إليه رأسا إنما يميل من قرب جامع الآصفية إلى اليسار. ويعرج على الجسر بعد شيء من الالتفاف وكان باب جامع الآصفية أول الأمر يقع في مدخل السوق الذي كانوا يسمونه عگد الجايف مجتازا إليه من المولخانة..

كان شارع الرشيد تسير فيه سائر المركبات والعربات وكانت الخيول تنزلق في سيرها فتسقط على الأرض فيضربها العربنچية ضربا شديدا لتقف فتسير بالعربة. وكانت العربات الراقية التي يقال لها (رَبَل أولاندون). وكانت كذلك عربات الخيل المستعملة للأحمال ويقال لها (البرشقات) وقد منعت هذه العربات أخيراً من دخول الشارع. وفي إبان ثورة عام ١٩٥٨ صارت البرشقات تجوب الشارع ظناً منها أن الثورة ستمكّن الناس من ذلك ولكنها منعت منعا باتاً من غشيان شارع الرشيد..

وكان من التقاليد الشعبية ألّا يمشي رجل أو شاب حاسر الرأس في طريق أو أن يجلس حاسر الرأس في مقهى أو مجمع أو مسجد فإن ذلك من العيوب الاجتماعية التي لا تغتفر. وقالوا في المقامر المدمن (يخوم بالطاگية) أي أن المتامر إذا نفدت نقوده بادر إلى طاقيته فقامر بها ورضي أن يرجع إلى بيته حاسر الرأس متحملا من أجل ممارسته القمار عار حسر الرأس أمام الناس. وكان الشبان يتحزمون على ما يلبسون من زبنات وصايات بأحزمة الحياصات. والحياصة هي قطعة نصف كروية من المعدن تكون مكان البزيم من الحزام وقد يتخذها الشاب سلاحا له عند التضارب. وفي بغداد سوق باسم سوق الحُيّص إلا أنه لا حيص الآن ولا يعلم عنها أحد شيئا.. وكان الكسار في تلك الأيام قد أفل نجمه وإن كنت قد أدركت يسيراً من نهاياته. والكسار هو هجوم أناس من محلة على أخرى بالعصي والحجارة..

ومن عادات البغداديين خلال الفترة التي نتحدث في صددها، أن الطفل كان يوضع أول الأمر في سفط كبير أو سلّة ثم يوضع بعد حين قريب في كاروك يهزّ كلما بكى. وكان يقمّط بقماط يشد بحبال قصار من جميع أطرافه ويفتح قماطه عند تنظيفه وذلك مرات قليلة في اليوم.. وكانت أمه أو غيرها تلولي له لكي ينام. والتلولي هو أن تغني له بعض الأغاني التي تتحدث فيها عن حياتها وهمومها في الغالب..

كانت غالب النساء يلبسن عباءتين الأولى على الأكتاف والثانية على الرأس. وقد تكون الأولى من الصوف والأخرى من الحرير ولا وجود لذلك اليوم.. وكانت نساء اليهود يلبسن الأزر المزركشة التي كانت قبل ذلك العهد من ملابس النساء المسلمات. ولا وجود للأزر اليوم ولا لمعامل الأزر التي كانت كثيرة في محلة باب الشيخ. ومن يسمى من الشخصيات بالأزري هم من المنتمين إلى هذه المعامل..

وكانت في بغداد صنعة الحجامة. وكانت منتشرة ولها أدواتها الخاصة وقد زالت. وكان على الحلاق إذا حلق رأس رجل أن يغسل رأسه بالماء الساخن والصابون. وفي دكان كل حلاق كانت هناك قدر فيها ماء مغلي على لمبة تتقد تحتها وكان يوضع على صدر المحلوق (لگن) يمسكه بيديه وعلى رقبته قطعة من نحاس يسمونها (الركبة) يمسك بها صانع الحلاق وهو صبي صغير فيتساقط الماء فيها عند الغسل وقد زالت هذه العادة اليوم.. وكان من أدوات الحلاق ما يسمّى بالتايش وهو قدّة من جلد يمسح بها الموس وقد زالت هي وبقية الأدوات.

ولحلاقة الرأس تسميات وأنواع مختلفة منها القلم والتواليت وهو يعني صنع (گذلة) للرأس وأنواع أخرى..

وكانت عادة استنشاق البرنوطي سائدة في تلك الأزمنة ومثلها عادة السويكة التي تسمى تتن أسنون إذ يدس الرجل داخل شفته شيئا من السويكة هذه فتلبث بعض الوقت داخل الشفة..

وكانت تتناثر ما يسمى بالطمّة وهي كرخان الحمام المؤلف من روث الحمير إلى هذه الكرخانات وتعود في ذات الوقت محملة برماد المحروقات وهو رماد كانوا يخلطونه بالنورة ويبنون به أسس الجدران والمسنيات إذ كان مفعوله مفعول الإسمنت.. وكان بعض المتكسبين يدسون في رماد الطمة كمية من الشلغم والشوندر ليلا وفي الصبح يبيعونه على الآكلين ولا وجود اليوم للطمة ولا لرمادها ولا لشلغمها وشوندرها..

وكانت اليمنيات الحمر منتشرة في البلد ولها أسواق معروفة وقد دخلت اليمنيات في عالم الأمثال والكنايات فقالوا في مدمن الخمر (يشرب العرگ باليمني) أحمرها وأصفرها.

وكانت طاوات الحميس معروفة في الأسواق وقد زالت بالمرة. وهي طاوات كبيرة بحجم الصينية توضع على النار ويقلى فيها أردأ أنواع اللحوم كالمصارين والجلافيط فيجتمع عليها الأكلة من هنا وهناك..

وكانت في البلد أكثر من طولة وهي الإسطبل تأوي إليها الخيل ونحوها ويجلس في جانب منها علية القوم بعد العصر إذ كان لوجهاء الناس حمير

بغداد قبل ثمانين عاما

يركبونها في الذهاب إلى أعمالهم وكان منهم جميل الزهاوي الشاعر وعبد الوهاب الشوّاف أحد علماء بغداد. ولا وجود لهذه الإسطبلات اليوم، ويستعفف شخصيات القوم من اتخاذ هذه الإسطبلات مجالس لهم.. وكان الوشم سائدا في الرجال والنساء وقد زال أو أوشك أن يزول ويقال: إن شيئا منه كان يتخذ للعلاج.. أما (الكبه لي) الذي هو كالقطرة يوضع في العيون الرمد بكثرة بحيث يسيل شيء منه على وجوه الصبيان وهو أحمر شديد الحمرة وقد زال بالمرة..

كان البناؤون يشترون الجص على هيئة حصى فيذهبون يغربلونه بالغرابيل ويستخرجون منه الجص ثم يعمدون إلى ضرب الحصى بالأخشاب لينالوا منه بعض الجص الذي يتخذونه في البناء. ويسمى الحصى المتخلف من الجص خشانة وكان من عمال البناء من تكون مهمته دق حصى الجص بالمدگاگة..

وكان عمال البناء إذا خرجوا إلى العمل خرجوا قبل طلوع الشمس وغادروا محل العمل عند غروبها وهم يخرجون إلى المصطبات في الأسواق فيتخير منهم جماعة الأسطوات من يحتاجون إليهم، ثم تغيّر الأمر بجعل العمال يخرجون بعد الشمس ويعودون قبل غيابها..

كانت معايش البغداديين في بيوتهم أنهم كانوا يستقون الماء من النهر إذ كان السقاؤون يجلبون لهم الماء بقِرَبٍ على ظهورهم ومنهم من يستخدم الحمير لحمل القربتين والثلاث يسكبون الماء في الحِباب الموضوعة على الكراسي وعليها أغطية من الخشب تسمى قبغات. وتوضع تحت الحباب كراسي تمسكها وتحتها (بواگات) يقطر ماء الحباب فيها ويكون صافياً يتخذ لصنع الشاي..

وكان الماء الذي يجلبه السقاؤون للبيوت الفقيرة من مداخل النهر أي من جرفه ولذا يكون فيه العلك (العلق) والديدان. وكان الماء الذي يجلبونه للأغنياء مما يقرب من أوساط النهر وذلك تبعاً للأجور التي تدفع إليهم..

وتوجد في البيوت عامة لأغراض تناول الماء وشربه واستخدامه في الطبخ والغسل الجرار (جمع جرة) وهي على هيئة خاصة إذ توضع على الأرض فترتفع فوهتها فتنكس فتسكب الماء بالمقدار المطلوب وهناك عدة شَرْبات وكروزات يشرب بها الماء. وفي أمثالهم (ألف شربه تنكسر والجرّة منصوبة). وهناك (التُنگ) وهي على أنواع وهناك (الحُبّانات) شبه حِب صغير يوضع على مَشرَبة من خشب ويكون له غطاء خشبي وكل أولئك من (الكيزان) التي كانت تصنع في بغداد ويصعدون بهذه التنك والحُبّانات إلى أعالي السطوح ليلاً أيام الصيف إذ كانوا ينامون على السطوح التي ترشّ بعد العصر بالماء لتبريد التربة وكان لديهم قديما ما يسمى (التُنگ) وقد زال وهو مثل التنگة إلا أنه ضيق العنق وله عروة واحدة وفي أمثالهم (ضارب بالتنگ) أي معدم وقالوا للتعس من الناس والخائب في رزقه: (أُخذلك تنگ وإلحگهم). وقال لي الأستاذ حسين جميل رحمه الله: إنه كان لديهم في بيتهم (تُنگ) ولعل التُنك هو البربوك وهو من الكيزان القديمة وقد قال فيه الشاعر قبل قرون:-

لا تعجبوا كيف نجا سالماً

من عادة البربوق لا يغرق

وكانت في معظم البيوت البغدادية آبار يستقى منها الماء بالسطول المشدودة بحبال والمكوّرة على بكرة في صدر البئر يقال لها (السَرْبَسْ) وإذا سقط في البئر شيء من حاجات البيت أخرجوه بواسطة أداة يقال لها (شيخ الچناكيل) وهي من حديد ذي كلاليب ولا وجود لها الآن. وماء البئر في الغالب مجٌّ مالح يرجحون غسل الرز عند طبخه بماء البئر يزعمون أنه يجود عند الطبخ. وفي البيوت بالكرخ قماقم من نحاس واحدها (كُمكُم) يخرج بها النساء إلى النهر لملئها بالماء ويخرج معهن الكلب. وقد جاء في المثل (مثل چلب الملاّيات وياهنْ وياهنْ).. وللكمكم هيئة لا تعرف في غيره ويستعمله أصحاب المقاهي لغلي القهوة. والنساء يحملنه على أكتافهن عند أخذ الماء من النهر. ويستعان أحياناً على تبريد الماء بقطع من الثلج تشترى من السوق ويوضع للصبيّ على يده شيء من التبن عند حمله قطعة الثلج لحماية يده من قسوة برد الثلج عليها. ويكثر ذلك عند استعمال اللبن للاستعانة على تحليته باستعمال الثلج ولاسيما حين يكون في البيت ضيوف. وكانت هناك ملاعق كبيرة خشبية ذات شكل خاص تستعمل للبن لا وجود لها. الآن. واستعملت في بغداد للتبريد صناديق على هيئة خاصة من خشب تكون بمثابة ثلاجات يوضع فيها الثلج فوق علب صغيرة من الچينكو داخل الصندوق الكبير كما توضع داخل هذه الثلاجات الخشبية أطعمة وفواكه حماية لها من الفساد أيام الحرّ. ثم ظهرت الثلاجات المعدنية الكبيرة التي تعمل بالنفط إذ يوضع تحتها مصباح يسمى إدارة لتحريك الغاز ثم ظهرت الثلاجات الكهربائية والمجمدات..

وكانت النساء يقمن بطبخ الطعام في إنماط من القدور النحاسية منها ما يسمى (بالقوشخانة) ومنها ما يسمى (بالعرابي) ومنها ما يسمى (بالكمچدون). وكانت هناك مواقد من أحجار ثلاث وتشتعل النار تحت القدور بإحطاب (الطرفه والغَرَب والعاگول اليرماچة) التي كان يخرج بها الباعة إلى الطرقات والأزقة لبيعها..

وإذا كانت الأحطاب وطاباً فان النساء في المحلة يكلفننا ونحن أطفال صغار بالنفخ تحت القدور فنروح ننفخ وقتاً طويلاً وغالباً ما يكون الطعام مدخّناً بسبب دخول الدخان في القدور وقالوا في أمثالهم: (خلص النهار بنفخ النار) ثم استعملوا اللمبات* ثم البريمزات ثم طباخات (كولمن) ثم الطباخات التي تستعمل بقناني الغاز..

أما وسائل الإضاءة الليلية فهي الفوانيص (وأصلها فوانيس) واللمبات وكذلك من وسائل الإضاءة الراقية اللالات والأويزات، وهناك ما يقال له (الإدارة) وهي أردأ وسائل الإضاءة وهي قوطية صغيرة فيها نفط وفتيلة ولا زجاج عليها كسائر ما يستعمل من الفوانيص وهذه توضع قرب باب الدار. وفي المساجد كانوا يستعملون (السُرُج) على المآذن وهي عدة، أوعية زجاجية يوضع داخلها الماء وعليه شيء من الزيت تدس فيه فتيل وكانت

* اللمبات الموقدية غير لمبات الاضاءة لمبات الاضاءة تكون من زجاج ولمبات الموقد تكون من معدن..

توضع في المساجد الشموع الكبيرة لا سيما عند صلاة التراويح..

وتستعمل للغسل أنواع الصوابين المحلية التي كانت تصنع في بيوت المتخصصين بصنعها وتغسل البياضات بعد الانتهاء من غسلها بماء فيه (الچويت) وهو قرص أزرق صغير يلوّن البياضات تلوينا خفيفا يقولون: إنه يخفف من بياض الأقمشة فهي تتسخ بسرعة، ومن أنواع الصوابين صابون (شماش) وصابون (شحم) ثم وجدت الصوابين الملونة. وتعلّق الملابس المغسولة على الحبال في سطح الدار.. ويذهب ببعض الملابس الرجالية إلى المكوين في الأسواق ويقولون للأداة التي تكوى بها الملابس (أوتي) وكانت تسخن بالفحم وللموسرين ما يستعملونه لهذا الغرض في بيوتهم..

وكانت النساء يغسلن الملابس بالطشوت النحاسية وكُنَّ يجتمعن على غسل الملابس في الأسبوع مرة واحدة ولا يطبخن شيئاً من الطعام في هذا اليوم..

وكان في معظم البيوت (سرداب، ونيم سرداب) وهذا اقل انخفاضا من الأول وهو بناء في البيت يلجؤون إليه نهار الصيف لأنه مبني على هيئة تساعد على التبريد. إذ أن فيه بادكيرات وهي تجاويف تتصل بأعلى سطح المنزل يتسرب إليها هواء الجو فتبرد. وفي بعض السراديب توجد (زنابير) جمع زنبور وهو على هيئة متوازي المستطيلات في أرض السرداب بطول يزيد على المتر أو لا يزيد وعرض ملائم وعمق بحجم نصف متر أو أكثر ويكون له بوري يصعد إلى السطح من جوف الجدار وله في السطح فتحة يدخل منها الهواء إليه تختلف عن فتحة البادكيرات. وهم يضعون فيه أطعمتهم وما إلى ذلك، وأصل اللفظ من (زمين بوري) بالتركية أي منفذ الأرض.. ويكون على الزنبور مشبّك يقال له: (قِيمْ) من الخشب. وكان في بيتنا في محلة السيد عبد الله قبل ثمانين سنة واحداً من هذه الزنابير وقبل أيام ذهبت إلى محلة السيد عبد الله فشاهدتُ البيت من سطح أحد المنازل المجاورة فوجدت الزنبور في مكانه ولكنه كان مدفوناً بالتراب إذ كان البيت مهدماً لم يبق من جدرانه شيء..

أما (البادگيرات) في السراديب فلا تزال معروفة وأصل لفظها من الفارسية (بادگير) أي جالب الهواء. هيئتها كهيئة الروازين. وكان الناس يلوذون إلى السراديب ظهر يومهم اتقاء للحر. وكما قلنا كانت الناس ينامون على السطوح ويضعون على مكان في السطح عند المحجر (بالحبّانة) وهي كوز كبير يضعون فيه الماء فيبرد الماء الذي فيه بفعل الهواء، وكان هناك ما يسمى (بالشبّة) وتكون من خشب فوق عمود مرتفع يضعون عليه الركي في الصيف وهي على شكل مربع. وقد رأيت في مساجد البصرة حبّانة وحبانتين موضوعتين على ما نسميه في بغداد (بالشَرْبُلْغْ) ولا أدري ما يسميه أهل البصرة، وكان الناس يألفون الشرب من ماء هذه الحبانات.. ويُرى رجال البيت ينامون في مدخل بيوتهم قريبا من الباب إذ لم يكن فيها سرداب ويقوم أطفالهم بالترويح عليهم بالمهافيف..

وكان السقاؤون يرشون الطرق بالماء ولا سيما الأرض التي تقوم عليها المقاهي. وكان بعض الناس يسبّلون ماء القرب الذي يحملها السقاقي أي

يعطون الناس الماء مجانا للشرب. وذاك ما يسمى بالسبيل. وظهرت الدوندرمة فعكف عليها الصبيان والشبان ولم تكن الدوندرمة تباع في الدكاكين إلا في وقت متأخر..

وفي بيوت كانت (الكنشكانات والشناشيلات) التي واحدها شناشيل وهي غرفة ذات شبابيك تطل على الطريق وما تزال موجودة في بعض البيوت. والشناشيل كلمة فارسية أصلها (شاه نشين) أي مجلس السلطان ويظن من لا يعلمون أن واحدها شنشول ولا صحة لذلك. فإنما سميت بالشناشيل لأنها مجلس فخم وهي طريقة هندسية لتوسيع مكان الجلوس والانتفاع من طريق ترتيبهم للبيت بعض الشيء. وفي البيوت صجاغات تكون من خشب على أطراف السقوف الخارجية..

كانت بغداد مملوءة بالمقاهي والچايخانات لا سيما في مناطق الأسواق ومجتمع محلات السكان فإنها تكثر في تلك الجهات. وقد وجدت المقاهي في بغداد منذ أكثر من أربعمائة عام أي منذ ظهرت القهوة إلى عالم الاستعمال.

وكانت تتخذ للمقاهي تخوت عالية ذات شكل وتفرش عليها حصران الخيزران وتدار بالحجم الذي هو معروف به اليوم.. إذ عرف الشاي في المقاهي وانتشر في البلد بعد زيارة ناصر الدين شاه إلى بغداد أيام مدحت باشا..

وكانت تلعب في المقاهي الطاوليات والدومنة والدامة والمنقلة.. وقد زالت (المنقلة) وهي خشبة أسطوانية طولها متر مقسومة إلى قسمين وفي كل قسم منها حفائر صغيرة دائرية توضع فيها من الودع الأبيض من قبل اللاعبين. ولا نعلم اليوم كيف تكون الغلبة في هذه اللعبة.. و(الدامة) تلعب أيضاً في البيوت والمجامع ويلعب بها وجهاء القوم ومختلف أنواع الناس. وقد رأيتُ الشيخ الجليل محمد القزلجي والشيخ محمد فؤاد الألوسي وهما من كبار رجال الدين يلعبان الدامة في مسجد السور. وقد زال هذا المسجد من منطقة السور وقمر الدين.. وكانت الإستكانات والسماورات والقواري مواد مهمة وكذلك فناجين القهوة. ولم يكن مسموحا للشباب ومن دونهم الجلوس في المقاهي التي كانت تعمل من أول النهار إلى آخره وتكتظ بجلسانها ليلا..

وكان يكثر استعمال الفنغراف القديم الذي تستعمل فيها أسطوانات المقام العراقي كما صنعه صانعه أول صنعه. ثم صارت تطلق كلمة الأسطوانة على القرص الذي يكون بحجم رغيف الخبز وتسجل عليها المقامات العراقية التي يغنيها مغنيها مع مصاحبة جماعة الجالغي الذي يتألف من عازف السنطور والديرزان والطبلة وما إلى ذلك وكان هؤلاء العازفون أول الأمر من المسلمين ثم انتقلت الصنعة إلى اليهود..

وكانت في بغداد أكثر من (زورخانة) وهي مأوى البهلوانية. وكانت لهم فيها جُوّة وهي حفيرة عميقة مستديرة تكون أرضها مصنوعة من الحصران والرمل لئلا يتأذى من يسقط عليها وتكون الجوة عميقة حوالي مترين..

وكان المصارعون من البهلوانية ينزلون فيها لهذا الغرض ويلبسون (الجسوة) وهي لباس خاص بالبهلوانية عند المصارعة. وفي صدر القاعة، كان يجلس المرشد وبيده دنبك كبير يغني به أغاني

على المقام العراقي وبين لحظة وأخرى يقول: (نَعْلَتَ بَزْ تارِكْ صلاة). وفي الزورخانة أدوات بهلوانية مثل الشنأو والكبركة وغيرها.. وكانت في الدهانة زورخانة مهدي زنّو وكنتُ في الصغر أتردد عليها أيام الشباب الأول. وقد زالت الزورخانات من بغداد..

وللحمامات في بغداد صيت ذائع فهي قديمة كثيرة مثل: (حمام حيدر وحمام القاضي وحمام كچو وحمام الكهية) وغيرها.. حيث كانت الحمامات تسخّن بالفشقي الذي يحصلون عليه من النگاگير مما يقع لهم من روث الحمير وكانت هناك كتلاً عالية جدا تعلو علوّ التلال تزود بالروث الذي يغذي الحمام بالوقود وهي ظاهرة لعابري السبيل وتسمى (الطمّة) وكانت حتما مصدر انتشار أنماط من البعوض والحرمز والحشرات إضافة إلى إشاعة الروائح الكريهة في الجهة التي تقوم فيها.. وهذا مما زال نهائياً في الوقت الحاضر منذ وقت بعيد..

وينشأ من الروث بعد إحراقه رماد أزرق اللون قريب إلى السواد وكان البناؤون يشترونه ويخلطونه بالنورة فيبنون به أسس الجدران وإن فعله فعل الإسمنت، وكان المتكسبون يضعون الشوندر والشلغم في رماد الطمة من أول الليل فإذا صار الصبح نضج الشوندر والشلغم فأخرجوه ذلك من الرماد وراحوا يبيعونه للناس وهو غاية اللذة.. وكان الحمار إذا جاء محملاً بالفشقي رجع محملا بالرماد وقالوا في مثل لهم: (مثل الزمال يروح محمّل ويجي محمّل)..

وكان الخطباء يخطبون الجمعة في المساجد بالتغني وذاك دأبهم منذ القدم تأسياً بالشعراء الذين كانوا يتغنون بالشعر عند إلقائه. وقد شكا أبو الثناء الآلوسي من ذلك عندما عيّن خطيباً في جامع عبد الرزاق الباجه جي إذ قال: .ولكني عددتُ الخطابة نقمة. لأني أجهل خطباء العراق بأصول النغمة. والعراقيون لا يحبون الخطباء ما لم يغنّوهم بنحو الحسيني والصبا. ولا يدخلون معبدا. ما لم يكن خطيبه معبدا❖]..

وحين عينت وكيل خطيب سنة ١٩٣٥ في جامع المرادية الذي يقابل وزارة الدفاع خطبتُ أول جمعة متغنياً بالخطبة على نغم الطاهر إذ قلتُ [الحمد لله ثم الحمد لله ما توفيقي ولا اعتصامي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب] وفي الجمعة الثانية ألغيتُ التغني وخطبت القوم بأسلوب كلامي مألوف وكادت تحدث في الجامع مجزرة لأني عدلت عن الغناء إلى الإلقاء، والكلام طويل في هذا، وفي الجمعة التالية حضر إلى الجامع الشيخ بشير الصقال من كبار علماء الموصل فكلفته بالخطابة مكاني جريا على عادة أصحاب المساجد في تقديم الآخرين. فخطب بلا تغنٍ وآنذاك علم الناس إني لم أتصرف على المنبر تصرف شاب طائش إذ كان عمري يوم ذاك نحو العشرين سنة ولبثنا نحارب التغني على المنابر حتى صارت الخطب كلها أيام الجمع والأعياد تؤدى من غير غناء..ولم يكن الناس يجلسون للصلاة في المساجد حاسري الرؤوس، وكان في غالب المساجد من يمجّد ليلة الجمعة وظهر يومها بأسلوب منغم جميل يقول فيه: (اللهم يا حي ويا قيوم يا بديع السماوات والأرض

❖ معبد هذا هو احد المنشدين المشهورين في العهد الاموي..

وياذا الجلال والإكرام نسألك اللهم أن تحيي قلوبنا وسمعنا وأبصارنا بنور معرفتك يا الله)، ولا وجود للتمجيد اليوم إلا في جامع الشيخ عبد القادر الگيلاني. ولا أعلم مسجدا ثانيا يمجد فيه. وكان بعض نساء القوم يجلسون في الطريق عند تمجيد الممجد يستمعون إلى كلام الناس الذي يكون عندهم بمثابة استخارة.. وكانت مرافق المساجد غير مرتفعة ولا بيبان لها وكانت أباريق الوضوء من طين وتغيرت الأحوال اليوم وأما هذه الأباريق فقد زالت ولديَّ وأحد منها أحتفظ به..

كانت عمائم أئمة المساجد تتألف من قماش أبيض يلف على طرابيش حمر في الغالب الأعم ثم قلَّت الطرابيش في هذا المجال. وشاعت العمائم الهندية التي تعقد على الرؤوس بلا طرابيش وتكون لها عذبات وصارت العمائم المعقودة على الطرابيش نادرة وقليلة جدا..

وكان الناس إذا مات لهم ميت استدعوا أحد الممجدين من المساجد فصعد على سلم الدار ووقف عند السطح فنعى الميت بنغمة القزازي وهي نغمة من شأنها أن تهدئ النفوس كما أنها توصل النعي إلى سائر الجيران وبذلك يعلم الناس أن فلانا أو فلانة وافته المنية.. وقد زالت هذه الطريقة وزال هذا الأسلوب ونسي القزازي. وكان هناك من يسميه الجنّازي أو يجعل الجنازي شيئا آخر..

كانت الفواتح تقام في البيوت صباح كل يوم ومساء لمدة ثلاثة ايام ويقرأ فيها المقرؤون القرآن الكريم.. وفي العشرينات اقترحَ بعض الكتّاب اقتراحاً بأن تقام الفواتح في قاعات خاصة خارج البيوت فضج الناس على هؤلاء الكتّاب واعتبروهم مارقين خونة لم يكونوا قد بروّا بموتاهم..

وكانت البيوت تعاني مشقة من إقامة الفواتح فيها لا سيما ما كان منها صغيرا. وكان نساء البيت يختبئن في داخل الغرف حتى تنتهي الفاتحة.. وقلما تقام الفاتحة في البيوت اليوم إنما تقام في قاعات ملحقة بالمساجد لقاء رسوم يدفعونها إلى دائرة الأوقاف. ولا تقام الفاتحة اليوم في هذه المواقع إلاّ بعد العصر..

كان الرجال قد ألفو التدخين من سكاير غير جاهزة إنما يستخدمون عاملات من النساء بوضع التتن فيما يسمى بالأصابع ويوضع فيه بالطرف الثاني (الزبانة) وهي أوراق فارغة يسمونها (برماغ) ويبيعها التتنجي في مكانه ويضعها المدخن في قوطية معدنية زالت هي والسجاير الورقية. وصارت هناك شركات تصنع السجائر في علب خاصة من الورق. وفي أغلفة خاصة يرميها المدخن بعد الانتهاء من استعمال مفرداتها. وبعض الناس يدخنون النواركيل في المقاهي والبيوت. ومنهم من يستعمل التتن الهندي ومنهم من يستعمل التتن الشيرازي. وفي المقهى عامل متخصص بهذا الأمر ولازال موجودا في بعضها. وكان الناس يستعملون البرونوطي في علب صغيرة من العاج وغيره ويحمل الرجل مع ذلك كنيَّة كبيرة الحجم لا وجود لها الآن في الأسواق لتنظيف أنفه عند استعمال البرنوطي واصل اللفظ (برون أوتي) أي حشيشة الأنف. ويقدم الرجل لزواره هذه العلبة ليستنشقوا هذا النشوق الذي له أنواع كثيرة ويستعملون أيضا ما يسمى بالسويكة وله اسم

آخر هو (تتن سنون) يدسون شيئا منه في باطن شفتهم السفلى، وكنت في الصغر رأيت رجلا دفع أربعة فلوس إلى التتنجي فاشترى من هذه السويكة وهي في وعاء لدى التتنجي ولونها أصفر فاقع فدسَّ شيئا منه في شفته السفلى فدفعتُ إلى التتنچي أربعة فلوس واشتريت كمية منه ودسستها في فمي وسقطتُ على الأرض وأتذكر أن رجلاً كالتتنچي قفز من دكانه المرتفع إليَّ وقام آخرون بالإقبال عليَّ لمعالجتي ولا أدري ما حدث بعد ذلك..

والمياخين كثيرة منتشرة هنا وهناك وكان السكارى يشترون الخمر يضعونها في ربعيات وهي أوعية زجاجية ذات شكل لا وجود له اليوم. ويضعون الربعية أيام الصيف في (أم الشربتين) وهذه هي كوز كبير ذو شكل خاص يضعون فيه الربعية مع شيء من الثلج وقد زالت أم الشربتين فلم نعد نراها لدى الكوازين.. وكان الصبيان يتراكضون حول السكارى بأناشيد التقريع والتوبيخ. وقد قال أبو نؤاس قديما هذا:

اسألُ الله سكرةً قبل موتي

وصياح الصبيان ياسكران

كان المطبخ البغدادي يتألف من موقد أو أكثر يكون من ثلاث حجارات توضع عليها القدر ويجري الطبخ بحطب الطرفة والغرب والعاگول والشوك وحطب اليرماچة الغليظ الجاف. وإذا كان الحطب رطبا فإن إيقاده ليس سهلا ولذا كان نساء الحي يكلفننا بالنفخ تحت القدور ونحن يومئذ صبيان فنروح ننفخ تحت القدر ونحن مبتهجون لأننا محل ثقة نساء المحلة..

وكانوا يطبخون التمن (الرُّز) ولا يضعون الدهن في أسفل القدر إنما يضعون الدهن بعد نضج التمن في الطاوة التي يضعونها على النار وبعد أن يذاب الدهن تماما يفرگع على التمن وبذلك يكون أعلى ما في القدر من تمن مشبعا بالدهن ويأكل من ذلك المحظوظون من أهل البيت وفي مقدمتهم صاحب البيت ويقال: إنه يأكل من راس الجدر إذ يأكل التمن وهو دهين وهي أكلة لذيذة حقا وقد زال هذا النمط من الطبخ فيما أعلم. وهناك طرق أخرى لطبخ التمن عندهم وهي أن يطبخوه مصفى أو يطبخوه مما يسمى بالتطبيگ أي أن يضعوا الدهن في القدر قبل الماء.. وفي أمثالهم (التمَن المهدَّه للسلاطين يتودَّه)..

وكان اليهود يستعملون عند طبخ التمن (الشيرج) وهو مما كان مألوفا لدى سكان بغداد القديمة منذ عهد هارون الرشيد. وهو اليوم متروك نهائيا. وعندما كنا في الصين كنا نستعمل الشيرج لأنه من أرقى الزيوت صحيا لدى الصينيين وإن كانت لهم دهون أخرى..

وكان أهل بغداد يطبخون أنماطا من المطبوخات منها (البراصة) التي زالت بالمرة وهي قطع بطول فتر من البصل الأخضر تصفط في القدر وتقلى قليا خفيفا وتوضع عليها الطماطة واللحم والأمراق وهي من طيب مأكلهم وقد زالت.. ويطبخون السمك بالمرق وقد زال..

ولم يكونوا يأكلون المعلاگ ولا كانوا يشترونه لا كبدا ولا فشة ولا قلبا ولا ما سوى ذلك بل أن القصاب كان يتركه للزنابير. وإذا جاء رجل إلى أهله بالمعلاك جاءهم مختبئا تحت عباءته

وتهكم بذلك زوجته قائلة (جانيّ مَهْدّل الزيخ جابْ الچِرشْ والمعاليج). وكان القصاب يرمي العظام على الأرض للحيوانات. وقد تغير الحال اليوم فصار الكبد والمعلاگ والطحال من خير أنماط الطعام وكنا نأخذ الطحال مجانا من القصاب للقطط..

وكانوا يصنعون الشيخ محشي من الخس المحشو باللحم وهم لا يصنعون ذلك اليوم. وكانوا يتخذون من الباذنجان شرائح طوالاً يقلونها ويضعون عليها اللبن المخلوط بالثوم ولا يستعملون ذلك اليوم.. وكانوا يصنعون المحلبي من مطحون التمن يخلطونه بالحليب. واستعاضوا عن طحين التمن بالنشا.. وكانت في البيوت أدوات للطبخ منها (الأكزرة) التي يستعملون بها اللحوم التي يقلونها وكانوا يستعملون (الكلباسطي) و(الباسطرمة) التي هي قليلة اليوم..

وكان البغداديون إذا أكلوا الرقي احتفظوا بقشوره على السطح فإذا جفت اتخذوا منها وقودا ويستعملون حب الرقي يملّحونه ويتركونه ويجمعونه حتى إذا جاءهم الضيوف صنعوا لهم منه ما يقلّونه لهم ويقدمونه إليهم. إضافة إلى أن هناك من يبيع حب الرقي محمصا على الصاج.. وكان الرقي يؤتى به من سامراء بالگَفف ولطول فترة تعرضه للشمس أثناء الطريق فإن شيئاً منه يفسد. ويقال له (لَك) وكان الذين يشترون الرقي يخضونه ليعلموا تعرضه للفساد. وكان (الرقي اللك) يوضع على جانب من الأرض فيباع بثمن رخيص. وكان الفقراء يثردون فيه الخبز فيأكلونه. وكان الرقي الجيد يباع على شرط السكين أي أن يفتح البائع الرقية بالسكين أو أن يشقّ فيها شقّاً يرى منه المشترون الرقية حمراء فيشترونها..

وكان باعة الرقي يخرجون إلى دجلة من أول النهار ليحصلوا على كمية منه يبيعونها للناس. وقد جاء في أمثالهم (رجّال اليعبّي بالسكلة رگي) لأن الحصول على الرقي أول وروده إلى بغداد من سامراء بالقوارب والگفف أمر نادر جداً. ويحتاج للتزاحم فالقوي القوي هو الذي يمتلك القدرة على اقتناء كمية منه.. ويعد الرقي من مأكل الصيف المفضلة لاسيما إذا عُمِل على تبريده وذلك بتقطيعه وتعريضه للهواء.. وهنالك طريقة لتبريده وذلك بحك قشرته بحيث يزال منها ما عليها من خضرة.. وقد زال الرقي الآتي من سامراء وعلى قشرته خطوط متعرجة كثيرة. شاهدنا مثل ذلك في رقي الصين حين كنا هناك..

كان الرجال يلبسون في رؤوسهم اليشاميغ والكشائد والفين ويعتم رجال الدين بالعمائم وقد أشرنا إلى أنهم كانوا لا يسمحون للناس بالسير حاسري الرؤوس.. وكانوا يلبسون في أقدامهم اليمنيات الحمر وقليل منهم يلبسون اليمنيات الصفر وهذه جد قليلة. ولليمنيات سوق تسمى سوق اليمنچية وتسمى سوق الخفافين إذ إن هناك من يلبس الخف تحت اليمني. وصناعة اليمنيات صناعة خاصة لا تشبه صناعة سائر الأحذية..

وقالوا في استصغار شأن الصبي والشاب إذا أرادوا الاستخفاف به: (بگد اليمني). وقالوا في تشديد العقوبة (ينكَعْ له اليمنيات) وفي التهديد (اضربه ألف يمني).وفي السب قالوا (ابن اليمني) وقد زال اليمني أحمره وأصفره بالمرة.

واليمنيات أنواع منها (قبّه لورطة) و(الأزكار) وغير ذلك. ويلبس علماء الشيعة البابوج كما أن عجائز النساء يلبسنه. وقد زال بابوج النساء وكلمة البابوج في الأصل (باية بوشي) بالتركية أي غطاء الرجل. والبابوج كلمة عامية يستعملها أصحاب الريازات الأجرية والخردة كارية حتى اليوم. وإن كادوا يزولون من الساحة إلاّ الشيخ محمد صالح العبيدي المتخصص في هذه الحرفة الوحيدة في العراق..

وكانت النساء تلبس النعالات التي زالت نهائياً. وكانت النساء يلبسن عباءة الصوف على أكتافهن وعباءة الحرير على رؤوسهن، وقد ذكرنا ذلك.. وكن يلبسن الإسكاربينات. وكاد الإسكاربين يزول..

وكان الرجال يلبسون الدميري والزخمة ومايسمى بالخرقة وهذه مما يلبسه التجار ورؤساء الصناعات. ويلبسون الزبنات في الشتاء والصايات في الصيف وعليها الطرابز وهو حزام من قماش خاص.. ويتحزم الشباب بالحياصات ولا وجود لها اليوم. وهي نصف كروية من فضة أو معدن تكون في رأس الحزام والغالب أنها تكون بمثابة سلاح يحارب به صاحبه. وقد أشرنا إلى ذلك..

كما أن الكشايد تشد على الفياني الحمر أي الطرابيش وكذلك تشد العمائم. وكانت الفياني لبس الأفندية ولها بساكيل بسيطة.. غير أن عمائم اليهود كانت ترتبط ببساكيل كثيفة جدا.. وكان اليهود الرجال يلبسون العباءات الملونة إضافة إلى العباءات الصوفية المألوفة. وكانت نساء اليهود يستعملن (كيجه) وهو مقام البوشي على الوجه.

وكانت اليهوديات من لابسات (الأزر) يخبئن أيديهن وسواعدهن تحت الإزار.. وما كان يصنعه اليهود من ذلك إنما هو من استمرار على ما كانت عليه تقاليد بغداد قديما لدى المسلمين..

ومن الصناعات التي زالت صناعة (الكنده كارية) وكانت معروفة في بعض مدن العراق كالحلة وكربلاء. كان الناس يبيعون قراضات النحاس من قدور وطشوت وجفاجير وطاوات وغير ذلك إذا استغنوا عنها لعيوب تقع لها إلى الصنارين الذين يضعونها في فرن خاص ليصهرها إلى كتل ملتهبة فتوضع على الأرض فيتبل عليها الكنده كارية بالضرب بجواكيچهم حتى تصبح الكتلة هذه قرصا واسعا يتخذ منه الصفارون القدور وما إليها وتشتد الحاجة إلى هذا الأمر عندما ينقطع استيراد النحاس من الخارج لأسباب لسنا في حاجة إلى سردها.. ويزيد عدد الكنده كارية الذين يتولون تحويل الكتلة إلى قرص عن خمسة أو ستة.. وقد حاولت أن أرى فرنهم فلم أره لأنه كان أزيل في بغداد فذهبت إلى الحلة فقالوا: أن شارعا جديدا فتح من هنا وقضى عليه فذهبت إلى كربلاء وكان الأمر كذلك.. ومعنى الكنده كارية العاملون في الصب والصهر.

ومن الصناعات والحرف التي زالت وكانت سائدة في الأيام السابقة صنعة (البصامة) التي يتولاها من يقال له بصام. ويكون له دكان في السوق وتكون معه قطع خشبية منقور عليها من النقوش ما يتخيرونه وتكون لديه علب أصباغ يدس قالب الخشب فيها فيبصم بها أطراف الخام الأبيض ليصبح (جواتي للنساء). وعند الحرب

العالمية الثانية في الاربعينات استعاد البصامون نشاطهم في صنع اليشاميغ التي يلبسها العامة إذ انقطع استيرادها من الخارج وهذه الصناعة لا يختص بها المسلمون وحدهم بل يشاركهم فيها آخرون. ولهذه الصناعة آلات ذات مصطلحات كانت شائعة. ودكاكين البصامة كانت دكاكين مرتفعة عن الأرض مترا ونحوه في الغالب وكانوا يعملون على مناضد واسعة.. ومن صناعاتهم (الدنگچية) وهناك محلة في بغداد عند الجسر القديم تسمى الدنگچية كان أصحاب (الدنگ) فيها يعملون عملهم الذي هو طحن الحنطة وغربلتها للناس. والدنك هو كتلة من الحجر تشد إلى مقبض خشبي طويل وتحت الدنك حوض يضعون فيه المواد التي يراد طحنها إذ يخفض رأس الخشبة فيرتفع الدنك ثم تترك الخشبة فيهبط الدنك على ما تحته من حبوب ويتكرر ذلك غير مرة حتى يتم طحن تلك الحبوب. ولا وجود لذلك في الوقت الحاضر بل إنه زال منذ حين مذ أقيمت (الدكرمانات) لهذا الغرض والذي كانوا يأتون إلى الجسر. من عكد الصخر في باب الآغا يدخلون إلى سوق المولخانة وسوق السيان ويميلون إلى الجسر. وكانت النساء في البيوت يستعملن الرحى لطحن الحبوب ويقال لها: المجرشة في غير بغداد وقد زالت هذه أيضاً. والرحى قديمة في بغداد وجاء في أمثالهم (الله يجيب الحبة على عين الرحى) يضربونه في الأمور المقدر وقوعها في حياة الناس..

إن كثيراً من الصناعات البغدادية زالت نهائيا ومنها خياطة الفرفوري والندف بالكوز على القطن مما كان يتعاطاه الندافون وكانت لهم أسواق عريضة في البلد. والرگاعة والرگاگيع والنعلبندية والحجامة والطماميس أي طماسوا الآبار.. وزالت أدوات هؤلاء ومنها شيخ الچناكيل وهو آلة من حديد ذات شكل لا أتذكر الآن تفصيل ذلك. يستعمل عندما تسقط في البئر بعض الحاجات من سطل وغيره فإنهم ينزلون شيخ الچناكيل إلى قعر البئر ليخرج ما سقط في قعره. وكانت الآبار موجودة في كثير من البيوت ولها سربس يشد إليه حبل السطل يدلون به الماء وهو مج مالح وقلما يكون مستطابا.. وزالت الآبار بشكلها القديم. وإذا حفرت الآبار في البيوت حفرت على هيئتها الجديدة. وكانوا يتخذون الخنس الذي يخرجه النزّاحين من المراحيض سمادا لمزارع الخس..

والوسائل العلاجية في بغداد كانت تعتمد على مواد زالت الآن. منها معالجة (الأخت) بعلاجات كانوا يعرفونها. وكان الگرع منتشرا في الأطفال وكانوا يعالجونه بالنزگات. وكانت الحصبة تعالج بالطواف المحصب بالطرقات وعليه بشطمال أحمر. ويعالجون بالأبوال بعض الأمراض. وكانوا يستعملون الدارسين لمعالجة الزكام.. وكانت منتشرة في البلد أمراض السل والجذام.. وكان العطارون والحلاقون يتعاطون في الغالب كثيرا من العلاجات الشعبية..

وكان المقام العراقي الذي تُعرف له في بغداد هيئة تختلف عن الموصل وكركوك بعض الاختلاف. والمقام العراقي الذي كان يجيده عدد غير قليل من مغني بغداد. كان في الحقيقة أرقى أنواع التلاحين

الموسيقية ذات المستوى العالي وتقرأ فيه الزهيريات وهي مواويل سباعية شعبية وتقرأ فيه قصائد في بعضه قصائد في الشعر العربي، وان قرّاء القرآن الكريم يستعملون جمهرة من الأنغام التي تمت إلى المقام العراقي.

وكانت الحفلات الشعبية كثيرة لا سيما عند عودة الحجاج وعند الأعراس وعند تأبين الموتى وعند نذر بعضهم بإقامة الاحتفالات هذه. أما حفلات الأعراس فقد كانوا يأتون فيها (بالشعاعير) الذين يظهرون في عرض الطريق وهم يرقصون متشبهين بالنساء. وإنما أطلق على واحدهم اسم (الشعّار) لأنه من المتخنثين الذين يستعملون الجدائل النسائية على وجه الاستعارة وكانوا يضعون في أيديهم الجمارات التي يحركونها لتحدث أصواتاً إيقاعية وقد زال ذلك في الأيام الأخيرة. وكان من عادة الأجواق الموسيقية التي تخرج في زفاف العرس أنها تتقدم الناس غير أن ضارب الطبل والنافخ بالسرناجة يمشيان خلف الجميع وقد زال ذلك..

وتستعمل هذه الحفلات في ختان الأولاد من قبل (الزعرتية) الذين لا وجود لهم اليوم وهم الذين يستدعون إلى إجراء عملية الختان ولهم ملابس خاصة بهم..

وكانت أنماط من الملاهي التي منها مناقرة الديكة ومنها أنهم كانت لديهم أبراج على سطوح منازلهم يربّون فيها أنواعا من الطيور معروفة بأسمائها وألقابها وهي طيور لا تعرف إلاّ في بغداد ومنها (العنبرلي والأورفه لي، والالآج والكومرلي والبدرنك والأشعل والمسكي)، وكانوا يطيرونها في جو السماء على هيئة أجواق متعددة. وكانت بغداد مهجرا إلى بعض أنواع الطيور الآتية من الخارج ومنها (اللقالق) التي كانت تلقلق طول الليل.. وكانت طيور السند والهند تلجأ إلى البيوت فتبني على جدرانها العالية أعشاشها بطريقة خاصة وغيرها من الطيور..

ومن لهو الناس من حضار المقاهي أنهم كانوا يجتمعون على رجل يقال له (القصّه خون) يقرأ لهم كتب السير القديمة واشهرها سيرة عنتر ابن شداد وكان قارىء هذه السير يحسن التهريج على جهله بالعربية وقراءة الأشعار، ولهم نوادر في هذا الباب..

وكانت الأسواق تتعامل بموازين تألفها من قديم منها (الأوكية والحُكّه والرطل والچارك والدرهم والطغار والوزنه)..

كان البيت البغدادي يحتوي بتفاوت في ذلك على أنماط من الأثاث كثيرة منها القرواين واللكنات والمصلخات والسلبجات والجربايات والقريولات والمرطانات وقد جمع الباحث العراقي الفولكلوري(حامد القيسي) نماذج كثيرة من الأثاث البغدادي في معرضه البيتي..

كان غالب البيوت تحتوي على طرارات وطرمات وأواوين، وكانت سقوف المنازل تبنى من أخشاب الأشجار وكانت السقوف

تلتصق بحواشيها الصجغات الخشبية وكانت معظم جدران البيوت وأبوابها وغالب جدران الطريق والمساجد منقوشة بالنقوش الآجرية التي تسمى (الخرده كارية).. وتوضع عليها الحصران المسماة (بجوازر البصرة) وتوضع عليها حزمْ القصب ثم يعاد وضع الحصيرة فوق ذلك ثم يوضع التراب والطين الأحمر المخلوط بالتبن وذلك ما يتجدد على السطوح كل حين. وكانت طرقات بغداد يوضع عليها الطين الأحمر الذي يستولي على مسافة كبيرة من الطريق وذلك لعدة أيام إلى أن يختمر الطين على ما يقولون ثم يرشقون به سطوح البيوت إذ كانوا ينامون على السطوح صيفا. وفي الشتاء كانوا يتدفؤون بالمناقل وفيها مايسمى (بفحم كراشي). وكانوا يستعملون نوعا من الفحم يقال له: (فحم شوك) وذلك لصنع بعض الأطعمة من نحو الكباب وما إلى ذلك..



الترجمة في العصر العباسي ودورها في تنوع العلوم والمعارف عند العرب

ميساء محمد قاسم
الموصل - العراق

مقالات

المقدمة:

تضمن البحث أربعة فصول، احتوى الأول: (البدايات الأولى لنشأة حركة الترجمة)، حيث تم تسليط الضوء على البدايات الأولى لنشأة حركة الترجمة في العالم منذ أن عرفت الإنسانية اللغات وتنوعت الثقافات والحضارات، وفي حين احتوى الفصل الثاني: (الترجمة في العصرين الأموي والعباسي) الذي تضمن شرحا موجزا عن حركة الترجمة وخصوصا ترجمة الكتب إلى العربية في ظل اهتمام الخلفاء والسلاطين في العصرين الأموي والعباسي.

وشمل الفصل الثالث: (طبيعة العلوم المترجمة) الذي أشرنا فيه إلى أدوار حركة الترجمة وهي ثلاثة أدوار مرت بها (ترجمة العلوم الطبية والفلكية) وفي الدور الثاني (كتب الرياضيات والفلسفة) أما في الدور الأخير فتمت فيه ترجمة العلوم الأخرى. في حين تناول الفصل الرابع (نوع الترجمة وأهم المترجمين) الذي حاورنا فيه على أساليب الترجمة وأنواعها والتي تضمنت (الترجمة الحرفية/ اللفظية والترجمة بالمعنى/ المعنوية) من جانب. أما من جانب آخر فأشرنا إلى أهم المترجمين وأحذقهم وبعض ما ترجموه.

الفصل الأول / البدايات الأولى لنشأة حركة الترجمة

كانت الترجمة تمارس في الشرق الأدنى منذ الألف الثالث قبل الميلاد فقد نقلت وثائق سومرية إلى اللغة الأكدية. وعلى كل فإن مثل هذه التعميمات على نحو جميع مظاهر الحياة الثقافية لا يمكن أن

يضفي عليها ولا يجوز أن يضفي عليها دلالة تفسيرية تتعدى الناحية الوصفية. أما بالنسبة إلى الموضوع الذي نتناوله على وجه الخصوص. فإنه مع التأكد من أن ترجمة أعمال يونانية علمانية من اليونانية إلى لغات الشرق الأدنى بما في ذلك العربية كان أمرا قائما قبل ظهور العباسيين فإنه لا يجوز أن يعتبر بحد ذاته تفسيرا لحركة الترجمة التي لا يمكن تفسيرها على أنها جاءت استمرارا لممارسات كان العمل جاريا فيها. إن جميع النشاطات في الترجمة لها أسباب وأهداف معينة يجب أن تستقصى وتحلل في كل حالة خاصة. ومن ثم فإنها تعيش إبراز المتميزات وليس القصد من الأجزاء التالية أن تعيد فسح المجال إلى نهايته[1].

وكانت حركة الترجمة والنقل واحدة من اللحظات الركيزة في بواكير الحضارة العربية الإسلامية. فمن خلالها تم تعرف العرب والمسلمين على الآثار الإسلامية في القرون الخالية وتمت معرفتهم بالمتون الرئيسية في العلم السابق عليهم فكان ذلك بمثابة إشارة الانطلاق في مسيرة التحضر التي امتدت عدة قرون تالية[2]. وتعد الحركة عامل أساسي من عوامل اكتمال التوثيق وذلك أدركه العرب (العلماء) والمسلمون وأدركه خلفاء المسلمين فليس من الحكمة الاعتماد على لغة واحدة بل لابد من نماذج الثقافات فبدأت المكتبات أو بيوت الحكمة تشمل على أقسام للترجمة بحيث يمكننا اعتبارها مراكز للتوثيق كاملة بالمفهوم الحديث (Documentation Center) تقدم المعلومات لطالبيها مهما تعددت لغاتها المنشورة[3].

ولعل اتصال العرب بالأمم نتيجة للفتوحات وكانت هذه الأمم قد مرت بتجارب حضارية مختلفة عبر العصور فبدأ الاختلاط بينها. فتزاوجت الأفكار العربية والذوق العربي بأفكار وأذواق الأمم مما أدت إلى نهوض وتقدم الحضارة فنتج عن هذا التزاوج بواكير حضارة راقية وأخذت شكلها النهائي وأتت أكلها في العصور العباسية والأندلسية[4]. توسعت قاعدة المجتمع العربي وأخذت أبعادا واسعة من الخليج إلى المحيط نتيجة لهذه الفتوحات واتصال العرب بالحضارات المختلفة والتبادل بين الحضارة العربية والحضارات الأخرى عن طريق الاتصال والنقل[5]. وأخذ العرب يهتمون بالحضارات الأخرى ونقل الحضارة العربية إلى البلاد التي يفتحونها وبذلك بدأ مخاض الترجمة والنقل بين المفكرين العرب. وأخذت تنقل كافة العلوم العلمية. والعلوم الفلسفية النظرية استتباعا وكذلك علم الفلك مثلا تعيين مواقيت الصوم والصلاة والحج وكذلك في العلوم التطبيقية لحاجة الناس والسكان اليها لصلاح أبدانهم ودفع المرض والأوبئة. حتى إذا ما استوفوا قدرا كبيرا في التراث العلمي والعملي واتجهوا صوب الفلسفة رغبة في الدفاع عن العقيدة الإسلامية الخالصة بالتعرف على أسلحة الخصوم[6].

وبهدف أن الترجمة تقرب المسافات بين الحضارات والثقافات حتى تنصهر بعضها ببعض إلى اعتبار أننا نرجع أخيرا إلى روح الإنسان المقوم الأصلي والصانع البارع للحضارة[7]. ونود التأكيد على أن حركة الترجمة والنقل لم تتطور بمعزل عن ظروف - بل شروط - موضوعية أدت إلى توالي المراحل واكتساء كل مرحلة منها بطابع مميز فلم يكن الأمر تتابعا زمنيا ساذجا مجتثيا من سياقاته المعرفية وإنما كانت لكل مرحلة أزمة دافعه ثم تواصلت المراحل. كما لابد من الإشارة إلى حقيقة مهمة مفادها أن حركة الترجمة والنقل

على تنوع مراحلها تمت في إطار منظومة إنسانية وهي التفاعل المستمر بين الحضارات فكانت الترجمة هي الواسطة الأولى للتفاعل الحضاري فمن الهيروغريقية إلى اليونانية ومن اليونانية إلى السريانية ومن كليهما إلى العربية وإلى اللاتينية واللغات الأوربية. واليوم بعكس الأخير وبدأ اهتمام العرب بالنقل والترجمة من خلال إنشاء دور ومؤسسات للترجمة وبدأ الإنفاق المادي على هذه الدور والمؤسسات من قبل الخلفاء والوزراء والأعيان[٨]. لقد مرت حركة الترجمة في المشرق الإسلامي وعبر أربعة قرون من تاريخها ابتداء من القرن الأول وحتى منتصف القرن الرابع الهجري بمراحل مختلفة من النضج والكمال. فالترجمة في القرن الأول للهجري غير الترجمة في القرن التالي. أي أن التباين كانت بينهما في أمور عدة منها(ثقافة المترجم) ومعرفته بالمادة المترجمة ودرجة إتقانه اللغات التي يترجم منها وإليها. وعدد تلك اللغات التي يتقنها والمحيط الذي يترجم فيه المصادر التي يترجم عنها.. إلى غير ذلك من أمور هي من صفات ومميزات الترجمة[٩].

وقد استقرت كتابات المتخصصين على أن هذه الحركة العلمية النشطة تحققت عبر مراحل أربعة هي:-

الأولى: عملية نقل علوم الأوائل أيام الدولة الأموية وهي المرحلة التي امتدت(ستين عاما).

الثانية: فترة خلافة المنصور إلى وفاة هارون الرشيد وهي التي نبغ فيها من المترجمين (يوحنا ابن بطريق، وابن المقفع، ويوحنا بن إسحاق).

الثالثة: هي مرحلة الازدهار حيث توالت ترجمات(حنين بن إسحاق) ومدرسته.

الرابعة: هي الفترة الممتدة من مطلع القرن الرابع الهجري إلى منتصف القرن الخامس وفيها من المترجمين (أبو بشير متي، وابن يونس سليمان السجستاني، وأبو عثمان الدمشقي، وأبو علي عيسى بن زرعه)[١٠].

وللترجمة أهمية في تاريخ حركة النقل عموما وتكمن هذه الأهمية في أنها تمثل المرحلة الأولى من تاريخ عهد المسلمين وإن ما حدث من نقل في هذا القرن كان أول نقل في الإسلام.

الفصل الثاني: الترجمة في العصرين الأموي والعباسي

أولا: الترجمة في العصر الأموي.

لقد تغيرت حالة اللغة وآدابها في العصر الأموي عما كانت عليه في الدور الجاهلي تغييرا عظيما إذ رقت الأساليب وقل الحوشي والمتنافر وهذا يتمشى بوجه عام مع تغيير حياة العرب الاجتماعية والدينية والسياسية[١١]، وإن أول من اهتم من المسلمين العرب بنقل العلوم الأعجمية إلى اللغة العربية هو (خالد بن يزيد بن معاوية (المتوفى عام ٨٥هـ)) فقد أخفق في نيل الخلافة فصعد ميوله نحو طلب العلم والإنفاق على العلماء ونقل الكتب إلى العربية، حتى سمي(حكيم آل مروان)[١٢]، وقد أمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كان ينزل في مصر وقد تفصح بالعربية وقد أمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني إلى العربية، وكان من بينهم راهب رومي اسمه ((مريانوس)) طلب إليه أن يعلمه صناعة الكيمياء، فلما تعلمها أمر بنقلها إلى العربية فنقلها له رجل اسمه "اصطفان القديم"

وهذا أول نقل في الإسلام من لغة إلى لغة[١٣].

إذن أول نقل في الحضارة العربية على يد "خالد بن يزيد بن معاوية" عندما قام اصطفان القديم بنقل كتب الصنعة له. كما كان خالد أول من ترجم له كتب الطب والنجوم والكيمياء. ونقل له "مريانوس" الراهب بعض كتب المنطق والصنعة وغيرها[١٤]. وعمل على الحصول على الذهب عن طريق الكيمياء. وكذلك عربت الدواوين من عهد "عبد الملك بن مروان" بعد أن كانت بالفارسية واليونانية. ونقل ديوان مصر من اليونانية والقبطية إلى العربية في عهد "الوليد بن عبد الملك"[١٥].

وفي عهد بني أمية أيضا نقلت بعض الكتب فضلا عمّا تم في عهد يزيد بن معاوية. يتورد القصص نقلا عن ابن النديم أن ماسرجويه ترجم للخليفة " عمر بن عبد العزيز" (بين ٩٨-١٠١هـ) كتاب " هارون القس" ويذكر ابن أبي أصيبعة - نقلا عن بن جلجل- أن ماسرجويه كان في أيام بني أمية ناقلا للكتب إلى العربية. وأن الخليفة: عمر بن عبد العزيز وجده في خزائن الكتب فأمر بإخراجه ووضعه في مصلاه. فتم له ذلك[١٦] وإن أول كتاب طبي ترجم إلى العربية كان في خلافة "مروان بن الحكم" (٦٤ - ٦٥هـ) وهو "كناش أهرن القس بن أعين" وقد احتوى على ثلاثين مقالة نقلها من الآرامية إلى العربية ماسرجويه الطبيب البصري وزاد عليها مقالين وقد أقام الرهبان المدارس في الأديرة فكانت في دير "مارفيثون" مدرسة كبيرة للترجمة[١٧]. ولكن أعمال الترجمة في العصر الأموي ظلت على كل حال أعمالا فردية تنتعش بالأشخاص القائمين بها وتموت بموتهم. وإذا كان للعباسيين من فضل فيما بعد فهو تلك الحركة بنشاط عظيم. وهكذا وبعد أن أتضح لنا أمر الترجمة في هذا العصر، لابد لنا من الإشارة سريعا للسبب الذي حال دون استمرار واتساع نطاق هذه الحركة عقب وفاة الأمير الأموي وفي هذا المجال تشير الباحثة (أن مشاكل الحياة السياسية في العصر الأموي عطلت تطور الحياة العلمية وعلى الأخص حركة نقل التراث الأجنبي وسنشاهد ازدهارها في العصر العباسي)[١٨].

ثانيا: الترجمة في العصر العباسي.

شهد العصر العباسي الأول حركة متنامية في ترجمة كتب القدامى من اليونان والهنود والنبط والفرس. وفي مختلف المجالات المعرفية وكان للخلفاء دور كبير في تشجيعها وصرف الأموال الطائلة من أجل الاطلاع على التراث الإنساني.

وتعد الترجمة أولى الدلائل على التكيف الجديد للفكر العربي مع البيئات الثقافية، ولكنه لا ينبغي أن يظن أن العرب كانوا ناقلين فقط أو لم يضيفوا شيئا جديدا. بل أضافوا أشياء جديدة في المعارف العلمية. ولا ننسى أن قسما كبيرا منها قد فقد ولم يصل إلينا[١٩]. وكان لحركة الترجمة في العصر العباسي ولا سيما ترجمة الكتب أثر كبير في بناء النهضة الثقافية وقيام الحركة الفكرية التي سادت الدولة العربية الإسلامية فأقبل العلماء المسلمون بعد دراستهم للكتب المترجمة واستيعابهم لها على التأليف في سائر فروع العلوم المختلفة والمساهمة في تقديمها وإنضاجها[٢٠]. وفي زمن الدولة العباسية أقام عبد الله بن المتفع (ت. ٧٥٩م) بأول نقل لبعض كتب السلوك إلى اللغة العربية ووضع كتابه المشهور كليلة ودمنة مستندا إلى قصص فارسية وهندية. وفي عصر الخليفة الثاني أبي جعفر المنصور بدأت بوادر الترجمة في الوقت الذي لم نلحظ مثل هذا النشاط في عهد

الترجمة في العصر العباسي ودورها في تنوع العلوم والمعارف عند العرب

الخليفة أبي العباس السفاح لانشغاله في تثبيت أركان الدولة وقصر مدة حكمه. فبعد أن استقر المنصور في بغداد استدعى الطبيب "جورجيوس بن جبرانيل(ت ١٦٠هـ/ ٧٧٦م)" وترجم له كتبا من كتب اليونانيين إلى اللغة العربية[٢١].

أما في زمن الخليفة هارون الرشيد(١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦ - ٨٠٨م) تم نقل وترجمة الكتب الطبية القديمة كما ترجمت في هذه الفترة بعض كتب أرسطو في المنطق وترجمة جميع الكتب القديمة التي نقلت من بلاد الروم حين فتحها المسلمون وأقامة أمينا للترجمة. وفي زمنه نقل أيضا كتاب "إقليدس" النقلة الأولى على يد ((الحجاج بن مطر)) وسميت ترجمته (الهارونية) تمييزا لها[٢٢]. ونشطت الترجمة لكتب الفلسفة والمنطق في عهد المأمون نشاطا كبيرا وطور بيت الحكمة وذلك لاقتناعه بأن الترجمة بوسائل ملائمة تساعده في الرد على الزندقة والثنوية التي ظهرت قبيل عصره. فكان واسع العلم ميالا إلى القياس العقلي حيث تفقه وطالع كتب الأقدمين المترجمة إلى العربية. وأمر بنقل كتب الفلسفة والمنطق من اليونانية إلى العربية. وجعل الترجمة عامة لكل مؤلفات أرسطو في الفلسفة وغيرها. وأقبل المعتزلة على قراءتها فنشأ علم الكلام ثم نشا عند إنشغال النصارى بالفلسفة أيضا ما يسمى الفلسفة الأفلاطونية الجديدة[٢٣]. وبناء على طلب المأمون قام العديد من العلماء برحلات إلى البيزنطية للحصول على مثل هذه الكتب وإلى البعثات الرسمية الموفدة لجلبها فلقد أوفد الخليفة المأمون كلا من الحجاج بن مطر. وابن البطريق. وسلما صاحب بيت الحكمة وغيرهم إلى البيزنطية فأخذوا مما وجدوا واختاروا ما حملوه إليه)[٢٤]. ومن أبرز الأدباء الذين اتصلوا بالخليفة المأمون الجاحظ الذي كتب كثيرا من مؤلفاته بايعاز من الخلفاء وبعض المسؤولين في الدولة وهناك ما يشير إلى تسلمه هباتهم منهم أو مشاهرة على كتاباته فلقد أخرج الجاحظ مثلا كتاب (إمامة معاوية) دعما لرأي الخليفة والمعتزلة وتسفيها لرأي النابتة. وكان ثمامة بن الأشرس أحد زعماء المعتزلة قد أقنع الجاحظ بتأليف الكتاب ليقدمه إلى قاضي القضاة "أحمد بن أبي دؤاد"[٢٥].

وصحب الخليفة المأمون (ابن سعيد الجوهري) وطلب منه أن يباشر بالرصد مع جماعة من العلماء في منطقة الشمالية ببغداد وتمكن من رصد مواضع بعض الكواكب السيارة. وله مؤلفات مثل (كتاب الزيج) وكتاب (تنسير كتاب إقليدس)[٢٦]. واجتهد الخليفة المأمون في جمع كنوز العلم من مختلف البلاد فضلا عن كنوز العلوم العربية والإسلامية والتي لا يمكن الاستغناء عنها. فأمر بشراء المصنفات اليونانية من آسيا الصغرى التي ترجمت إلى العربية[٢٧]. وكان لحركة الترجمة في العصر العباسي ولا سميا ترجمة الكتب اليونانية أثر كبير في بناء النهضة الثقافية وقيام الحركة الفكرية التي سادت الدولة العربية الإسلامية. فأقبل العلماء المسلمين بعد دراستهم للكتب المترجمة واستيعابهم لها على التأليف في سائر فروع العلوم المختلفة. وأضاف علماء العرب المسلمين إضافات كبيرة من خلال إبداعاتهم الثقافية والحضارية وبحوثهم وتجاربهم وملاحظاتهم ومشاهداتهم بوساطة البعثات والرحلات العلمية وانتقال العلماء بين الدولتين أو بوساطة اللغة العربية السائدة آنذاك ومحاولة

نقلها إلى الدول المجاورة من خلال حركة الترجمة وهي عملية حضارية ثقافية تؤدي إلى حصول التبادل الثقافي والحضاري[٢٨].

الفصل الثالث / طبيعة العلوم المترجمة

اختلفت العلوم المترجمة باختلاف نوعية المترجمين وثقافاتهم ولغاتهم التي يتقنونها إلى جانب الظروف التي يعيشونها وميولهم ورغباتهم فضلا عن رغبات الخلفاء والسلاطين ويشير ابن النديم في كتابه(الفهرست) أن حركة الترجمة العلمية مرت بثلاث أدوار رئيسة، فالدور الأول برزت فيه ترجمة كتب الطب والفلك. وفي الدور الثاني ترجمة كتب الرياضيات والفلسفة. أما الدور الثالث فتمت فيه ترجمة العلوم الأخرى[٢٩].

وفيما يلي تسليط الضوء على الأدوار التي مرت بها الترجمة:-

الدور الأول: ترجمة كتب العلوم الطبية والفلكية

كثر اشتغال الناس في الطب في ظل الدولة الإسلامية من المسلمين وغير المسلمين وأطلق المسلمون على الطبيب أو (الطب) قبل سائر ضروب الحكمة، حتى أن دعي للامتحان في بغداد في عهد المقتدر بالله العباسي (٢٩٥ - ٣٢٠هـ) نحو (٩٠٠) طبيب وهم من غير الأساتذة الثقاة الذين اجتازوا مرحلة الامتحان وهذه العناية بالطب والصحة لم تشهدها قط حضارة من حواضر التاريخ القديم[٣٠]. وإن أول كتاب طبيب ترجم إلى العربية كان في خلافة (مروان بن الحكم "٦٤-٦٥هـ") وهو (كناش) أهرن القس بن أعين. وقد احتوى على ثلاثين مقالة نقلها من الآرامية إلى العربية ماسرجويه الطبيب البصري ثم زاد عليها مقالتين[٣١]. إلى جانب ما ترجمه الطبيب (ابن آثال) من كتب الطب اليونانية الأصل إلى العربية وهذا يعد نقلة أولى في الإسلام وتشجيعا هاما للعلماء في ترجمة علوم أخرى[٣٢].

وأول من بنى مستشفى (بيمارستان) كاملاً في الإسلام (الوليد بن عبد الملك بن مروان "ت٨٨هـ/ ٧٠٦") وهو خاص بالمجذومين. وعين لها الأطباء وأجرى عليهم الرواتب والهدايا. وبعد انتشار الإسلام في المناطق المفتوحة واستقرار الحكم العربي فيها استخدم الخلفاء أطباء عرب وغير عرب وشجعوهم وبالغوا في إكرامهم، وشجعوهم على ترجمة الكتب الطبية والعلمية[٣٣]. وتقول الروايات أن حنين بن إسحاق. هو أبو الطب العربي، فقد كان هو رئيس(مدرسة) المترجمين الشهيرة التي أنشأها الخليفة المأمون في بغداد، وأعظم مترجم عربي لتراث الإغريق الكلاسيكي، وينسب إليه أنه نقل إلى العربية كامل مصنفات جالينوس الطبية، وبفضله تمتع جالينوس بتلك الشهرة العظيمة، وترجم حنين بالتعاون مع تلامذته مؤلفات الطبيب الإغريقي (أبقراط) وإليه يرجع الفضل أيضا في وضع الترجمة العربية لكتاب الأقرباذين. لديو سقوريديس. وهذه الترجمات وحدها تشير إلى اهتمام حنين بالطب على نحو ناشط زاخر بالحيوية(٣٤). ووجد "عمر بن عبد العزيز" كتاب(أهرن بن مبين) في عهده في بعض خزائن الكتب. فأمر بإخراجه ووضعه في مصلاه. واستخار الله في إخراجه للمسلمين للانتفاع به. فلما تم له ذلك أربعون صباحا أخرجه إلى الناس. وفي أوائل العصر العباسي حيث ابتداء الترجمات إلى اللغات الأجنبية. ويرى المستشرق (ناللينو) أنه ربما كان كتاب(أحكام النجوم)

الترجمة في العصر العباسي ودورها في تنوع العلوم والمعارف عند العرب

لمرقس الحكيم هو أول ترجمة دونت بالعربية[٢٤].

ويعد أبو جعفر المنصور أول خليفة اتخذ المنجمين وعمل بالنجوم وهو أول خليفة ترجمت له كتب التنجيم العجمية القديمة التي تحدثت عن النجوم والفلك ونقلها إلى العربية. أما المأمون بن الخليفة هارون الرشيد فكان أول خلافته يستعمل النجوم والنظر فيها ويذهب مذاهب الملوك الفرس ويشتهي قراءة الكتب القديمة المعنية بالفلك والنجوم[٢٦].

الدور الثاني: ترجمة كتب الرياضيات والفلسفة

إن الشعوب العربية القديمة كان مجهودها قليلا في الرياضيات، فلم تكن تعرف إلا المبادئ. فالحساب كان متقدما عند الهنود من الناحية العملية. وعند اليونان الذين سموه (الإرثماطيقي) وعرف المصريون القدماء مبادئ الجبر. ولكن يرجع الفضل للعرب في تقدم العلوم الرياضية الحديثة بحيث أسهموا فيها بفروعها المتنوعة. فهم الذين نقلوا إلى العالم المتحضر طريقة الحساب بالأرقام وهي طريقة العد المعروفة الآن. ويقال إنهم نقلوها من الهنود الذين أخذوا الصفر من الدائرة والواحد من خط المستقيم. أما قبل ذلك فكانوا يستخدمون الحروف في العد وإن أوربا لم تعرف العد بالأرقام إلا عن طريق العرب وذلك في القرن الخامس الهجري الثاني عشر الميلادي. ويدل على ذلك اشتقاق الكلمات الأوربية من صفر العربية[٢٧].

وقد أرسل الخليفة المأمون بعثه إلى بلاد الروم بيزنطية بحثا عن المخطوطات اليونانية كان من أعضائها الحجاج بن مطر. ويوحنا بن بطريق. وسلم صاحب بيت الحكمة. كما أرسل بنو شاكر (محمد، وأحمد، والحسن) بعثة من أبرز أعضائها حنين بن إسحاق لتحصيل مخطوطات من بلاد الروم فجلبوا من هناك "طرائف الكتب وغرائب المصنفات في الإرثماطيقي (الحساب)"[٢٨]. وتقدم المسلمون في الحساب خطوات واسعة فأضافوا إلى معلومات اليونان من النظريات التي لم تعرفها أوربا من قبل كما علموا الأوربيين نظام الأعداد الهندي الذي يمثل ثورة شاملة في علم الحساب. ويتضح لنا تسهيل هذا النظام العددي للعمليات الحسابية إذا قارنا بينه وبين النظام العددي الروماني. فنظام الأعداد الجديد الذي عرفته أوربا عن العرب، يمكن فيه أن تتغير قيمة الواحد حسب وضعه في خانة الآحاد أو العشرات أو الآلاف أو الملايين في حين أن قيمة الرقم لا تتغير في النظام الروماني بتغير حقيقته. أن الأعداد الجديدة المستخدمة حاليا في الغرب ليست من اختراع الغرب إذ المرجع إنها هندية الأصل كما أشار العرب أنفسهم وكما يتضح في طريقة كتابتها من اليسار إلى اليمين[٢٩].

أما الفلسفة وهي كلمة يونانية الأصل. وقد كانت الفلسفة قديما وأيام العرب لا يقصد بها دراسات الحكمة وحدها- التي هي يونانية

الأصل - إنما يقصد بها أيضا المعرفة بالرياضيات والطب والفلك والموسيقى. وهذا العلم لم يعرفه العرب إلا في عصر متأخر في الإسلام في العصر العباسي الأول وليس قبل ذلك فهو لم يظهر إلا بقيام حركة الترجمة وقد مهد لذلك وجود كتب فلاسفة اليونان منتشرة

في مناطق البحر الأبيض. الإسكندرية وأنطاكية وحران فضلا عن أن المأمون أمر بترجمة الكتب وشرحها شرحا وافيا(٤٠)، وشهد العصر العباسي الأول نهضة سريعة وواسعة في التأليف والترجمة في مختلف فروع المعرفة. ونلاحظ في زمن أبي جعفر المنصور ظهور المؤلفات والتراجم الضخمة وخاصة في الفلسفة والكتب المعروفة لفلاسفة كـ(أرسطو. أفلاطون وغيرهم)(٤١). ويعد حنين بن إسحاق أول من ترجم وأعاد تصليح التراجم الفلسفية وخصوصا ترجمات كتاب(السوفسطيقا) لأرسطو نشرها جميعها في كتاب(منطق أرسطو)(٤٢). وسعى المأمون بن هارون الرشيد عام (٨٠٣م) إلى تأسيس أكاديمية خاصة بالمترجمين وذلك لنقل التراث اليوناني وخصوصا الفلسفة إلى العربية. ومن ثم انتقلت ترجمات العرب للآثار الإغريقية وشروحهم عليها من بغداد إلى صقلية وإلى إسبانيا حيث درسها علماء مسيحيون مثل (مايكال سكوت، وروجر بايكرت. وألبرت الكبير) والواقع أن الفيلسوف المسلم (ابن رشد) هو الذي شرح كتب أرسطو للغرب وبذلك مكن العلماء النصارى وخاصة القديس توما الإكويني - من وضع الأسس لفلسفة نصرانية ولاهوت نصراني(٤٤). وبفضل المترجمين أخذت الحضارة العربية تنعم بحظ من الفلسفة لا بأس به والتي أثار محاورات بين الفلسفة اليونانية والفلسفة الإسلامية، وقد ترجم(يحيى النحوي) كتاب (برقلس) الأزلية وأبدية العالم بثماني عشرة حجة(٤٥). وقد أثار إدخال الفلسفة في الدين عداوة بعض مفكري الإسلام مثل العزالي(٥٠٥/١١١٢م) الذي عرف للأوربيين باسم (Algazel) وألف ضدها " تهافت الفلاسفة اي سقوطهم و مقاصد الفلاسفة"(٤٦).

الدور الثالث، ترجمة العلوم الاخرى

من المعلوم عند القارئ أن حركة الترجمة لم تقتصر على ترجمة علم دون آخر وإنما شملت علوماً مختلفة إلى جانب ما ذكرناه في الصفحات السابقة كـ(الفيزياء، والكيمياء. والجغرافية. والهندسة... وغيرها)، تقدم علم الفيزياء أو علم الطبيعة بجهود علماء اليونان وفي مدرسة الإسكندرية خاصة حيث اكتشفوا أعدادا كبيرة من مبادئه. وقد ترجمت مؤلفات اليونان إلى اللغة العربية مثل كتاب "الفيزيكس" لأرسطو وكتاب "الحيل الروحانية". وكتاب "رفع الأثقال" لابرن وكتاب "هيرون الصغير في الآلات الحربية" وكتب "هيرون الإسكندري في الآلات المفرغة للهواء والرافعية للمياه" وغيرها. وقد استوعب علماء العرب هذه الكتل فاخذوا يبحثون هم أنفسهم في هذه العلوم واكتشفوا قوانين طبيعية وألفوا الكتب القيمة في مختلف فروع الفيزياء وصنعوا الآلات الكثيرة. وقد وضعوا بجهودهم العلمية أساس منهج البحث العلمي الحدي وأساس عدد من مباحث علم الطبيعة التي اعتنى بها العرب المسلمون(٤٧).

أما علم الكيمياء فقد اختلف الناس قديما في مفهوم الكيمياء فمنهم من أمن بصنع الفضة والذهب والمعادن الزهيدة. ومنهم من ارتضى بتغيير لون النحاس إلى الفضة ولون الأخيرة إلى لون الذهب. ولقد اتسم الدور الأول للكيمياء بالمحاولات المعنية بغية صناعة الذهب من العناصر الزهيدة إضافة إلى صبغ المعادن

وكسائها بما يشبه الذهب والفضة. وبالتالي نشطت عملية التعدين وصنع السبائك. وبعدها ظهرت ترجمة الكتب اليونانية إلى العربية وبالعكس ومن ثم أخذت النظريات الكيميائية بالانتشار[٤٨].

أما بالنسبة لعلم الجغرافية فإن دراسة التراث الجغرافي العربي وتنميته والتعرف على معطياته وإدراك مكانته في تاريخ تطور الفكر الجغرافي يتطلب معرفة الظروف التاريخية التي نشأ فيها هذا التراث والمراحل التي اجتازتها أثناء تطورها، وأهم كتاب ترجم في الجغرافية هو كتاب "بطليموس في جغرافية المعمورة"[٤٩].

وأخيرا علم الهندسة الذي لقي اهتماما كبيرا من لدن العلماء العرب والسياسيين لاهتمامهم الشديد بفن العمارة والبناء وتطوير الزخرفة. وأهم ما ترجم في الهندسة كتب عديدة وهي كتاب "المدخل إلى الهندسة" الذي ترجمه البعلبكي والذي يتضمن فنون ومخططات هندسية هامة، وكتاب "أصول الهندسة" لمنالاؤس الذي ترجمه ثابت بن قرة[٥٠].

الفصل الرابع/ نوع الترجمة وأهم المترجمين

نوع الترجمة

كان للمترجمين أسلوبان في الترجمة. أحدهما الأسلوب الحرفي بترجمة كل كلمة. والأسلوب الثاني هو أن يفهموا معنى الجملة فيكتبوها بالعربية وبذلك تكون الترجمة واضحة مفهومة، وعادة ما تكون الثانية هي المفضلة وقد اتبعها كبار المترجمين[٥١].

أ. الترجمة الحرفية / الفظية.

وهي الطريقة التي تقوم - كما يفهم من اسمها- على ترجمة النص الأصلي بصورة حرفية. وبمعنى أدق كلمة فكلمة حتى يأتي الناقل على الجملة كاملة في الكتاب بأكمله وهو على هذا المنوال[٥٢].

وتعد هذه الطريقة رديئة جدا وتظهر فيها العديد من المشاكل كـ(عدم وجود مرادف للكلمة الأصلية المراد ترجمتها إلى العربية)، و(إن مستخدمي هذه الطريقة كانوا أحيانا لا يجيدون اللغة اليونانية كما كانوا أحيانا أخرى لا يجيدون اللغة العربية، فكان أحدهم ينقل الكتاب من اللغة اليونانية إلى اللغة السريانية ثم يأتي آخر فينقله من السريانية إلى العربية). وأهم من اتبع هذا الأسلوب في الترجمة هم(يوحنا بن بطريق، وعبد المسيح ابن الناعمة الحمصي)[٥٣].

ب. الترجمة بالمعنى / المعنوية.

إن جوهر هذه الطريقة يعتمد على المعنى الشامل لكل جملة في أي كتاب يراد ترجمته. ومن ربط المعنى الكلي للجمل بعضها مع البعض الآخر، حسب هذا الأسلوب. والفارق الرئيسي بين هذه الطريقة وبين سابقتها هو أن الترجمة هنا تقوم على الجملة مجتمعة لا على الكلمة منفصلة عن أختها التالية. والواقع أن هذا الأسلوب هو أقرب إلى المنطق وأفهم. فبذلك يأتي المترجم إلى الجملة فيحصل معناها في ذهنه ثم يعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها في المعنى سواء استوت الجملتان في عدد الكلمات أم اختلفتا وأهم من اتبع هذا الأسلوب(حنين بن إسحاق)[٥٤].

أهم المترجمين

لقد كانت حصيلة حركة الترجمة والنقل إلى اللغة العربية واللغة السريانية كثير من كتب اليونان وغيرهم في الطب والفلسفة والرياضيات، وهي العلوم التي نالت اهتمام علماء العرب أنذاك. وأهم المترجمين:-

١. بختيشوع

بختيشوع بن جرجس. ويكنى أبا جبريل وهو ابن جبريل. وهو من آل بختيشوع وهم أسرة كبيرة من السريان النساطرة. فأولهم: جورجيس بن بختيشوع الجنديسابوري. رئيس أطباء بسابور. وقد استقدمه إلى بغداد الخليفة المنصور وصار طبيبه الخاص إلى أن توفي في خلافته سنة ١٥٢هـ[٥٥].

ويعد أبا جبريل معروف ومشهور ومتقدم عند الملوك خدم الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل. وكسب بالطب ما لم يكسبه مثله وكان الخلفاء يثقون به على أمهات أولادهم. وأخباره مشهورة وله من الكتب كتاب(التذكرة) عمله لابنه جبريل[٥٦].

ومعنى بختيشوع (عبد المسيح) لأن في اللغة السريانية البخت يعني "العبد" قال فثيون الترجمان: لما مرض موسى الهادي أرسل إلى جندي سابور أن يحضر له بختيشوع فمات قبل حضور بختيشوع وقال فثيون: ولما مرض هارون الرشيد من صداع لحقه فقال ليحيى بن خالد: فأوصى له بختيشوع الكبير بن جورجيس ووصل إلى هارون الرشيد ودعا له بالعربية والفارسية وعالج الرشيد[٥٧]. ويعد من أصحاب الإضافات الكبيرة من خلال إبداعاته العلمية والطبية والثقافية وله كتباً كثيرة في الطب وعالج العديد من الخلفاء أمثال أبي العباس السفاح وعاش أيام الرشيد وكان قريبا منه لعلمه وأمانته حتى أنه يعالج الأمهات والمقربات من العائلة الحاكمة[٥٨].

٢. يوحنا بن ماسويه

أبو زكريا يوحنا(أو يحيى) بن ماسويه. من أطباء مدرسة جنديسابور هاجر إلى بغداد في أول القرن الثالث الهجري. وهناك أقام بيمارستانا. وجعله الخليفة المأمون رئيسا لبيت الحكمة. وتوفى سنة ٢٤٢هـ وكان حنين ابن إسحاق أحد تلامذته[٥٩]. وهو مسيحي من أصول سريانية أمره الرشيد بترجمة الكتب الطبية القديمة ووجدت كتبه بأنقره وعمورية، وبلاد الروم حين فتحها المسلمون. ووضعه أمينا على الترجمة ووضع له كتابا حذاقا يكتبون. وخدم هارون والأمين والمأمون. وبقي على ذلك إلى أيام المتوكل وكانت ملوك بني هاشم لا يتناولون شيئا من أطعمتهم إلا بحضرته. وكان يقف على رؤوسهم ومعه البراني وكان معظما ببغداد جليل المقدار[٦٠].

وله كتب في الطب أسرار خلدها منافع الناس منها كتابه الذي سماه(البرهان). وكتابه المعروف بكتاب البصيرة. وكتابه المعروف بالكمال والتمام، وكتابه في الحميات، وكتابه في القصد والحجامة، وكتابه في الأدوية. وكتابه المعروف بالشجر كناش له قدر وكتابه في الجذام. لم يسبقه أحد إلى مثله في الأغذية. وكتابه في المعدة المعروف بالرجحان وكتابه في الأدوية المسهلة وإصلاحها وكتبه كثيرة في أمور عجز عنه غيره. وكان

حنين بن إسحاق تلميذه وخادمها، وكان طبيبا حسن البصارة بالتأليف والعلاج. يعد في عداد المتقدمين[٦١]، وكان فاضلا طبيبا مقدما عند الملوك، عالما مصنفا، خدم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وله من الكتب كتاب الكمال والتمام، وكتاب الكامل، وكتاب الحمام، وكتاب دفع ضرر الأغذية، وكتاب الإسهال، وكتاب علاج الصداع، وكتاب السدد والدوار، وكتاب لما امتنع الأطباء من علاج الحوامل في بعض شهور حملهن، وكتاب محنة الطبيب، وكتاب مجسة العروق، وكتاب الصوت والبحة، وكتاب ماء الشعير، وكتاب الفصد والحجامة، وكتاب المرة السوداء، وكتاب النساء اللاتي لا يحبلن، وكتاب السواك والسنونات، وكتابي إصلاح الأدوية المسهلة، وكتاب الحمامات، وكتاب مشجرة، وكتاب القولنج[٦٢].

توفي يوحنا بن ماسويه في أيام المتوكل، وكان في حياته يعقد مجلسا للنظر ويعمر ذلك المجلس بعلم هذا الشأن أتم عمارة ويجري فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة واجتمع إليه أهل العلوم والأدب، وكان يدرس ويجتمع إليه تلاميذ كثيرون، ومن نوادره أن رجلا شكا إليه علة كان شفاؤه منها الفصد فأشار عليه به، قال له: لم اعتد الفصد، قال له يوحنا: ولا أحسب أحدا اعتماده في بطن أمه وكذلك لم تعتد العلة قبل أن تعتل وقد حدثت بك فأخذ ما شئت[٦٣].

٣. حنين بن إسحاق

هو أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي، تلميذ يوحنا بن ماسويه، عالما بلسان العرب، فصيحا باللسان اليوناني بارعا في اللسانين بلاغة بلغ بها تمييز علل اللسانين ونهض من بغداد إلى أرض فارس وكان الخليل بن أحمد النحوي (رحمه الله) بأرض فارس، فلزمه حنين حتى برع في لسان العرب، وأدخل كتاب العين بغداد ثم اختير للترجمة[٦٤]، وحنين بن إسحاق العبادي من أكابر المترجمين الذين أفادوا البشرية، وعملوا على تكوين الحضارة العربية الزاهرة، فقد كانت نقوله اليونانية إلى السريانية فالعربية خير مصل تطعم به الفكر العربي بعد الفتوحات الإسلامية الكبرى[٦٥]، وهو من أشهر النقلة، ولد في الحيرة، وتلقى شيئا من الطب على يد يوحنا ابن ماسويه (ت ٢٤٢هـ) ثم تابع درس الطب في بلاد الروم وبعدئذ زار الإسكندرية وفارس ودرس فيهما شيئا من الفلسفة والطب ثم عاد إلى البصرة وتبحر في درس اللغة العربية[٦٦]، كان حنين عند عودته من سفرته العلمية إلى بغداد يلازم أبناء (موسى بن شاكر) الذين رغبوه في النقل من اليونانية إلى العربية، وأنفقوا على ذلك مبالغ جمة وقد بلغ حنين من دقة الترجمة وإتقانها أن تنبأ له جبرائيل بن بختيشوع طبيب الخليفة بمستقبل عظيم وبعث حنين مع يوسف المذكور إلى يوحنا بن ماسويه ترجمة للفصول المسماة الجوامع، فلما ذهب بها إليه قراها يوحنا فكثر تعجبه بما سمعه من جبريل عن حنين، فسأله يوحنا أن يتلطف في إصلاح ما بينهما ففعل فاضل يوحنا على حنين وأحسن إليه، فاستأنف حنين دراسة الطب عليه ولازمه ونقل له كتبا كثيرة من كتب جالينوس[٦٧]، ومن الكتب التي ترجمها حنين بن إسحاق كتاب (فاطيغورياس) لأرسطو، وكتاب عهد أبقراط، والكون والفساد[٦٨]، وكتاب باريار مانياس (العبارة) إلى اللغة السريانية

وقسما من كتاب اللؤلؤ (التحليل) وكتاب النفس إلى السريانية. وكتاب فلسفة أرسطوطاليس[٦٩]. وكتاب الأخلاق إلى اللغة السريانية. وتعد تراجمه إحدى النقلات النوعية في الحضارة الإسلامية لنقل المعارف المتنوعة وتوفي حنين سنة (٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)[٧٠].

٤. قسطا

هو قسطا بن لوقا البعلبكي. مسيحي النحلة. طبيب حاذق نبيل فيلسوف منجم عالم بالهندسة والحساب. وله في الطب تواليف حسان. ككتابه في غلبة الدم. وكتابه في نسبة الأخلاط. وكتابه في الفرق بين النفس والروح. وكتابه في الفرق بين الحيوان الناطق والصامت[٧١]. وقد كان من الواجب أن يقدم على حنين لفضله ونبله وتقدمه في صناعة الطب ولكن بعض المؤرخين يقدمون حنين عليه. وقد ترجم قسطا قطعة من الكتب القديمة وكان بارعا في علوم اليونانية جيد العبارة بالعربية. وتوفي بارمينية عند بعض ملوكها سنة ٣٠٠هـ[٧٢]. وقد استدعي بالعراق في الترجمة. ويعتبر قسطا من الفلاسفة والمترجمين ومن مترجمي بيت الحكمة المشهورين وقد عمل بمعية حنين بن إسحاق[٧٣]. ترجم قسطا بن لوقا عددا من الكتب اليونانية إلى العربية منها (كتاب شرح الإسكندر الأفروديسي. وكتاب شرح يحيى النحوي. وكتاب السماع الطبيعي لأرسطو. وكتاب آراء الفلسفة المنسوب إلى فلوطرخس. ويقول القفطي: إنه ترجم قسما من كتاب السماع الطبيعي والمقالة الأولى من كتاب الكون والفساد. وإنه نقل كتاب الرياضة لفلوطرخس. وجاء في كشف الظنون أنه عرب كتاب الفلاحة الرومية تأليف الحكم قسطون بن أسكور. ونقل كتاب نوادر اليونانيين. وكتاب شرح مذاهب اليونانيين. وفسر ثلاث مقالات من كتاب ديوفنطس في المسائل العددية)[٧٤].

وقال بعض المؤرخون كان قسطا بن لوقا فاضلا في العلوم مليح الطريقة في التصنيف اجتذبه سنحاريب إلى أرمينية وأقام بها وكان بها أبو الغطريف البصريق من أهل العلم والفضل فحمل اليه قسطا كتابا كثيرة جليلة في أصناف من العلوم سوى ما حمله إلى غيره في أصناف شتى ومات هناك وبني على قبره قبة إكراما له[٧٥].

الخاتمة

تعد حركة الترجمة إحدى أهم النقلات التي لابد لنا أن نقف عندها في إظهار الحضارة العربية الإسلامية؛ لأن ما وصلنا من العلوم المختلفة وما نقل إليها يستحق العناء في دراستها والثناء على ناقليها. وبحثي هذا ورقة نظرية تعكس فيها كيفية نشوء حركة الترجمة وتأثيرها في إغناء الحضارة العربية الإسلامية حيث تم نقل المعارف من الحضارات المختلفة واللغات المتنوعة إلى جانب العلوم المترجمة الطبيعية منها والعلمية والرياضية والفلسفية تلك الأفكار والمعالم كيف ترجمت بأساليب مختلفة منها نقلا حرفيا وأخرى معنويا. أي نقل المعنى بأسلوب المترجم. فالترجمة هي نقل للمعارف إلى الأجيال لينقلوها إلى الأجيال الأخرى للنهوض بالواقع الاجتماعي والثقافي للمجتمعات. ودراسة نواحي الحياة لدى هذه المجتمعات. لذا تعد الترجمة من العلوم والمعارف وإحدى إنجازات المجتمعات البشرية.

المصادر والهوامش

١ - غوتاس: دمتري. الفكر اليوناني في الثقافة العربية: ترجمة: نيقولا زيادة. المنظمة العربية للترجمة. مركز دراسات الوحدة العربية. (بيروت: ١٩٩٣). ص ٥٧.

٢ - زيدان: يوسف. الترجمة في التراث العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. (بيروت. ٢٠٠٠). ص٣٢.

٣ - الكروي: إبراهيم سلمان. وعبد التواب شرف الدين. المرجع في الحضارة العربية الإسلامية.ط٢. منشورات ذات السلاسل. (الكويت: ١٩٨٧). ص ٤٧٣.

٤ - السامرائي: خليل إبراهيم. دراسات في تأريخ الفكر العربي. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. (جامعة الموصل: ١٩٨٦). ص٨١.

٥ - عبد الرحمن: حكمت نجيب. تاريخ العلوم. دراسات في تاريخ العلوم عند العرب. (الموصل: ١٩٧٧). ص ١٥.

٦ - علي: عصام الدين محمد. بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة.منشأة المعارف بالإسكندرية. (مصر: ١٩٨٦). ص٣٧.

٧ - زعرب: رهام.الترجمة في الثقافات. شظايا أدبية. (د.م: ٢٠٠٦)ص٢.

٨ - حبي: يوسف. حنين بن إسحاق. دار الحرية للطباعة. (بغداد: ١٩٧٤). ص ٢٧.

٩ - الجميلي: رشيد. حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجري. دار الشؤون الثقافية العامة. وزارة الثقافة والإعلام. (بغداد: ١٩٨٦) ص٢٧.

١٠ - أبو ريان: محمد علي. تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام. دار المعرفة الجامعية. (الإسكندرية: ١٩٨٦). ص٨٩.

١١ - رفاعي: أحمد فريد. عصر المأمون. ط٤. مطبعة دار الكتب المصرية. (القاهرة: ١٩٢٨). ص٤٥.

١٢ - الذهبي: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. سيرة أعلام النبلاء. تحقيق: مأمون الصاغرجي. جـ٤. ط١١. مؤسسة الرسالة. (بيروت: ٢٠٠١). ص ٣٨٢.

١٣ - الكروي. وآخرون. المرجع السابق. ص٤٧٩.

١٤ - ابن النديم: أبو فرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق. الفهرست. تحقيق: رضا الحائري. (طهران: ١٩٧١). ص ٣٥٤.

١٥ - حسن: حسن إبراهيم. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي. ط٧. مطبعة السنة المحمدية. (بيروت. ١٩٦٤). ص٢٤٥.

١٦ - علي:عصام. المرجع السابق. ص٩.

١٧ - البوزبكي: توفيق سلطان. تاريخ أهل الذمة في العراق دار العلوم للطباعة والنشر. (بيروت:١٩٨٣). ص٥٠٥.

١٨ - الجميلي. المرجع السابق. ص٧٦.

١٩ - أوليري: دي لاسي. الفكر العربي ومركزه في التاريخ. ترجمة: إسماعيل البيطار. ط١. دار الكتاب العباسي. (بيروت: ١٩٧٢). ص ٩٣.

٢٠ - العدوي: إبراهيم محمد. الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم. ط٢. مكتبة الأنجلو المصرية. (القاهرة: ١٩٥٨). ص١٧٠.

٢١ - ابن أبي أصيبعة: موفق الدين أبو العباس أحمد بن قاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي. عيون الإنباء في طبقات الأطباء. تحقيق: نزار رضا. (بيروت: ١٩٦٥). ص ٢٦٠.

٢٢ - أوليري: دي لاسي. انتقال العلوم إلى العرب. ترجمة: مت بيبتون ويحيى الثعالبي. ط٤. (بغداد: ١٩٥٨). ص٢١.

٢٣ - زيدان: جرجي. تاريخ التمدن الإسلامي. جـ٣. مطبعة القاهرة. (مصر: ١٩٧٢). ص ١٣٦.

٢٤ - ابن أبي أصيبعة. مصدر سابق. ص ٢٦٠.

٢٥ - الجاحظ: أبي عثمان بن عمرو بن بحر. رسائل الجاحظ (٤) أجزاء. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. مطبعة السنة المحمدية. (القاهرة: ١٩٦٤). ص٢٠٨.

٢٦ - القفطي: جمال أبو الحسن علي بن يوسف. تاريخ الحكماء. وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء. مكتبة المثنى (بغداد:١٩٨٩). ص٢١٩.

٢٧ - بروكلمان: كارل. تاريخ الشعوب الإسلامية. نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي. ط٩. دار العلم للملايين. (بيروت: ١٩٨١). ص٢٠٢.

٢٨ - حسن: زكي محمد. تراث الإسلام. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. (القاهرة: ١٩٢٨). ص ٩٨.

٢٩ - طاقة: رنا صلاح. العلاقات الدبلوماسية بين العباسيين والبيزنطيين. رسالة ماجستير غير منشورة. مقدمة إلى كلية التربية. (جامعة الموصل:١٩٩٩). ص ١٣١.

٣٠ - الكروي. وآخرون. المرجع السابق. ص٢٩٤.

٣١ - القفطي. المصدر السابق. ص ٥٧.

٣٢ - الصرايرة، سليمان سالم جويعد، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، أطروحة دكتوراه في التاريخ غير منشورة، كلية الدراسات العليا، (الجامعة الأردنية: ١٩٩٧)، ص١٤.

٣٣ - الكروي، وآخرون، المرجع السابق، ص٢٩٤.

٣٤ - البعلبكي: منير، الإسلام والعرب، ط١، دار العلم للملايين، (بيروت: ١٩٦٣)، ص ٢٦١.

٣٥ - أطلس: محمد أسعد، تاريخ العرب، ط٣، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، (م.د: ١٩٧٩)، ص٢٢٣-٢٢٤.

٣٦ - اليعقوبي: أحمد بن إسحاق، مشاكل الناس لزمانهم، تحقيق: وليم ملورد، ط١، دار الكتاب الجديد، (بيروت: ١٩٦٣)، ص٢٢-٢٣..

٣٧ - ماجد: عبد المنعم، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى، ج٣، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة: ١٩٧٢)، ص٢٢٠.

٣٨ - بدوي:عبد الرحمن، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت: ١٩٩٥)، ص٨.

٣٩ - الكروي، وآخرون، المرجع السابق، ص٣٢٦-٣٢٧.

٤٠ - ماجد، المرجع السابق، ص٢١٢.

٤١ - الجبوري: أحمد إسماعيل عبد الله، علاقة الخلافة العباسية بالعلماء في العصر العباسي الأول، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة الموصل، ١٩٩٧)، ص١١٣.

٤٢ - بدوي، المرجع السابق، ص٩.

٤٣ - البعلبكي، المرجع السابق، ص٢١٥.

٤٤ - بدوي، المرجع السابق، ص٥.

٤٥ - ماجد، المرجع السابق، ص٢١٩.

٤٦ - الكروي، وآخرون، المرجع السابق، ص٣٠٥.

٤٧ - ماجد، المرجع السابق، ص٢٣١.

٤٨ - عبد الباقي أحمد، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت: ١٩٩١)، ص٢٧٩، وينظر: إلى ابن النديم، المصدر السابق، ص٣٥٣.

٤٩ - الكروي، وآخرون، المرجع السابق، ص٤٧٥.

٥٠ - الجميلي، المرجع السابق، ص٣٨.

٥١ - فروخ: عمر، تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، (بيروت: ١٩٨٠)، ص١١٥.

٥٢ - الجميلي، المرجع السابق، ص٣٩.

٥٣ - فروخ، المرجع السابق، ص١١٥.

٥٤ - ابن جلجل: أبي داؤد سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، (القاهرة: ١٩٥٥)، ص٢١.

٥٥ - ابن النديم، المرجع السابق، ص٣٥٤-٣٥٥.

٥٦ - ابن أبي أصيبعة، المرجع السابق، ص١٨٦.

٥٧ - ابن ابي أصيبعة، المرجع نفسه، ص١٨٦.

٥٨ - القفطي، المرجع السابق، ص١٠٠-١٠١.

٥٩ - انظر: ابن النديم، الفهرست، ص٢٩٥-٢٩٦، ابن ابي اصبيعة، عيون الإبناء، ص١٧٥-١٨٣.

٦٠ - اليوزبكي، المرجع السابق، ص٤١٠.

٦١ - ابن جلجل، المصدر السابق، ص٦٦.

٦٢ - ابن النديم، المرجع السابق، ص٣٥٤.

٦٣ - القفطي، المصدر السابق، ص٣٨٦.

٦٤ - ابن جلجل، المصدر السابق، ص٨٦.

٦٥ - ابن اسحق: حنين، كتاب المولودين، تحقيق: يوسف حبي، مطبوعات مجمع اللغة السريانية، (بغداد:١٩٧٨)، ص٣.

٦٦ - فروخ، المرجع السابق، ص١١٣.

٦٧ - عبد الباقي، المرجع السابق، ص:٢٨.

٦٨ - القفطي، المصدر السابق، ص٢٦٣.

٦٩ - عبد الباقي، المرجع السابق، ص٢٧٥.

٧٠ - رفاعي، المرجع السابق، ص٢٨٩.

٧١ - ابن العبري: غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون الطبيب الملطي، تاريخ مختصر الدول تصحيحه وفهرسة: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، (لبنان: ١٩٨٣)، ص١٣٩.

٧٢ - فروخ، المرجع السابق، ص١١٢.

٧٣ - ابن جلجل، المصدر السابق، ص٧٦.

٧٤ - ابن النديم، المرجع السابق، ص٣٥٢.

٧٥ - عبد الباقي، المرجع السابق، ص٢٨٣.

المصادر والمراجع

١. ابن أبي أصيبعة: موفق الدين أبو العباس أحمد بن قاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، عيون الإنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، (بيروت، ١٩٦٥).

٢. ابن إسحق: حنين، كتاب المولودين، تحقيق:يوسف حبي، مطبوعات مجمع اللغة السريانية، (بغداد: ١٩٧٨).

٣. ابن العبري: غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون الطبيب الملطي، تاريخ مختصر الدول تصحيحه وفهرسة: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، (لبنان: ١٩٨٣).

٤. ابن النديم: أبو فرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق، الفهرست، تحقيق: رضا الحائري، (طهران: ١٩٧١).

٥. ابن جلجل: أبي داؤد سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، (القاهرة، ١٩٥٥).

٦. أبو ريان: محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية: ١٩٨٦).

٧. أطلس: محمد أسعد، تاريخ العرب، ط٢، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، (م.د: ١٩٧٩).

٨. أوليري: دي لاسي، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة: إسماعيل البيطار، ط١، دار الكتاب العباسي، (بيروت: ١٩٧٢).

٩. أوليري: دي لاسي، انتقال العلوم إلى العرب، ترجمة: مت يبيتون ويحيى الثعالبي، ط٤، (بغداد: ١٩٥٨).

١٠. بدوي:عبد الرحمن، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت: ١٩٩٥).

١١. بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط٩، دار العلم للملايين، (بيروت: ١٩٨١).

١٢. البعلبكي: منير، الإسلام والعرب، ط١، دار العلم للملايين، (بيروت: ١٩٦٢).

١٣. الجاحظ: أبي عثمان بن عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ(٤)أجزاء، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة السنة المحمدية، (القاهرة: ١٩٦٤)، ص٢٠٨.

١٤. الجبوري: أحمد إسماعيل عبد الله، علاقة الخلافة العباسية بالعلماء في العصر العباسي الأول، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة الموصل: ١٩٩٧).

١٥. الجميلي: رشيد، حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجري، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، (بغداد: ١٩٨٦)

١٦. حبي: يوسف، حنين بن إسحاق، دار الحرية للطباعة، (بغداد: ١٩٧٤)

١٧. حسن: زكي محمد، تراث الإسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: ١٩٢٨).

١٨. حسن: حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧، مطبعة السنة المحمدية، (بيروت، ١٩٦٤)

١٩. الذهبي: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سيرة أعلام النبلاء، تحقيق: مأمون الصاغرجي، ج٤، ط١١، مؤسسة الرسالة، (بيروت: ٢٠٠١)

٢٠. رفاعي: أحمد فريد، عصر المأمون،ط٤،مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة: ١٩٢٨)

٢١. زعرب: رهام، الترجمة في الثقافات، شظايا أدبية، (د.م: ٢٠٠٦).

٢٢. زيدان: جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، ج٣، مطبعة القاهرة، (مصر: ١٩٧٢).

٢٣. زيدان: يوسف، الترجمة في التراث العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ٢٠٠٠)

٢٤. السامرائي: خليل إبراهيم، دراسات في تاريخ الفكر العربي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (جامعة الموصل: ١٩٨٦)، ص٨١.

٢٥. الصرايرة: سليمان سالم جويعد، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، أطروحة دكتوراه في التاريخ غير منشورة، كلية الدراسات العليا، (الجامعة الأردنية: ١٩٩٧)، ص١٤.

٢٦. طاقة: رنا صلاح، العلاقات الدبلوماسية بين العباسيين والبيزنطيين، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى كلية التربية، (جامعة الموصل :١٩٩٩)، ص ١٣١.

٢٧. عبد الباقي: أحمد، معالم الحضارة العربية في القرن

الثالث الهجري. ط١. مركز دراسات الوحدة العربية. (بيروت: ١٩٩١).

٢٨. عبد الرحمن: حكمت نجيب. تاريخ العلوم. دراسات في تاريخ العلوم عند العرب. (الموصل: ١٩٧٧).

٢٩. العدوي: إبراهيم محمد. الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم. ط٢. مكتبة الأنجلو المصرية. (القاهرة. ١٩٥٨).

٣٠. علي: عصام الدين محمد. بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة.منشأة المعارف بالإسكندرية. (مصر: ١٩٨٦).

٣١. غوتاس: دمتري. الفكر اليوناني في الثقافة العربية: ترجمة: نيقولا زيادة. المنظمة العربية للترجمة. مركز دراسات الوحدة العربية. (بيروت: ١٩٩٣)

٣٢. فروخ: عمر. تاريخ العلوم عند العرب. دار العلم للملايين: (بيروت: ١٩٨٠)

٣٣. القفطي: جمال أبو الحسن علي بن يوسف. تاريخ الحكماء، وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب أخبار العلماء بإخبار الحكماء. مكتبة المثنى (بغداد: ١٩٨٩).

٣٤. الكروي: إبراهيم سلمان، وعبد التواب شرف الدين. المرجع في الحضارة العربية الإسلامية. ط٢. منشورات ذات السلاسل. (الكويت: ١٩٨٧).

٣٥. ماجد: عبد المنعم. تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى. ج٢. مكتبة الأنجلو المصرية. (القاهرة: ١٩٧٣).

٣٦. اليعقوبي: أحمد بن إسحاق. مشاكل الناس لزمانهم. تحقيق: وليم ملورد. ط١. دار الكتاب الجديد. (بيروت: ١٩٦٢).

٣٧. اليوزبكي: توفيق سلطان. تاريخ أهل الذمة في العراق دار العلوم للطباعة والنشر. (بيروت: ١٩٨٣).

حقوق التأليف في الوطن العربي

انتصار العمري
صنعاء - اليمن

المقدمة:

تعاني معظم الدول العربية، ومن بينها اليمن من قلة المؤلفين لا سيما التأليف في المجالات العلمية، والسبب في ذلك قد يعود إلى عدم قدرة هؤلاء المؤلفين على إخراج أفكارهم إلى حيز الوجود، لأن مثل هذه الأعمال تحتاج إلى قدرات وكفاءات عالية لا يستطيع الشخص العادي ابتكارها والإبداع فيها، أو إلى الأنانية في احتكار المعلومات، أو إلى تردي الأوضاع الاقتصادية التي صرفت بعقله أو بأفكاره إلى البحث عن مجالات أخرى لتحسين مستوى معيشته بعيداً عن حقل التأليف والكتابة، باعتبارهما غير مجديين في النهوض بأحواله المعيشية إلى المستوى الذي يبتغيه.

وعند مقارنة أوضاعهم المعيشية بأوضاع من سبقوهم في هذا المجال. لاسيما النساخين أو من سموا بالوراقين. سنجد أن هؤلاء قد استطاعوا من خلال الكتابة توفير العيش والحياة الضرورية من وراء ما يكتبون، مع أنه لم تكن لديهم وسائل أخرى غيرها يكسبون من ورائها عيشهم. إلا أنهم استطاعوا بذلك المردود ان يتحملوا أعباء الحياة القاسية. أما في الوقت الحاضر. فما عسى أن يفعله الكاتب أو المؤلف لو اعتمد على كسب العيش من وراء ما يكتب فقط. فهل سيستطيع تغطية تكاليف معيشته؟ خاصة والظروف الاقتصادية تسير به من سيىء إلى أسوأ. كما أن الوقت المهدور والجهد المبذول في الركض وراء لقمة العيش قد فوتا عليه الفرصة في إنجاز أية أعمال فكرية.

ولو افترضنا أن الكاتب أو المؤلف يمتلك القليل من الوقت للقيام بإنجازها فقد لا تساعده ظروفه المادية على تحمل طباعة عمله أو مُؤلَفه. ولو أراد أن يشرك جهة ناشرة أياً كان شكلها أن تتحمل

معه هذه التكاليف، فسيواجه مشكلة أخرى بفرض شروطها المجحفة، التي لا تتفق أصلاً مع عقل أو منطق، ولكن المؤلف بتلك الظروف المحيطة به يوافق مجبرا على هذه الشروط، إما ببيع حقه كاملاً مقابل عائد مادي بسيط وبضعاً من النسخ، أو في اقتسام الأرباح، وهذا أبسط أنواع الاستغلال، إلى جانب عدم المصداقية في التعامل مع المؤلف باستخدام طرق ملتوية كالمماطلة وعدم الالتزام بمواعيد النشر المتفق عليها وغير ذلك.

وقد يصل الأمر بالمؤلف إلى أسوأ من ذلك بسرقة حقوقه الفكرية من قبل المزورين أو قراصنة النشر، فغياب قوانين الإيداع سهل عملية الاستيلاء على هذه الحقوق، كما أن التهاون في تطبيق هذه القوانين من قبلهم، بعدم إيداع نسخ من مطبوعاتهم وفقاً لما تنص عليها القوانين، فإنهم بذلك قد وفروا أجواء مناسبة بضياع حقوقهم الفكرية، وكذلك أيضاً التهاون من قبل الجهات الرسمية بجعل قوانين الإيداع مجرد قوانين صورية، لبياض ماء الوجه فقط إلى جانب ما تواجهه أيضاً من مشكلات من قبل جهات أخرى، تارة من قبل قوانين الرقابة على المطبوعات، التي سمحت للجهات المختصة سلطة منع النشر، أو سلطة إدخال التعديلات على العمل نفسه، إما بحذف أجزاء منه، أو تغيير عنوانه، أو منعه من التـــداول، أو مصادرته، وإذا ما تمت المقارنة فيما بين نصوص هذه القوانين وبين نصوص قوانين الإيداع، سنجد أن نصوص الإيداع لا تتضمن عملية الحجر على الأفكار، أو التقييد منها، وهذا التضارب أو التنازع الواضح فيما بينهما، قد أثر بشكل كبير على نفسية المؤلف قبل أن يؤثر على حقوقه، لأن محور هذا التنازع هو المؤلف بالدرجة الأولى، وفي ظل هذا التنازع فإن الغلبة أصبحت بطبيعة الحال لقوانين الرقابة على المطبوعات، هذه القوانين التي تعتبر قوانين مجحفة بحق المؤلف وبخاصة فيما تواجهه من منعطفات خطيرة أمام تكنولوجيا المعلومات وقراصنة النشر، فتكنولوجيا المعلومات بسرعتها وتطورها قد سهلت لكل قارئ الاستنساخ لنفسه من كتاب المؤلف، أما الأخرى فقد أتاحت لنفسها تزوير كتبه، بطباعتها ونشرها من جديد، أو ترجمتها دون معرفة المؤلف بذلك، أو أخذ إذن مسبق منه.

وخلاصة القول: إن المؤلف يتعرض لمشكلات عدة، جعلته غير قادر على مواجهتها، للمحافظة على حقوقه الفكرية، والتي تعتبر من الملكيات الخاصة ولكنها ليست كسائر الملكيات.

من أجل ذلك كله فإن الأهمية والهدف من هذا البحث تكمن في التعرف إلى هذه الحقوق وأنواعها، وكذلك التعرف إلى القوانين والتشريعات التي قامت بحمايتها، وهذا ما سيتم الكشف عنه من خلال تطبيق المنهج الوصفي التحليلي على بعض الدول العربية، التي أختيرت كنماذج لتمثل مجتمع البحث.

المبحث الأول: حركة الوراقة والوراقين

ظهرت حركة الوراقة في القرن الأول الهجري، وبدأت بالتوسع في نهاية القرن الثاني، وقد أطلق عليها في العصر الحديث اسم (حركة النشر)[١].

الوراقة :-

عرف ابن خلدون الوراقة بأنها عملية الاستنساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين[١].

الوراقون:-

وهم النساخون أو القائمون بعمليات النسخ والتصحيح والتجليد وبقية الأمور الأخرى التي تتعلق بالإخراج النهائي (الفني) لشكل الكتاب. ويمكن أن نطلق عليهم في الوقت الحاضر اسم (الناشرين)، كما يمكن القول أن هؤلاء الوراقين عند تأديتهم لهذه الأعمال. إنما يؤدونها كمهنة أساسية أو صناعة شريفة كمحترفين لها حيث ساعدتهم هذه المهنة إلى جانب ما يكسبون منها لتغطية تكاليف معيشتهم، على تثقيف أنفسهم ذاتياً، من خلال القراءة والاطلاع على الكتب التي كانوا يقومون بنسخها. وبهذا علا شأن الكثير منهم وارتفعت منزلتهم. فأصبحوا علماء كغيرهم من العلماء، الذين أيضاً مارسوا الوراقة على سبيل الذكر: القاضي أبو سعيد السيرافي وهو من رجال القرن الرابع. كان زاهداً ورعاً لا يأكل إلا من كسب يده. ومن أجل هذا كان لا يخرج إلى مجلس الحكم ولا إلى مجلس التدريس في كل يوم إلا بعد أن ينسخ عشر ورقات. ويأخذ أجرتها عشرة دراهم. تكون قدر مؤونته. ثم يخرج إلى مجلسه، وكان ابن الأثير الأخر (ت ٥٦٨هـ) أيضاً قاضياً في الإسكندرية، وعالماً فاضلاً متبحراً في الفقه والنحو واللغة والحديث والأدب وعلم الوراقة[٢].

أما عن الوارقين المحترفين فمنهم محمد بن إسحاق النديم المعروف بإسحاق ابن أبي يعقوب الوراق. الذي يعتبر من أوسع الوراقين شهرة واطلاعاً على الكتب والمصنفات. وأبعدهم صيتاً. تلقى تعليمه في سنة (٣٤٠هـ) مع مجموعة من العلماء، كما أخذ عنهم: ألف كتاباً أسماه (الفهرست) جمعت مواده منذ وقت مبكر، وقد اكتمل في سنة (٣٧٧هـ). لم يعش ابن النديم طويلاً بعد الفراغ من نسخ هذا الكتاب. بسبب ثقل وطأة المرض عليه الذي جعله يعجل بإخراجه للناس: ومما يدل على ذلك وجود صفحات بيضاء متروكة في الكتاب المذكور، وقد توفي على ما ذكره الصفدي والذهبي والمقريزي في يوم الأربعاء من شعبان سنة ستة وثمانين وثلاثمائة[٤].

وهناك رأي يقول أن مالك بن دينار (المتوفى سنة ١٣٠هـ) مولى أسامة بن لؤي بن غالب هو أول الوراقين استناداً إلى ما يروى عنه من أنه كان يكتب المصاحف بالأجرة. وأن جابر بن زيد الأزدي دخل عليه فوجده يكتب المصحف، فقال له: مالك صنعة إلا أن تنقل كتاب الله من ورقة إلى ورقة. هذا والله كسب حلال، هذا والله كسب حلال. ولكن ابن النديم له رأي آخر. حيث يقول: إن مالكاً أحد اثنين كانا يكتبان المصاحف في الصدر الأول، أولهما وأسبقهما خالد بن أبي الهياج الذي كان يوصف بحسن الخط. والذي اختص بكتابة المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك. والذي يقال: إن عمر بن عبد العزيز سأله أن يكتب له مصحفاً على مثال المصحف الذي كان في قبلة مسجد النبي (ﷺ) فكتب له نسخة من المصحف جميلة فأقبل عمر يُقبله ويستحسنه واستكثر ثمنه، فرده عليه. كما ظهرت طبقة من العلماء من غير الوراقين لم يمارسوا هذه الصناعة. بل اعتمدوا كثيرا على الوراقين أنفسهم كمساعدين لهم في نسخ مؤلفاتهم إلى جانب النسخ لغيرهم. على سبيل المثال: الوراق عبد الوهاب بن عيسى أبي حته، الذي كان يورق لحنين بن إسحاق. والوراق أحمد بن أحمد الشافعي. الذي كان يورق للمؤرخ الجهشاري، والوراقان ابن الزجاجي إسماعيل بن أحمد والشاش إبراهيم بن محمد. اللذان كانا

يورقان للمبرد. والوراقان أيضاً سلمة بن عاصم وأبو نصر بن جهم. اللذان كانا يورقان للفراء. وقد روى ياقوت الحموي أن علي بن المغيرة الأثرم كان وراقاً في زمن الرشيد. وكان سهم بن إبراهيم الوراق وراقاً ومن شعراء القرن الثاني. كما كان من أدباء القيروان. وذكر السمعاني أن أبا جعفر كان يورق للفضل بن يحيى بن خالد بن برمك. وكان علاّن الشعوبي نساخاً في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة. له دكان لبيع الكتب ونسخها. وكان يورق عنده فتى يدعى بالفيرزان. وكان أبو محمد ثابت بن أبي ثابت عبد العزيز اللغوي يورق لأبي عبيد القاسم بن سلام (١٥٧-٢٢٤هـ) وكان أبو القاسم عبد الوهاب بن أبي حية وأبو يحيى زكريا بن يحيى يورقان للجاحظ. وكان الحسين بن عبد الله بن شاكر السمرقندي (المتوفى سنة ٢٨٢هـ يورق لداود بن علي الأصفهاني[٥].

ومن أشهر الوراقين الذين تميزوا بحسن الخط نذكر منهم :-

أحمد بن محمد القرشي (ت٢٧١ - ٣٥٠هـ) الذي يصفه ابن عساكر بأنه (صاحب الخط المشهور) وأحمد بن محمد بن أبي أنس الخلال وهو (من رجال القرن الرابع) صاحب الخط الجميل الرائق والضبط المتقن الفائق. والمحسن بن الحسين بن كوجك (المتوفى سنة ٤١٦) وخطه معروف ومرغوب فيه يشبه خط الطبري. كما يقول ياقوت الحموي. ومحمد بن حمودن الغافقي وهو (من رجال القرن الرابع) أيضاً المشهور بحسن ضبط الخط. كما يقول ابن النرضي وعباس ابن عمرو الصقلي ويوسف البلوطي المعروفين بالضبط وحسن الخط كما يقول المعري وغيرهم الكثير[٦].

❖ أشهر الخطاطين:

نشأت بين النساخ جماعة فاقت أقرانها بحسن الخط وجودته. والبلوغ به مبلغ الذروة. وهؤلاء هم الخطاطون الذين نالوا شهرة كبيرة. إلى درجة أن الناس كانوا يغالون في إحراز ما كتبته أناملهم من بدائع الخط.

ومن هؤلاء على سبيل الذكر :-

١ - خالد بن أبي الهياج وهو من رجال (القرن الأول الهجري).

٢ - أبو يحيى مالك بن دينار (١٣١هـ ٧٤٩م).

٣ - قطبة المحرر (١٥٤هـ ٧٧٠م).

٤ - الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ ٧٩٧م).

٥ - الضحاك بن عجلان (١٣٢هـ ٧٤٩م).

٦ - إسحاق بن حماد الكاتب (١٣٦هـ ٧٥٤م).

٧ - إبراهيم السجري (٧١٠م).

٨ - علي بن عبيدة الريحاني (٢١٩هـ ٨٧٤م).

٩ - أبو علي محمد بن علي المعروف بابن مقلة (٣٢٨هـ ٩٨٠م).

١٠ - ابن البواب أبو الحسن علي بن هلال (٤٢٣هـ ١٠٣٢م).

١١ - ابن الخازن أبو الفضل أحمد بن محمد الينوري (٥١٨هـ ١٢٢٤م).

١٢ - ياقوت المستعصمي (٦٩٨هـ ١٢٩٨م). وغيرهم[٧].

❖ حوانيت الوراقين :-

كانت محلات الوراقين إلى جانب أنها دور نشر منتديات أدبية ومجالس علمية تجمع الكثير من الطبقات كالعلماء والأدباء والمثقفين. فكان الأدباء

حقوق التأليف في الوطن العربي

والشعراء يتنهزون فرصة تجمع الناس ليقدموا بنشاط واسع من الناحية الأدبية على عقد الخطب والمناشدات أو المناظرات في الشعر. وغير ذلك من الشؤون المختلفة كالمقابلات والمناقشات بين طلاب العلم وعلمائهم.

وقد ذكر التوحيدي في كتابه (المقابسات) العديد من تلك المناظرات التي جرت في سوق الوراقين ببغداد. وذكر ياقوت في معجم البلدان عند حديثه عن أرباض بغداد. ثم ربض وضاح مولى أمير المؤمنين الذي به أكثر من مائة حانوت للوراقين. وصاحب الفهرست يشير إلى أكثر من سوق للوراقين ببغداد. وفي قرطبة نالت حوانيت الوراقين شهرة واسعة. فقد كانت بلاد الأندلس أكثر اهتماماً واعتناءً بخزائن الكتب في عهد الطولونيين. والإخشيديين حيث بُنيت سوق للكتب سنة (٢٧٠هـ تقريباً). وروى اليعقوبي (ت٢٧٨هـ) أنه كان في عصره أكثر من مائة وراق في بغداد وحدها[٨].

المبحث الثاني: حركة النشر

❖ النشر لغة:

عرفه ابن منظور قائلاً: النشر خلاف الطيّ - نشر الثوب ونحوه: ينشره. أو نشره: بسطه. وانتشر الخبر: أذيع، ونَشر الخبر: أي إذاعته[٩].

❖ النشر اصطلاحاً:

من منطلق دراسة الباحثة لمجال النشر. يمكنها تعريف النشر بأنه: وسيلة لإيصال المعلومات إلى المستفيدين. كخدمة ضرورية في المجتمع وهو أيضاً رسالة إنسانية لنشر العلم والمعرفة. إضافة إلى أنه سلسلة متتابعة من الأنشطة تبدأ بتسليم النسخة المخطوطة (المكتوبة بخط اليد) وطباعتها على هيئة كتاب. من أجل نشره وتوزيعه كما يُعد من أهم عناصر الاتصال والتواصل. كونه يمثل نشاطاً فكرياً. وكونه أيضاً عملية فنية تتأثر بعوامل عديدة اجتماعية واقتصادية وسياسية. تخضع لقوانين العرض والطلب والمناخ الثقافي.

❖ الناشر:-

وهو المخطط والمنظم والمجمع. الذي يأخذ بزمام المبادرة والمغامرة في مشروع إنتاج الكتاب بتسلم النسخة المخطوطة (المكتوبة بقلم المؤلف) فيراجعها ويهيئها ويقدمها إلى المطبعة. ويتولى تصحيحها وإخراجها. لإيصالها إلى القارئ[١٠].

ويمكن تعريف الناشر أيضاً بأنه الشخص أو الهيئة المسؤولة عن طبع الكتاب أو هو الطابع "المطبعة" أو هو "المؤلف نفسه". أو هو الجهة التي تتولى النشر "مؤسسة النشر".

بالإضافة إلى أنه من يقوم بتقديم ونشر الكتب في جميع مجالات المعرفة ومتابعة كل مفيد وجديد لنشره بشكل جيد. فضلاً عن كونه حلقة وصل بين من ينتج المعلومة "المؤلف" وبين من يستهلكها "القارئ".

❖ دور النشر:

وهي المؤسسات التي تضطلع بمهمة إنتاج الكتاب ونشر المعرفة. أما دار النشر فهي الجهة التي تختص أساساً بإصدار الكتب. وأحياناً تقوم بصناعته عبر مراحل تطوره المختلفة. كما تقوم ليس بصفة إلزامية بتوزيع الكتاب على مناطق ومراكز بيعه المختلفة. إضافة إلى كونها حلقة وصل بين المؤلف والقارئ فتُقدم للقارئ شكل الكتاب الذي تقوم بإصداره مؤلفاً كان أو مترجماً أو محققاً[١١].

❖ أشكال النشر :-

هناك خمسة أشكال للنشر هي :-

١) النشر الذاتي :

وهو الذي تكون فيه العلاقة مباشرة بين المؤلف والمطبعة.

٢) النشر الخاص :

وهو الذي تكون فيه العلاقة بين المؤلف والناشر.

٣) النشر الرسمي أو الحكومي:

وهو الذي تقوم به الجهات الرسمية أو الحكومية.

٤) النشر التجاري :

وهو النشر الذي لا تظهر فيه العلاقة بين المؤلف والطابع أو المطبعة.

٥) النشر الوقف:

وهو الذي يكون على نفقة جهة معينة. وقد لا ترغب في الإعلان عن نفسها[١٢].

ومن الملاحظ أنه إذا ما قورنت حركة النشر بحركة الوراقة. فإلى جانب البعد الزمني فيما بينهما سنجد أن هناك أيضا بعداً فكرياً وثقافياً كبيرا. حيث أصبحت دور النشر في الوقت الحاضر مجرد مخازن للمطابع والكتب المطبوعة فقط. وابتعادها كل البعد لأن تكون منتديات ثقافية أو علمية أو أدبية. وكما يلاحظ أيضاً أن معظم مراكز الدراسات والنشر وبحسب ما تشير لافتاتها العريضة أن كلمة دراسات قد سبقت كلمة نشر. ولكن عندما نقترب من هذه المراكز سنجد أنها مجرد دور للنشر بثوب (دراسات) فقط.

المبحث الثالث: حركة التأليف

منذ منتصف القرن الأول الهجري تقريباً بدأت التأليفات العربية تخرج إلى حيز الوجود، يذكر ابن النديم أن زياد بن أبيه (المتوفى سنة ٥٣هـ) أول من ألف كتاباً في المثالب. ويقال أن خالد بن يزيد بن معاوية المتوفى سنة (٨٥هـ) كان على علم بالطب والكيمياء. وفي الربع الأخير من القرن الأول الهجري كانت الكتب قد كثرت، لدرجة أن الخلفاء من بني أمية جعلوا لها خزائن خاصة بها. وفي أوائل القرن الثاني الهجري نجد أن الكتب قد كثرت وشاعت بين الناس، ويروي لنا الجاحظ أن الكتب التي كتبها أبو عمر بن العلاء (٧٠-١٥٤هـ) عن العرب الفصحاء، قد ملأت بيتاً له قريباً من السقف. ثم إنه تقرأ (تنسك) فأحرقها جميعاً. ومن الملاحظ أن كتب القرن الأول وأوائل القرن الثاني لم تكن في أغلبها سوى مباحث مفردة لا يجاوز كل منها حدود المسألة التي يناقشها. إلى ما يتصل بها أو يدور حولها فكان الكتاب بمثابة فصل من فصول كتاب من الكتب الحديثة، ومثال على ذلك (مسائل نافع بن الأزرق التي تنسب إلى ابن عباس. والتي نشرها محمد فؤاد عبد الباقي. ملحقة بمعجم غريب القرآن). وبظهور حلقات الدرس ومجالس الإملاء في القرن الثاني بدأ التأليف يتجاوز حدوده القديمة وأصبح العالم لا يلتزم بموضوع محدد. وإنما يتعرض لأكثر من موضوع ويتناول أكثر من فن من فنون المعرفة في المجلس الواحد.

وكان من الطبيعي أن يبدأ التأليف في الحديث والتفسير والمغازي قبل غيرها من العلوم. لأنها تخدم النص القرآني وتساعد على فهمه وتقريبه

إلى الأذهان، ومن ثم إذا أمعنا النظر فسوف نرى أن مغازي الرسول (ﷺ) قد جمعها عروة بن الزبير، ووهب بن منبه ومحمد ابن إسحاق. أما أحاديثه الشريفة فقد جمعها ابن شهاب الزهري بأمر من عمر بن عبد العزيز في مطلع القرن الثاني الهجري، ثم لم تلبث أن ظهرت المسانيد، ومن بعدها الكتب المبوبة. كذلك شهد القرن الثاني بدايات التأليف في النحو، ولم يلبث العرب أن أحسوا بالحاجة إلى تدوين تراثهم وتاريخهم فظهرت كتب في اللغة والشعر والتاريخ متأثرة في أول أمرها بطريقة التأليف في الحديث الشريف، فكان الإخباريون خاصة لا يسوقون خبراً إلا مشفوعاً بسلسة من الأسانيد التي تكشف عن مدى الثقة به والاطمئنان له[١٢].

وهكذا يمكن القول: أن حركة التأليف العقلية قد بدأت في القرن الثاني الهجري، ولم تلبث أن ازدهرت ازدهاراً كبيراً في القرون التي تلته.

المبحث الرابع: الحقوق الفكرية

❖ **الملكية الفكرية:-**

ويقصد بها "ما يبدعه فكر الإنسان من اختراعات ومصنفات أدبية وفنية ورموز وأسماء وصور مستعملة في التجارة"[١٤].

❖ **النتاج الفكري:-**

ويقصد به "تلك المعلومات التي يفرزها العقل البشري، تسجل على وسيط خارجي، قابل للتداول والتناول بين الناس"[١٥].

❖ **الكتاب:**

وهو "خزانة المعارف الإنسانية ومستودع التجارب البشرية المتراكمة، يحفظها السلف للخلف، كي ينطلق منها ويبني عليها موفراً على نفسه عناء التكرار والإعادة"[١٦].

❖ **حماية الحقوق الفكرية:**

تشبه حقوق الملكية الفكرية غيرها من الحقوق، فهي تسمح للمبدع أو مالك البراءة، أو العلامة التجارية، أو حق المؤلف، بالاستفادة من عمله، أو استثماره، وقد وردت هذه الحقوق في المادة[٢٧] من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي ينص على الحق في الاستفادة من حماية المصالح المعنوية والمادية، الناجمة عن نسبة الإنتاج العلمي، أو الأدبي، أو الفني إلى مؤلفه. وتبرير أسباب مختلفة للنهوض بالملكية الفكرية وحمايتها، وهذه الأسباب:-

١ - يكمن تقدم البشرية ورفاهيتها في قدرتها على انجاز ابتكارات جديدة في مجالات التكنولوجيا والثقافة.

٢ - تشجيع الحماية القانونية الممنوحة، لتلك الابتكارات الجديدة على إنفاق مزيد من الموارد، لفتح المجالات لابتكارات أخرى.

٣ - يؤدي النهوض بالملكية الفكرية وحمايتها إلى دفع عجلة النمو الاقتصادي ويتيح فرص عمل وصناعات جديدة، ويرفع من نوعية الحياة وامكانية التمتع بها[١٧].

إن الوقوف على البدايات الأولى لحماية الحق الأدبي للمؤلف وخاصة فيما يتعلق بالتطور التشريعي له، مما ينبغي أن يتناوله البحث إذ هو منها بمثابة المقدمة للغاية، والبداية للنهاية، ولا تتم الفائدة في الوقوف على ما انتهى إليه حال تلك الحماية إلا بمعرفة بدايتها، ووفقاً للتطور الزمني الذي تبلورت فيه تلك الحماية، ونظراً لأن موضوع تلك الحماية مما يتصل بالثقافة والعلوم

والفنون والآداب، وهي قيم إنسانية عالمية، قبل أن تكون تراثاً إقليمياً محدوداً لدولة من الدول أو شعب من الشعوب، ومن ثم فإن مجال حمايتها لم يقتصر على الجانب التشريعي وحده، وإنما تعداه في المجال الدولي إلى جانب الاتفاقيات الدولية التي تنظم أمر تلك الحماية على المستوى الدولي، وإلى قيام المنظمات الدولية والعربية العاملة في مجال (حماية حق المؤلف)، ويرى بعض الباحثين أن بداية التطور التشريعي لحماية الحق الأدبي للمؤلف ترجع إلى القرن الثامن عشر، حيث برزت مستجدات جعلت وجود تلك الحماية أمراً لازماً، بعد ازدياد ظاهرة تقليد الكتب وطباعتها سراً، وتعدي الناشرين على المؤلفين بإصدار طبعات جديدة من كتبهم دون الرجوع إليهم، ودون مشاركتهم في الأرباح، كما لابد من الإشارة إلى أن بدايات الحماية المتررة لحقوق المؤلفين، تمتد جذورها، لتستقي أسس قيامها من أحكام التشريع الإسلامي، منذ عهوده الأولى، وإن كل تشريعات حق المؤلف الوضعي تأتي بعد التشريع الإسلامي في التسلسل الزمني[١٠].

كان الصحابة رضي الله عنهم يتلقون أمور الدين وأحكام التشريع، بطريق مباشر من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو عن طريق التبليغ ممن سمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو رأى أفعاله ولهذا فلم يكن يتصور أحد احتمال الكذب على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من هؤلاء الصحابة ومع أن صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد شُهد لهم بالعدل، إلا أنهم كانوا مبالغة في تحري نسبة الحديث إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يثبتون مما ينقله الرواة عنه، حتى ولو كانوا من الصحابة، وكان أول من سن تلك السنة الحسنة، هو الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، وبعد أن تباعد الناس عن عصر الصحابة، باتت الحاجة ماسة إلى العلم بالأسانيد للتثبت من أمر النقلة، ولأهمية الإسناد وحرص العلماء على القراءة على الشيوخ وتلقي المصنفات بالأسانيد، أنساب الكتب، كما روي عن الحافظ ابن حجر العسقلاني، وكانت الإجازة في الحديث مقررة عند أهل الشأن ولم يقصر التحمل والأداء عند المحدثين على الإجازة فقط، بل كان معها المناولة والوجادة ونحوها، وقد ظهرت المسانيد كثمرة لعلم الإسناد، وذلك مثل مسند الإمام أحمد بن حنبل وغيره، وقد تطور علم الإسناد بعد ذلك ليتضمن المبادئ الأساسية لحق المؤلف، بما تستلزمه من أمانة علمية، وتحريم الكذب والتدليس، والسرقة والانتحال المعروف باسم قرصنة الكتب، ونظام الإيداع الذي كان يطلق عليه (التخليد)[١١].

وختاماً يمكن القول : إن التشريع الإسلامي يتضمن بما لا يدع مجالاً للشك كل المبادئ التي تصلح لصياغة نظام إسلامي يحمي حقوق المؤلف على خير وجه وأحسنه.

❖ الاتفاقات الدولية لحماية الحقوق الفكرية :-

هناك اتفاقيات دولية تكفلت بحماية هذه الحقوق سواء أكانت على المستوى العالمي أم مستوى الدول العربية، وهذه الاتفاقيات هي:-

أولاً: الاتفاقيات الدولية على المستوى الدولي (الأجنبي):

إن من أبرز حقوق الإنسان حقه فيما يبتدع ويبتكر في المجال الفكري والأدبي والفني والعلمي، ومن هنا قررت أغلب الدول خاصة المتقدمة مبدأ

الحماية، وقد صدرت قوانين خاصة تكفل للمبدعين حقوقهم المعنوية والمادية. ولعل أبرز جهد جماعي لحماية حق المؤلف يتمثل في اتفاقية (برن) للملكية الفكرية المعقودة عام (١٨٨٦)، وقد بلغ عدد الدول المشتركة في هذه الاتفاقية (١٢١) دولة حتى آذار (١٩٩٧م). وقد أعيد النظر في هذه الاتفاقية المبرمة في باريس عام (١٩٨٦م). وفي برلين عام (١٩٠٨م) واستكملت في برن عام (١٩١٤م) وأعيدت في روما عام (١٩٢٨م). وفي بروكسيل عام (١٩٤٨م) وفي استوكهولم عام (١٩٦٧م)، وبعدها وضعت الاتفاقية العالمية لحقوق المؤلف المعدلة في باريس عام (١٩٧١م)، والتي تتضمن أحكاماً خاصة بشأن الدول النامية طبقاً للقاعدة المتبعة في الجمعية العامة للأمم المتحدة ألا تتقيد في بعض الحالات المعينة بهذه المعايير الدنيا للحماية فيما يتعلق بحق الترجمة وحق الاستنساخ[٢٠].

ثانياً: الاتفاقيات الدولية على مستوى الدول العربية:

أعدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية، الاتفاقية العربية لحماية حقوق المؤلف، التي أقر نصها في بغداد عام (١٩٨١م) وهي تهدف إلى وضع صيغة لنظام عربي موحد يحمي حقوق المؤلفين يتلاءم وظروف الدول التي وقعت عليه، وتضاف إلى الاتفاقيات الدولية الأخرى الصادرة في هذا الشأن مثل اتفاقية برن دون المساس ببنودها.

تضمنت هذه الاتفاقية أحكاماً خاصة بحماية حقوق المؤلفين العرب لتشجيعهم على الإبداع والابتكار. وأهم أحكامها على سبيل المثال لا الحصر: تحديد المؤلفين المشمولين بالحماية، مدة الحماية، انتقال حقوق المؤلف، وسائل حماية حقوق المؤلف..... إلخ [٢١].

بدأت قوانين حماية حق المؤلف في منطقتنا العربية متأخرة إلى حد ما. وكان أول قانون لحماية حق المؤلف عرفته البلاد العربية هو قانون حق التأليف العثماني الصادر عام (١٩١٠م)، والذي كانت بعض الدول العربية حتى عهد قريب تعمل به، على سبيل المثال الأردن. وقد قدم مشروع قانون تم وضعه حديثاً في الأردن لحماية حقوق المؤلف إلى اللجنة الدائمة لحماية حقوق المؤلف المنبثقة عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في دورتها الأولى التي عُقدت في تونس في الفترة من ١٤ – ١٧ ديسمبر (١٩٨٣م). وكانت المغرب أول دولة تستبدل هذا القانون، بقانون حماية المؤلفات الأدبية والفنية الصادر سنة (١٩١٦م) وتبعها لبنان الذي أصدر قانوناً لحماية حق المؤلف سنة (١٩٢٤م). وفيما عدا هذه القوانين الثلاثة، لم يشهد النصف الأول من القرن الماضي أي تطور تشريعي في مجال حماية حق المؤلف في البلاد العربية، حيث لم تكن هناك قوانين خاصة به، وإنما كانت هناك بعض الأحكام الخاصة بحماية حق المؤلف ضمن القوانين المدنية وقوانين العقوبات الخاصة بها. ثم بدأت بوادر الوثبة التشريعية الشاملة التي شهدها العالم العربي، في مطلع النصف الثاني من القرن الماضي، مما أسفر عن بدء صدور التشريعات العربية، بالقانون اللبناني لحماية حق المؤلف، الصادر عام (١٩٤٦م) ثم تلاه بعد ذلك:

- القانون المصري لحماية حق المؤلف رقم (٣٥٤) لسنة ١٩٥٤م.

- القانون التونسي الخاص بالملكية الأدبية والفنية رقم (١٢) لسنة ١٩٦٦م.
- القانون الليبي لحماية حق المؤلف رقم (٩) لسنة ١٩٦٨م.
- القانون المغربي لحماية المؤلفات الأدبية والفنية رقم (١٣٥) لسنة ١٩٧٠م.
- القانون العراقي لحماية حق المؤلف رقم (٧٣ - ١٤) لسنة ١٩٧٣م.
- القانون السوداني لحماية حق المؤلف الصادر بالمرسوم الملكي رقم (م/١١) بتاريخ ١٩/٥/١٤١٠هـ المنشور عام (١٩٩٠م)[٢٢].

ومما يلاحظ على المصدر المقتبس منه القوانين السابقة أنه اقتصر على ذكر بعض الدول العربية التي أصدرت تلك القوانين مع أن هناك دولاً أخرى كاليمن مثلاً، يوجد فيها قانون خاص بحماية حق المؤلف وهذا ما سيتم تناوله لاحقاً.

والجدير بالذكر أنه حتى إذا لم يكن لبعض الدول العربية الأخرى مثل هذه القوانين، فهذا لا يعني أن سياستها التشريعية للحقوق الفكرية قد خلت من أحكام.

والسؤال هنا هو ما ماهية هذه الأحكام ؟ وهل يمكن أن تقوم مقام القوانين الخاصة بحماية حق المؤلف، أو تكون عوضاً عنه؟ هذا ما سيتم الإجابة عليه من خلال الأمثلة الآتية:-

المثال الأول: الأحكام الناظمة لحقوق المؤلف في سوريا:

ثمة القرار (٢٣٨٥) الصادر في ١٧/١/١٩٢٤م عن المفوض السامي الفرنسي بشأن تنظيم حقوق الملكية التجارية والصناعية ويختص الجزء السابع من هذا القرار بالملكية الأدبية والفنية ورغم قدم هذا القرار، ورغم تجديد سوريا للكثير مما ورثته من تشريعات، إلا أنه لم يشر إلى أن القرار المذكور آنفاً، قد ألغي بمفعول عمل تشريعي أحدث، كذلك المواد من (٧٠٨) إلى (٧١٥) من قانون العقوبات الصادر عام (١٩٤٩م). أما الأحكام التي تشمل عليها النصوص السابقة يمكن تلخيصها فيما يلي:-

١ - من حيث المصنفات المحمية :

تنص المادة (١٣٨) من القرار (٢٣٨٥) على حماية المصنفات التي تظهر إبداعات بشرية سواء أكانت مكتوبة أم تصويرية أم حضرية أم شفوية، مثل الكتب والنشرات والدوريات والجرائد وغيرها. كما تنص المادة (١٣٩) على حماية الترجمة والاقتباس والاستنساخ دون الإخلال بحقوق مؤلف العمل الأصلي، وتنص المادة (١٤٠) على حماية مجموعة أجزاء مصنف هو في الملكية العامة، ولكن لدى جمع هذه الأجزاء معاً بشكل معين، ينتج لها طابع خاص، بالإضافة إلى المادة (١٤١) التي توفر الحماية للقصص وغيرها، والمادة (١٤٢) لحماية الخطب العلنية لشخص واحد، التي تجعله صاحب الحق الوحيد في جمعها، فضلاً عن المادة (١٤٦) لاقتباس عن أثر مادي، أو فني، أو علمي تناظر المواد آنفة الذكر، المواد (٧٠٨-٧١١) من قانون العقوبات.

٢ - من حيث مدة الحماية :

تنص المادة (١٤٣) على أن الحماية تمتد طيلة حياة المؤلف و(٥٠) سنة بعد وفاته لصالح ورثته، وتنص المادة (١٤٤) على أنه في حال المصنف المشترك، فتمتد الحماية إلى (٥٠) سنة، بعد وفاة آخر من يبقى حياً من المشتركين في تأليف

المصنف، أما مواد قانون العقوبات فلم تنص على مدة الحماية.

٣ - من حيث الحقوق المحمية :

تنص المواد (١٤٥-١٤٧) على أحكام تفصيلية. فيما يتعلق بالحقوق المحمية، فالمادة (١٤٥) تجعل من مؤلف المصنف الأدبي أو الفني صاحب الحق الوحيد في نشره، أو استنساخه أو ترجمته أو أدائه العلني أو الاقتباس عنه، أو تحويله من شكل إلى شكل، أو استعماله بأي شكل كان، أما المادة (١٤٦) فتنص على تصنيف تحويل المؤلف لحقوقه، وتعدد المادة ليس حصريا، أما المادة (١٤٨) فتنص على أن الحقوق المحمية، إنما تعود للمؤلف من لحظة إبداع المصنف المحمي بغض النظر عن جنسية المؤلف، ومكان نشر المصنف، وأخيراً تنص المواد (١٥٠-١٥٧) على أحكام خاصة بالمصنفات المشتركة (١٥٠) وعلى المصنفات الموسيقية والمشاركة فيها (١٥١ و١٥٢) وعلى المصنفات الفوتوغرافية (١٥٣) وعلى المصنفات التي لا تحمل اسم صاحبها (١٥٤-١٥٥) وعلى تحديد معنى النشر (١٠٦) وعلى طبيعة حق ملكية المصنفات الأدبية والفنية، حيث تعتبر المادة (١٥٧) هذا الحق ملكية قابلة للانتقال.

٤ - من حيث إدارة القانون:

ينص الفصل الثالث من القرار (٢٣٨٥) وهو المؤلف من المواد (١٥٨ — ١٦٨) على أحكام مفصلة حول الإيداع، والحكم الأساسي هنا هو ما تنص عليه الفقرة الأولى من المادة (١٥٨) إيداع المصنف، دون أي إجراء الإيداع، فالإيداع مسبق للقيام بعمل أمام المحاكم..

٥ - من حيث العقوبات:

ينص الفصل الرابع من القرار (٢٣٨٥) على عقوبات مخالفي حقوق التأليف في المواد (١٦٦ - ١٨٣) وتناظرها المواد (٧١٢-٧١٥) من قانون العقوبات[٢٢].

على ضوء ما سبق نستطيع القول إن القرار (٢٣٨٥) قد اشتمل على أحكام مفصلة فيما يتعلق بحقوق المؤلف، فهي متماثلة على وجه التقريب مع اتفاقية (برن) وقد صدر هذا القرار، عندما كانت سوريا تحت الانتداب الفرنسي، أما فيما يتعلق بالمواد الخاصة بالملكية الأدبية والفنية في قانون العقوبات الصادر بعد استقلالها، فهي ليست مفصلة بالشكل المطلوب الذي يتماشى مع مواد القرار المذكور سابقاً.

المثال الثاني: - الأحكام الناظمة لحقوق المؤلف في الكويت:

أما فيما يتعلق بالأحكام الكويتية، فليس هناك ما نعتمد عليه سوى القرار الوزاري رقم (٧٥١٧) الصادر عن نائب رئيس مجلس الوزراء، ووزير الإعلام بتاريخ ١/٥/١٩٧٥م. ويشير هذا القرار إلى القانون رقم (٣ سنة ١٩٦١م) بصدد المطبوعات والنشر. ينظم هذا القرار إجراءات حماية حقوق الفنانين الكويتيين بخصوص الأشرطة المسجلة والإسطوانات، فيقتصر بيع الأشرطة المسجلة والإسطوانات على المكتبات التي ترخص لها وزارة الإعلام بذلك، من قبل إدارة رقابة المطبوعات في وزارة الإعلام، كذلك ينص هذا القرار على إجراء تفتيش دوري على المكتبات المرخص لها ببيع هذه

الأشرطة المسجلة والاسطوانات، وعلى العقوبات التي تلحق بمخالفي هذا القرار الوزاري[٢٤]، كان ذلك فيما يتعلق بالأحكام. أما فيما يتعلق بالقوانين الخاصة بحماية حق المؤلف، فهذا ما سيتم توضيحه من خلال الأمثلة التالية:-

المثال الأول: قانون حماية حق المؤلف في العراق:-

كان العراق يعتمد في حماية حق المؤلف على تشريع عثماني، قام بترجمته إلى العربية، الشاعر معروف الرصافي. ونصت مادته الأولى على أن جميع الآثار الفكرية والعلمية بأنواعها يكون لأصحابها حق تملكها. ونصت المادة السادسة منه على (أن حق التأليف هو للمؤلف ما دام حياً، فإن توفي انتقل ذلك الحق لمدة ثلاثين عاماً بعد وفاته لورثته) وبعد صدور القانون المدني العراقي، عُد حق المؤلف ظاهرة جديدة بالحماية ونص عليها ضمن الباب الأول في القواعد العامة[٢٥].

أما عن هذه الحقوق بحسب ما أجمعت عليه التشريعات الوطنية لحقوق المؤلفين أيضا، والتي بُنيت في معظمها على ما جاء في اتفاقية (برن) لسنة ١٨٨٦م) فهي:-

١ - حق إنساب المصنف لمؤلفه :

القانون العراقي، عد الشخص الذي ينشر مصنفه مشمولا بالحماية المقررة بموجب حكم الفقرة (الثانية) من المادة الأولى التي نصت على أن (يُعد المؤلف الشخص الذي نشر مصنفه منسوبا إليه سواء أكان ذلك بذكر اسمه على المصنف أم بأية طريقة أخرى، إلا إذا قام الدليل على عكس ذلك، ويسري هذا الحكم على الاسم المستعار بشرط ألا يقوم أدنى شك في حقيقة شخصية المؤلف[٢٦].

٢ - حق تقرير النشر :

وهو يعني رغبة المؤلف الإعلان عن إنتاجه للناس، أو إبقائه محفوظا في أدراج مكتبه، ويحمي القانون للمؤلف من أن يكره على إعلان مالا يريد إعلانه، وقد نصت المادة السابعة بأن المؤلف وحده الحق في تقرير نشر مصنفه وهو المسؤول عن تقرير مدى صلاحية مصنفه، لكونه سيحمل اسمه وللمؤلف أيضا حق تحديد شكل المصنف وموعد نشره وناشره[٢٧].

٣ - حق تعديل المصنف :

نصت المادة (الثالثة والأربعين) من القانون العراقي المعمول به، بأن للمؤلف وحده إذا طرأت أسباب أدبية، أن يطلب من محكمة البداءة الحكم، بسحب مصنفه من التداول، بإدخال تعديلات جوهرية، رغم تصرفه في حقوق الانتفاع المالي، ويلزم المؤلف في هذه الحالة، بتعويض من آلت إليه حقوق الانتفاع المالي تعويضاً عادلاً تقدره المحكمة، التي لها أن تحكم بإلزام المؤلف أداء هذا التعويض مقدماً خلال أجل محدد، وإلا زال كل أثر للحكم، أو إلزامه بتقديم كفيل تقبله[٢٨].

المثال الثاني: قانون حماية حق المؤلف في اليمن :

صدر قرار جمهوري بالقانون رقم (١٩) لسنة (١٩٩٤م) بشأن الحق الفكري في المادة الأولى، التي تنص على (يهدف قانون الحق الفكري إلى حماية حق المؤلف والمكتشف والمخترع، لضمان حرية الخلق، وإنما التقدم التكنيكي وتنظيم

انتفاع كل منهم بأعمال وحماية مصالح المجتمع في الإفادة من ثمرات الإبداع الأدبي والعلمي والفني)[٢٩].

أما فيما يتعلق بالحقوق الفكرية المكفولة للمؤلف وفقاً لما جاء في القانون أعلاه: فهي:-

١ - حق إنساب العمل لمؤلفه:

نصت المادة (الثامنة) من القانون اليمني رقم (١٩) على "يعتبر المؤلف الشخص الذي نشر العمل منسوباً إليه، سواء أكان شخصاً طبيعياً، أم اعتبارياً، وذلك بذكر اسمه على العمل، أو بأية طريقة أخرى، ما لم يقم دليل على عكس ذلك"[٣٠].

٢ - حق النشر وتحديد طريقته:

نصت المادة (الثانية عشرة) من القانون رقم (١٩) بأن للمؤلف اليمني الحق في:

- تقرير نشر العمل وبيان طريقة النشر.
- حصانة العمل وحمايته.
- الحصول على مكافأة تتناسب وطبيعة العمل ونوعه عن استخدام الآخرين للعمل، عدا الحالات المنصوص عليها في القانون[٣١].

٣ - عدم الحق في تعديل وتغيير العمل:

نصت المادة (التاسعة عشرة) من القانون اليمني رقم (١٩) أنه "يحظر عند نشر العمل أو أدائه بأية صورة، إجراء أي تعديل، أو تغيير في العمل بالحذف أو الإضافة دون موافقة المؤلف، سواء أكان ذلك في العمل نفسه أم في تسميته، أم في اسم المؤلف، ويشمل ذلك المقدمات والخواتم والشروح والتعليقات والهوامش والإيضاح بالصور، ما عدا الأعمال التي تتطلب تعديلات تقتضيها الضرورة، أثناء التنفيذ مثل أعمال العمارة"[٣٢].

ومما يلاحظ من خلال القانون اليمني المذكور أنه لا يوجد رقابة على المطبوعات اليمنية مقارنة بغيرها من القوانين.

كان ذلك فيما يتعلق بحقوق المؤلف الفكرية، وأما فيما يتعلق بحقوقه المادية فيمكن القول إن له الحق في استنساخ مؤلفه أو طباعته داخل البلد أو خارجها في طبعة واحدة أو عدة طبعات بموجب اتفاقية بينه وبين الناشر، والتي يتم تحديدها عن طريق العقد المكتوب الذي يحدد هذه الحقوق أو التزامات كل منهما، كما يحق له أيضاً ترجمة مؤلفه من لغته التي كتب بها إلى لغة أخرى، إضافة إلى حقه في إذاعته وعرضه في التلفزيون والاستفادة من المردود من وراء ذلك.

• خصائص الحقوق الأدبية:-

تتمتع هذه الحقوق بمجموعة من الخصائص هي:-

١ - تتسم حقوق المؤلف الفكرية (المعنوية) في جوهرها بالأبدية، وذلك أن تلك الحقوق مخوله للمؤلف أثناء حياته وبعد مماته وإلى الأبد، أما إذا ترك المؤلف وصيه، بتعطيل حق من هذه الحقوق، فله ذلك أيضاً وإلى الأبد، كأن يوصي بوقف النشر، أو يسحب الكتاب من التداول.

٢ - لا يجوز للمؤلف التنازل عن حقوقه بأي حال من الأحوال، على سبيل المثال، ليس له أن يؤلف كتاباً وينسبه إلى شخص آخر حتى ولو كان ابنه، أو زوجته، أو أخاه هذا

إذا كان حياً.

٢ - لا يجوز الحجز عليها فإن كان المؤلف مديناً، فليس للدائن مثلاً أن يحجز على كتاب لم ينشر، ثم يقوم بنشره واستغلاله استغلالاً ماليا لهذا الدين؛ لأن قرار النشر منوط بالمؤلف وحده. وانما يمكن للدائن أن يحجز على نسخ منشورة بالفعل. وهذا ما يمكن أن نستدل به من القانون العراقي في مادته (الثانية والعشرين)، وكذلك من القانون اليمني في مادته (الحادية عشرة): اللذين ينصان على (لا يجوز الحجز على أعمال المؤلف للوفاء بديونه)[٣٣].

• **خصائص الحقوق المادية :-**

أما الحقوق المادية في خصائصها، فهي على النقيض تماماً من الحقوق الأدبية (المعنوية) السابقة، وهذه الخصائص هي :-

أ- إنها حقوق مؤقتة مكفولة للمؤلف أثناء حياته ولورثته من بعده لمدة خمسين سنة فقط في الاتفاقيات الدولية ومعظم التشريعات الوطنية. وفي حالة الكتب متعددة المؤلفين تحسب فترة الحماية من تاريخ وفاة آخر المشتركين في التأليف. ومن هنا فإن الورثة الذين مات مورثهم أولا يتمتعون بفترة استغلال أطول. أما بالنسبة للكتب المجهولة وكتب الهيئات، فإن فترة الحماية تحسب من تاريخ الوفاة حتى ولو كان قد مضى عليها عشرون سنة. وبعد فترة الحماية يسقط الكتاب في الملك العام.

ب- إن هذه الحقوق يجوز التنازل عنها بأوجه التنازل، ومن بينها الهبة والوصية والوقف، أو تركها للناشر. كما يجوز الحجر عليها استيفاء للديون على المؤلف. وتنقل هذه الحقوق إلى الورثة، ويجرى تصرفهم فيها كسائر الملكيات المادية التي تؤول إليهم من مورثهم[٣٤].

المبحث الخامس: الوسائل القانونية لحماية الحقوق الفكرية

هناك مجموعة من الوسائل القانونية المتعارف عليها لحماية حق المؤلف الفكري والتي تتمثل فيما يلي:-

أولا: عقد النشر:

يمكن القول: إن عقد النشر هو الوثيقة المكتوبة، التي يمكن من خلالها ضمان الحقوق والواجبات، سواء أكان للناشرين أم للمؤلفين وغيرهم، والتي تتضمن في محتواها اتفاقيات مختلفة، على سبيل المثال:

١ - اتفاقية بين المؤلف والناشر.

٢ - اتفاقية بين الناشر والمترجم.

٣ - اتفاقية شراء حقوق طبع الكتاب (Papper back).

٤ - اتفاقية بيع حقوق طبع الترجمة.... إلخ.

والجدير بالذكر أن هناك صيغ مختلفة للعقد المذكور، ولكنها تصب في معنىً واحد، ويمكن أن نورد صيغة واحدة لإحدى الاتفاقيات السابقة، لبيان مضمون ما احتواه هذا العقد من بيانات أو معلومات:-

بسم الله الرحمن الرحيم

تم الاتفاق بين كل من:-

الطرف الاول :........................ المؤلف

الطرف الثاني :........................ الناشر

على الآتي:

يقوم الطرف الثاني بتنفيذ طباعة الكتاب المقدم من الطرف الأول والمسمى ....

بالمواصفات التالية:-

• عدد الصفحات .... المقاس .... نوع الورق..........

• مواصفات الغلاف :..........................

• التجميع وتركيب الغلاف :........................

• الطبع حسب الأصول المقدمة من الطرف الأول جاهزة للطبع، وعلى

مسؤوليته الكاملة الأدبية والمادية، كما يتحمل الطرف الثاني مسؤولية الإيداع القانوني.

• كلفة النسخة الواحدة ....

الكمية المطلوبة ....

• إجمالي المبلغ:..........................

يتم التسديد على النحو الآتي:

٥٠٪ عند التوقيع على العقد بسند مستقل.

٥٠٪ عند استلام المطبوعة.

• مدة الطبع / / / من تاريخ العقد، ويلزم الطرف الثاني باستبدال أو خصم قيمة أي نسخة بها تلف طباعي، خلال فترة أقصاها شهر واحد من تاريخ تسليم المطبوعات.

حرر في تاريخ / / /

وبالله التوفيق...

الطرف الأول :	الطرف الثاني
الاسم:	الاسم:
التوقيع:	التوقيع:

ومما نلاحظه من خلال العقد المذكور، لاسيما فيما يتعلق بمسؤولية الإيداع القانوني، أن الإيداع يقوم به الناشر وليس المؤلف.

والجدير بالذكر هنا أن الجهات المسؤولة بإصدار قوانين الإيداع في اليمن لم تلزم الناشرين بشكلٍ رسمي، مما جعل الجهة المخولة بالإيداع القانوني (دار الكتب) تقف أمامهم موقفاً لا تُحسد عليه، وكذلك أمام المؤلفين أنفسهم، فهناك من الناشرين ممن يعرفوا قيمتها ودورها فيقوم بإيداع النسخ بحسب ما يتفضل به المؤلف عليها هذا إذا كان ممن يعرف قيمة الدار ودورها، أما الناشرين أو المؤلفين الذين لا يألون اهتماماً بها أو لا يعرفون ما ماهيتها، فإنه لا يدخل إلى دار الكتب من منشوراتهم أو مؤلفاتهم أي شيء، وكان من الأحرى بالجهات المسؤولة ما دام وقد أصدرت كل هذه القوانين أن تُلزمهم بشكل قانوني حتى يتسنى النهوض بدار الكتب إلى مستوى أفضل على الأقل في الوقت الحاضر. خاصة بعد الدراسة التي قمت بها في عام (٢٠٠٦م) والتي شملت في محتواها هذا الجانب الهام والتي كشفتُ من خلالها ماهية الدار أمام المسؤولين أولاً ومن لهم علاقة بها ثانياً، وبالرغم أيضاً من المقترحات والتوصيات التي وُضعت لها، إلا أنها لم تؤخذ بعين الاعتبار من قبل الجهات الرسمية بصفة خاصة، مع العلم أنني تكبدت في هذه الدراسة وعانيت في سبيلها الكثير.

ثانيا: قانون الايداع

وهو القانون الذي يلزم المؤلف والناشر، أو المطبعة، بإيداع النسخ التي ينص عليها هذا القانون إما بشكل مطبوع (كتب مجلات صحف...إلخ)، أو بأي شكل آخر (أفلام إسطوانات برامج...إلخ). حيث يتم إيداع هذه النسخ في الجهة المختصة بذلك، والتي يطلق عليها في الغالب اسم (المكتبة الوطنية).

ولو نظرنا إلى المعنى في ظاهر هذا القانون وفي باطنه أيضاً، فسنجد أن ظاهره يعني قيام المؤلف وكذلك الناشر في تأدية واجبه نحو هذه المكتبة التي يلقى على عاتقها إلى جانب ما تقوم به من خدمات ووظائف أخرى جمع النتاج الفكري على اختلاف أشكاله وأنواعه، ومن ثم حفظه وتنظيمه وبثه ونشره، لتستفيد منه الأجيال القادمة، أما في جوهره فيعني إسناد الحقوق الفكرية لأصحابها بشكل رسمي، عن طريق إعطاء صاحب هذا الحق أو المؤلف للعمل، شهادة إيداع به، حيث تعتبر هذه الشهادة بمثابة براءة الاختراع له، كما أن عملية الاستشهاد بأي عمل للمؤلف في الأبحاث والدراسات يعني التوثيق له أيضاً إلى جانب ما تقوم به المكتبة نفسها نحوه، سواء أكان في توثيق أعماله ضمن فهارسها أم ببيلوغرافياتها أم في عرض أعماله في المعارض الدولية المشتركة فيها...إلخ. ومع ذلك فهناك الكثير من المؤلفين والناشرين لا يلتزمون بواجباتهم نحو المكتبة الوطنية، أو في تطبيق القانون المذكور، لاعتقادهم الخاطئ أنهم عندما يعطون هذه المكتبة النسخ الموجبة حسب ما ينص عليه هذا القانون، سوف يكلفهم خسارة مادية، ويؤسفني القول أيضاً: إنهم بفعلهم هذا قد استبخسوا على أنفسهم وليس على المكتبة، فالاستبخاس في بضع نسخ قد يكون فيه ضياع للحق بأكمله، بضياع العمل نفسه، إما بسرقته، أو تقليده، أو تزويره، أو......إلخ، لأن هذا العمل لم يدون أو يوثق في سجلات الإيداع، لإعطائه رقما ومن ثم شهادة تثبت أنه أودع النسخ الموجبة بحسب القانون، وما دام لم يأخذ هذه الشهادة، فمن الصعب بعد ذلك إثبات حقه فيه، إذا ما صادفته ظروف كالتي ذكرناها فلماذا هذا الاستخفاف والتهاون في أهمية المكتبة الوطنية وفي دورها؟ سؤال نضعه بعين الاعتبار أمام المؤلفين والناشرين بصفة خاصة.

وسوف نقترب أكثر من قوانين الإيداع العربية للتعرف إليها وإلى ما تتضمنه بشكل تفصيلي من خلال قانون الايداع اليمني باعتباره أحد القوانين العربية، بالآتي:-

منذ مطلع القرن الماضي وبالتحديد منذ عام (١٩٠٩م) حتى عام (١٩٩٤م) صدر عدد من القوانين في اليمن، وقد نصت هذه القوانين في مجملها بحسب المواد فيها على إيداع المطبوعات في الجهات المختصة بالإيداع، وقد تمثلت فيما يلي:-

١ - قانون المطبوعات العثماني:

صدر هذا القانون بتاريخ ١٢/ يوليو سنة (١٩٠٩م) والذي كان مطابقاً آنذاك على ما كان يسمى بالشطر الشمالي من اليمن، نصت المادة (٤) من هذا القانون في الباب الأول فيما يتعلق بالمطابع على الإحاطة إلى أخذ رخصة لطابع الكتب والمجلات العلمية والفنية والأدبية والصناعية، إلا أنهم مطالبون بإرسال

حقوق التأليف في الوطن العربي

نسختين عقب الطبع... لإدارة المعارف في الولاية للحكومة المحلية. وإذا كانت المؤلفات دينية فلابد من أن ترسل نسختين أخريين إلى دار الفتوى.[٣٥]

٢ - قانون النشر وتسجيل الكتب فيما كان يسمى بـ (مستعمرة عدن):

صدر هذا القانون بتاريخ ٣/ يوليو سنة (١٩٣٩م). نصت المادة (٧) على: "يودع صاحب أي مطبعة نسخاً مطبوعة، أو منسوخة، أو مخطوطة، أو منسوخة وكاملة من كل كتاب يطبع أو ينسخ (يخط) في المستعمرة مشتملاً على جميع الخرائط والرسومات".[٣٦]

٣ - قانون مطبوعات العهد الجمهوري :

صدر هذا القانون بتاريخ ١٨ نوفمبر سنة (١٩٦٨م)، نصت المادة (٧) منه على: (يجب عند إصدار أي مطبوع إيداع عشر نسخ منه في كل من وزارة الإعلام، أو فروعها في المحافظة التي يقع الإصدار في دائرتها، وخمس نسخ في المكتبة الوطنية بالعاصمة صنعاء، ويُعطى إيصالاً عن هذا الإيداع).[٣٧]

٤ - قانون تنظيم الصحافة :

صدر هذا القانون برقم (٤٢) لسنة (١٩٨٢م) نصت المادة (٣٧) منه على: "بمجرد طبع أي عدد من أعداد الصحيفة يجب إيداع خمس نسخ منها، لدى وزارة الإعلام والثقافة موقعاً عليها من رئيس التحرير أو من ينوب عنه قانوناً مختوما بخاتم الصحيفة، بعد عبارة إيداع بوزارة الإعلام والثقافة...إلخ".[٣٨]

٥ - قانون الصحافة والمطبوعات:

صدر هذا القانون في عدن بتاريخ ٢٥-٢٨/ فبراير برقم (٧) لسنة (١٩٩٠م) نصت المادة (٨١) منه في الباب الثامن على: (تودع لدى جهة الإيداع نسخ من المطبوعات والصحف والمجلات والكتب والأعمال الأدبية والفنية على اختلافها، والتي تزيد على ما أعد للنشر منها عن خمسين نسخة، كما نصت المادة (٨٤) من هذا القانون في الباب الثامن أيضاً "على صاحب المطبعة عند إصدار مطبوع يزيد عن خمسين نسخة أن يودع نسختين منه لدى جهة الإيداع".[٣٩]

أما القانون رقم (٢٥) لسنة (١٩٩٠م) وهو المعمول به حالياً، فقد نصت المادة (٩٧) منه في الباب الرابع على: "عند إصدار أي صحيفة أو ملحقاتها، أو طباعتها أو مجلة، أو مطبوع، يجب إيداع خمس نسخ منه لدى الجهة المختصة بوزارتي الإعلام والثقافة، أو فروعها في المحافظة التي يقع الإصدار في دائرتها، وخمس نسخ لدى المكتبة الوطنية بالعاصمة، أو المحافظة، ويُعطى إيصالاً لهذا الإيداع". كما نصت المادة (١٠١) من هذا القانون في الباب الرابع أيضاً "أنه يحظر توزيع أي عمل مطبوع، ما لم يسجل ويودع طبقاً للقانون".[٤٠]

وقد عزز ما جاء في القانون السابق رقم (٢٥) القرار الجمهوري رقم (٩٠) لسنة (١٩٩٥م) بشأن الهيئة العامة للكتاب والنشر والتوزيع، والذي ينص في مادته (الخامسة) على إصدار شهادات وأرقام إيداع للكتب والمطبوعات في إطار اختصاصاتها، ووفقاً للقوانين النافذة.[٤١]

ومما يلاحظ من خلال القوانين السابقة أن هناك جهات كثيرة، تقوم مقام المكتبة الوطنية

من حيث الإيداع القانوني. مما أدى إلى تهميش دور المكتبة الوطنية، التي يلقى عليها هذا الدور بشكل أساسي. وإن دل شيء على ذلك، فإنما يدل على الإهمال من قبل الجهات الرسمية بعدم إعطائها حقوقها القانونية باعتبارها الجهة الوحيدة المخولة بالإيداع القانوني. وبسبب هذا الإهمال والتهميش أصبح المثقفون على اختلاف طبقاتهم العلمية يجهلون دورها وأهميتها. فما بالك بالمؤلفين والناشرين الذين يحسبون حسابات أخرى بعيدة عمّا ذكرناه.

ثالثا: التظلم أمام المحاكم

أما فيما يتعلق بهذه الوسيلة فيمكن للمؤلف اللجوء إلى القضاء برفع الدعوى والتظلم امام المحكمة العليا المخولة بذلك لاستعادة حقه. ولكن أمام استعادة هذا الحق فإنه يُشترط على صاحبه توفير الأدلة والبراهين كشهادة الإيداع مثلا التي أعطيت له بموجب العمل الموثق في سجلات الإيداع. أو الأصول من المسودات لهذا العمل. ولكن قد لا تُعتبر هذه المسودات دليلا كافياً للبت في هذه القضية والحكم لصالح القائم بالدعوة بل على العكس فقد تستخدم هذه المسودات ضده باتهامه من قبل المدعى عليه أنه سرقها منه، وبمعنى آخر أنه مادام العمل لم يطبع أو ينشر فالعمل ما زال مجهولاً بالنسبة لهذا المؤلف بعكس لو كان هذا العمل مطبوعا (منشوراً) وأعطيت لمالكه شهادة إيداع به. فالقضية ستكون واضحة وضوح الشمس في كبد السماء.

هذا بالنسبة لاسترداد المؤلف حقه داخل حدود أرضه فكيف لو تم التنازع على ملكية العمل بين حدود أرضين مختلفتين، هل من الممكن أن يُسترد حق ملكية هذا العمل لصاحبه الأصلي؟ وكيف بالحال أيضاً لو كان العمل منشوراً (إلكترونياً) هل سيستطيع إثبات ملكيته له من خلال الوسائل المذكورة سابقا لاسيما قوانين الإيداع؟

أسئلة بحاجة إلى أجوبة من قبل الهيئات والمنظمات العالمية المخولة بحفظ الحقوق الفكرية وكفالتها.

المبحث السادس: مسارح الاعتداء على الحقوق الفكرية

مدخل :

بالرغم مما كان لحوانيت الوراقين من جوانب مضيئة وملموسة (ثقافياً وعلمياً وأدبياً) إلا أن هناك جوانب مظلمة أيضا في هذه الحوانيت، بقيام بعض الوراقين بتأليف الكتب وإنسابها إلى علماء مشهورين، من أجل أن يقبل الناس على شرائها. ومن أعظم الشواهد على ذلك ما نسب إلى الجاحظ (ت٢٥٥هـ) في الكتاب الذي يحمل عنوان (الملوك والمكايد). الذي يوجد منه نسخة مصورة في دار الكتب المصرية، وقد تضمن هذا الكتاب بحثاً عن مكايد كافور الإخشيدي والمتقي بالله، مع أن هذين الرجلين قد وجدا بعد وفاة الجاحظ بعشرات السنين. وكذلك ما حدث من تزوير في كتب الإمام الغزالي، الذي فصل فيها عبد الرحمن بدوي في كتابه (مؤلفات الغزالي)، أما في الوقت الحاضر. فقد ارتكب في حق المؤلفات القديمة أو في حق مؤلفيها الكثير من عمليات التزوير نذكر منها ما يلي:-

١ - وضع مقدمة لمخطوط مخروم أو متآكل في أوله. وكذلك بالمثل في آخره ولو تفحصنا الأمر ملياً، لوجدنا أن هذه المقدمة الموضوعة

لا تمت بأي صله للمخطوط، وكذلك بالمثل (نهايته). والقصد من هذا كله إظهار الكتاب على أنه تام وكامل.

٢ - وضع عنوان للمخطوط غير المعنون ومن ثم إنسابه إلى مؤلف معروف، أو إزالة العنوان الأصلي ووضع العنوان البديل له، بخط وحبر يشابه خط وحبر المخطوط الأصلي.

٣ - تغيير تاريخ النسخ بتاريخ نسخ آخر يكون قريباً لزمان مؤلف المخطوط لإيهام القارئ أو المشتري للمخطوط أن هذه النسخة هي نفسها المكتوبة بخط مؤلفها، أو الاعتقاد بأنها نسخة قديمة من عصر المؤلف، أو بإعطاء هذه النسخة تاريخاً قديماً هذا إذا كانت غير مؤرخة، لإظهار قيمتها المادية، باستخدام أحبار وخطوط مشابهة للنسخة الأصلية.

٤ - حتى لا يتم التعرف على تاريخ النسخة المزورة، يقوم المزور بمحو اسم الناسخ، لأنه بمجرد التعرف على اسمه سيتم التعرف على تاريخ المخطوط الأصلي. وبهذا سيتم اكتشاف عملية التزوير.

٥ - محو ما يمكن محوه من تمليكات أو إجازات، التي يمكن من خلالها التعرف إما على ملكية المخطوط أو اسم المكان أو التاريخ الذي دُون فيه المخطوط.

٦ - تزوير المخطوط من أوله إلى آخره.

ويعد هذا من أخطر أنواع التزوير. وغالباً ما يحدث في المخطوطات النادرة أو الفريدة التي ظهرت في قرون متأخرة. أما كيف يتم هذا التزوير، فيكون بوضع تاريخ نسخ قديم له كأن يكون القرن الثالث الهجري. باستخدام ورق مشابه للورق المستخدم في ذلك العصر. وبخط وحبر مناسبين لذلك العصر أيضاً. والغرض من هذا كله إظهار القيمة التاريخية للمخطوط أولاً لتكون القيمة المادية كبيرة ثانياً.

أما المسارح الأخرى وما يدور فيها من أحداث في الوقت الحاضر فقد كثرت وتنوعت. ولا يسعنا هنا سوى تسليط الضوء على واحدة من هذه المسارح، ولا أروع من صياغة أحداثها بهذه الطريقة

لا أدري من أين أبدأ حديثي، حيث يعجز القلم عن نثر حبره في هذه السطور، لأن ما يحدث أصبح لا يتقبله عقل ومن الصعب السكوت عليه.

إننا في مسرحية غامضة، أبطالها طلاب وأساتذة، ساحتها الجامعات، وفترة أحداثها متتالية، صالحة لكل زمان ومكان، تتكون هذه المسرحية من فصلين هما:

الفصل الأول: عنوانه (استغلال أبحاث الطلبة ونشر كتب للحساب الخاص).

أما الفصل الثاني: فعنوانه(تسريب أبحاث التخرج من أقسام الجامعات).

تضمن الفصل الأول العرض الآتي:

أولاً: في بداية كل عام دراسي جديد، يقوم بعض الأساتذة بالتمهيد لطلابهم وذلك بإعطائهم المواد التي ستتم دراستها طوال الفصل، فينوهوا للعناوين الهامة التي سيكلفون طلابهم بإعدادها. كما ينوهوا إلى أنه من سيقوم بجمع كمية وفيرة من المعلومات ويعد بحثا جيدا، سيعطى له درجة امتياز تقديراً لجهوده بحجة أن هذه الأبحاث هي في الأصل متطلبات للدراسة. أما الطالب المغلوب

على أمره لا يعرف بيت القصيد. فيذهب ويجهد نفسه في البحث عن هذه المعلومات. وقد يتخلف عن حضور المحاضرات. كما يصرف من المال الكثير. إلى جانب الجهد الكبير من أجل أن يرضي أستاذه. ليكون الأفضل والمقرب إليه. والصحيح أنه سيكون الأفضل والمقرب إلى جيبه حيث قدم له مجهوده في طبق من فضة. وبيت القصيد الذي لا يعرفه هذا الطالب أو أنه يتغاضى عن معرفته. هو أن معظم هذه الأبحاث ليست من متطلبات الدراسة وإنما من متطلبات أستاذه الناضل. لتحقيق أغراضه بإصدار كتاب من تأليفه. كي يشتهر ويعرف بين الناس أنه مفكر ومبدع (ويا أرض انهدي ما عليك قدي).

ثانيا: يقوم الأستاذ بجمع هذه الأبحاث سنة تلو الأخرى. ثم يبدأ بفرزها وتحويرها وإضافة اللمسات الأخيرة. وحالما تصبح جاهزة. يدفع بها إلى آلة الطباعة. لتلتهمها ألسنتها فتهضمها هضماً جيداً لتظهر بعد ذلك في صورة لم نكد نعرف حقيقتها. أهي للطالب أم للأستاذ (اختلط الحابل بالنابل) فغابت الحقائق واتخذ الغش مكاناً علياً في سماء التأليف والإبداع. ضاع الحق والمستحق وذهب الجهد أدراج الرياح. فظهر كتاب قيم وجميل للأستاذ فلان. فاشتهر على إثره. ومدحه الكبير قبل الصغير. وأصبح من الأساتذة الفطاحل ومن النجوم الزواهر.

أما الفصل الثاني: والذي قد أشرنا إلى عنوانه سابقاً. فقط تضمن العرض الآتي:

أبحاث التخرج أصبحت تسرب من داخل الأقسام (بأياد معدومة الأمانة والضمير إلى أياد أخرى لا توجد فيهم ذرة حياء أو وازع ضمير) بيعا وشراء. وتبادلا وإهداء!!.. لأن هذا صديقي أو ذلك من بلدي ويجب خدمته. إنها مهزلة!! ألهذا الحد وصلت بهم الجرأة واللامبالاة بعدم مراعاة حقوق الطلبة. والسؤال الذي يطرح نفسه من الذي أعطاهم هذا الحق؟؟ يؤسفني أن أقول أن من أعطاهم هذا الحق هو جهل من هم في موقع المسؤولية. وذلك لعدم اهتمامهم ومتابعتهم لما ينشر من هذه الأبحاث على هيئة كتب. فوالله إن هؤلاء الأساتذة يسخرون منهم ويصفونهم بالغباء وأنهم لا يفقهون شيئاً. وأعتقد أن هذا يكفي فهذا جزاء من يغلق عينيه ويسد أذنيه.

وبدلاً من إيجاد حلول لهذه المشكلات كي لا تزداد في التوسع والانتشار أكثر مما هي عليه الآن. فقد أصبح السكوت عليها أمراً عادياً. وسكوت من هو في موقع المسؤولية والقادر على إيقافهم. يعد شريكا لهم فيما يصدر عنهم. حيث أصبح الطلبة مستهدفين من قبل ضعفاء النفوس الذين لا يشعرون بالراحة إلا بالتسلق على أكتاف غيرهم من الطلبة الضعفاء. حيث استغلوا ضعفهم وعدم قدرتهم على قول كلمة لا. لتحقيق مآربهم الدنيئة دون أي رادع. واستغلال الإنسان وقت ضعفه يُعد من أشد أسلحة القتل فتكاً.

وبعد أن استعرضنا هذه المسرحية واستمتعنا بكآبتها. لا يسعني القول سوى: إنه آن الأوان لأن نحترم العلم ونقدره وقد توجب علينا إعادة الحقوق إلى أصحابها والأمور إلى طبيعتها ونصابها ثانياً. بحماية حقوق الطلبة الدارسين والخريجين. عن طريق نشر أبحاثهم التي تحمل صفة الجودة والقيمة العلمية حتى لا نترك مجالاً للمستهترين والمتطفلين للعبث بجهود غيرهم.

الاستنتاجات:

١ - بدأت حركة التأليف العقلية في القرن الثاني

الهجري على وجه التقريب وقد اتسعت رقعتها في القرون التي تلته.

٢ - كانت المؤلفات القديمة عبارة عن مباحث مفردة لا تتعدى حدود المسألة المطروحة للنقاش أو ما يدور حولها. وبعد ظهور حلقات الدرس ومجالس الإملاء سهلت لكثير من العلماء الخوض في مناقشة الكثير من المواضيع وتناول أكثر من علم في الحلقة أو المجلس الواحد.

٣ - الإسناد هو إنساب المؤلفات أو الكتب إلى أصحابها. وهو ما يعرف الآن بالملكية الفكرية للمؤلف. أما نظام التخليد فهو ما يعرف الآن بالإيداع القانوني الذي يمكن من خلاله إسناد حقوق هذه الملكية لأصحابها الأصليين.

٤ - حقوق المؤلف الفكرية تعني استفادة المؤلف من عمله مادياً ومعنوياً.

٥ - النشر في حد ذاته يعني تأدية رسالة إنسانية الهدف أو الغاية منها خدمة العلم والمعرفة والذي لا يدخل ضمن إطارها استغلال الجهود واستثمار العقول للمصلحة الخاصة دون المصلحة العامة.

٦ - جميع ما آلت إليه التشريعات الدولية من القوانين الخاصة بحماية حق المؤلف الفكري. قد سبقتها في ذلك تشريعات إسلامية ظهرت منذ وقد مبكر فهذه التشريعات لو تم تطبيقها في الوقت الحاضر. فإنها خير من تلك التشريعات. لأنها تتضمن بما لا يدع مجالاً للشك كل المبادئ التي تصلح لصياغة نظام إسلامي يحمي حقوق المؤلف على خير وجه وأحسنه. أما تلك القوانين فإنها لم توضع من أجل ممارسة المؤلف لحقوقه الفكرية أومن أجل حماية هذه الحقوق بل وضعت كي تخدم مصالح وأغراض الهيئات الدولية بالدرجة الأولى. وأما الدول العربية فهي مجرد ناقل تنقل عنها وبلا وعي أو تبصر للأمور.

٧ - جميع القوانين الصادرة في مختلف الدول العربية متشابهة في نصوص موادها، ومتوافقة أيضاً مع ما جاءت به اتفاقية (برن) والسبب في ذلك يعود إلى أن هذه القوانين قد بُنيت معظمها على ما جاءت به هذه الاتفاقية. وأما عن الاختلاف فيما بينها فهو اختلاف بسيط.

٨ - أجمعت التشريعات الوطنية لحماية حقوق المؤلف الفكرية. والتي بنيت في معظمها على ما جاء في اتفاقية (برن) لسنة (١٨٨٦م) وتعديلاتها. أن كل مؤلف في مؤلفاته له حقوق أدبية. إلا أن لكل منها وجهين. وجه إيجابي مخول للمؤلف وحدة إن يمارسه. والآخر سلبي محظور على الآخر ممارسته أو إكراه المؤلف على أدائه على سبيل المثال. ليس للمؤلف أن يمنع فرداً أن يستنسخ لنفسه ولاستخدامه الشخصي نسخة واحدة من الكتاب أياً كانت وسيلة الاستنساخ. كما أنه ليس للمؤلف أن يمنع التحليلات أو النقد في الصحف والإذاعة والتلفزيون وليس له أن يمنع الاقتباسات من كتابه. طالما كانت في حدود المعقول وطالما أشير إليه وإلى كتابه عند الاقتباس.

٩ - هناك الكثير من الدول العربية لم تدخل ضمن الاتفاقيات الدولية المتعلقة بموضوع كفالة الحقوق الفكرية للمؤلف، إلا أن هناك تشريعات أخرى قد كفلت أيضاً هذه الحقوق.

١٠ - على الرغم من أن الحقوق الفكرية مكفولة

للمؤلف من خلال ما تنص عليه القوانين الصادرة على نطاق العالم العربي. إلا أنه من المحزن أن هذه الحقوق في كثير من دول الوطن العربي. قد صاحبها وشوه جمالها قانون آخر وهو قانون الرقابة على المطبوعات. الذي يعطي الحق للرقيب ممارسة سلطته. بمنع هذه الحقوق.

١١ - القوانين الخاصة بحماية الحقوق الفكرية يمكن أن تحفظ للمؤلف حقه الفكري فيما ينشر له بشكل مطبوع، ولكنها لا تستطيع حماية هذا الحق فيما ينشر له بشكل إلكتروني. كما أنها أصبحت عاجزة أيضاً أمام قراصنة النشر.

١٢ - الخلاصة التي نستنتجها بشكل عام لما سبق هي أن المؤلفين لاسيما من المفكرين المبدعين أصبحوا يواجهون مشكلات من كل حدب وصوب. تارة من قبل الأوضاع الاقتصادية المتردية التي صرفتهم عن الكتابة والتأليف باعتبارهما غير مجدين في تحسين ظروفهم المعيشية التي من شأنها إذا ما تحسنت إلى الأفضل أن تساعدهم على الإبداع. لاسيما في المجالات العلمية النادرة. وتارة أخرى من قبل قراصنة النشر وتكنولوجيا المعلومات، وأخيراً ما يواجهونه من قبل قوانين الإيداع التي أصبحت عاجزة أمام التقنيات البشرية والتكنولوجية عن حماية حقوقهم الأدبية.

* * *

المصادر والهوامش حسب ورودها في البحث:

١) شعبان عبد العزيز خليفة. الفهرسة الوصفية للمكتبات: المطبوعات والمخطوطات. الإسكندرية. دار الثقافة العلمية، ٢٠٠٠م. ص ٣٩٤.

٢) ابن خلدون. (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون). مقدمة ابن خلدون (في أن الصنائع تكسب صاحبها عقلاً وخصوصاً الكتابة والحساب).. بيروت: دار الأرقم. ص ٦٠٤.

٣) انتصار العمري. المخطوط العربي بين الوصف والتحليل.. صنعاء: مركز عبادي للدراسات والنشر. ٢٠٠٨م. ص١١٤.

٤) المصدر نفسه ص ١١٤..

٥) عبد الستار الحلوجي. المخطوط العربي.. جدة: (د:م). ١٩٨٨م. ص ص ١١٦-١١٨.

٦) المصدر نفسه ص ١١٦ ١١٨..

٧) انتصار العمري (مصدر سابق ص ١١٧ . ١١٨).

٨) المصدر نفسه ص ١١٧.

٩) ابن منظور (محمد بن مكرم). لسان العرب.. بيروت: دار الفكر. (د:ت) ج٥، ص ٢٠٦.

١٠) محمد عدنان سالم. هموم ناشر عربي.. بيروت: دار الفكر. ١٩٩٤م. ص١٦.

١١) انتصار لعمري. حركة النشر في اليمن.. صنعاء: مركز عبادي للدراسات والنشر. ٢٠٠٦م. ص ٢٣.

١٢) المصدر نفسه ص٢٤.

١٣) عبد الستار الحلوجي (مصدر سابق ص ٩١ - ١١٣).

١٤) المنظمة العالمية للملكية الفكرية. ما هي الملكية الفكرية.. (د:م): (د:ن). (د:ت). ص٢.

١٥) شعبان عبد العزيز خليفة. أوراق الربيع في المكتبات والمعلومات.. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع. ١٩٩٢م. ص١٧.

١٦) انتصار العمري "صحيفة الثورة". "الكتاب اليمني إلى

أين وصل الآن"، ع ١٥١٤٢، ٦، ٢٠٠٦م، ص٢٧.
١٧) المنظمة العالمية للملكية الفكرية (مصدر سابق ص٣).
١٨) عبد الله مبروك النجار. الحق الأدبي للمؤلف في الفقه الإسلامي والقانون المقارن.. الرياض: دار المريخ، ٢٠٠٠م، ص٤٨٧.
١٩) المصدر نفسه ص ٢٣-٢٥.
٢٠) المصدر نفسه ص ٢٣-٢٥..
٢١) انتصار العمري (مصدر سابق ص٤٢، ٤١).
٢٢) موريس أبو السعد ميخائيل. الكتاب: تحريره ونشره.. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٥.
٢٣) جورج جبور. في الملكية الفكرية: حقوق المؤلف.. دمشق: دار الفكر، ١٩٩٦، ص٣١٢.
٢٤) المصدر نفسه ص٦٣.
٢٥) هيام نائل الدوا‌ف. حركة نشر الكتب العراقية.. بغداد: دار الشؤون الثقافية، ٢٠٠٠م ص ٣٩.
٢٦) المصدر نفسه ص٤٠.
٢٧) المصدر نفسه ص٤٠..
٢٨) المصدر نفسه ص ٤١.
٢٩) اليمن. وزارة الشؤون القانونية. قرار جمهوري رقم(١٩ – مادة رقم ١).- صنعاء: الجريدة الرسمية، ١٩٩٤م، ص ٢٧.
٣٠) المصدر نفسه ص٣١.
٣١) المصدر نفسه ص٣١.
٣٢) المصدر نفسه ص٣١.
٣٣) شعبان عبد العزيز خليفة (مصدر سابق ص٢٢).
٣٤) المصدر نفسه ص٢٤، ٢٣.
٣٥) حسين عمر باسليم. دليل الصحافة اليمنية.. صنعاء: وزارة الإعلام، ١٩٩٢م، ص ٩٢، ٩٩.
٣٦) المصدر نفسه ص ١٠٠-١٠٢.
٣٧) المصدر نفسه ص ١٠٤، ١٠٥.
٣٨) المصدر نفسه ص ١١٠-١١٥.
٣٩) المصدر نفسه ص ١٢٧-١٢٩.
٤٠) اليمن. وزارة الشؤون القانونية. قانون رقم(٢٥). -ع٢٥(٣١ديسمبر).- صنعاء: الجريدة الرسمية، ١٩٩٠، ص١٦.
٤١) اليمن. وزارة الثقافة والسياحة. قرار جمهوري رقم(٩٠).- ع٢٤ (٢١يونيو). – صنعاء: الجريدة الرسمية، ١٩٩٥م

غموض المصادر حول عقبة بن نافع بين تأييد الكرامات ونقد السياسات

عبد القادر بوعقادة
جامعة المسيلة – الجزائر

تقديم

قد كانت حياة عقبة بن نافع مليئة بالأحداث والإشكالات انطلاقا من اعتباره صحابيا أم تابعيا، إلى علاقته بعمرو بن العاص إلى سياسته في فتوح إفريقية فعلاقته مع مسلمة بن مخلد الأمير على مصر و إفريقية ثم علاقته بأبي المهاجر دينار واختلافهما في السياسة تجاه كسيلة زعيم البربر.

وما زاد الإشكال تعقيدا هو وجود العديد من التناقضات في مصادر سيرة عقبة وتفسير الأحداث عند المتأخرين بين معجب بسيرته وناقم عليها. لقد كان عقبة من أولئك الرجال الذين ابتلوا بإفراط المعجبين به إنسانا وقائدا، وتفريط الناقدين له قائدا.

أفرط المعجبون بقيادته وخاصة القدامى فجعلوا منه القائد الأول والأخير في فتح إفريقية، وأعطوا لعمله العسكري طابع الخوارق والكرامات، كما أفرط المعجبون به إنسانا فجعلوا منه شخصية هي الأقرب إلى أولياء الله الصالحين منه إلى الرجل المجاهد المحتسب الذي نذر نفسه لله وعقيدته[1].

وكان من تفريط الناقدين له قائدا أنهم جعلوا منه القائد الذي أخفق، والذي لا هدف له من حملته الكبرى ولا خطة له في إدارة الحرب، وأنه لم يعمل على نشر الإسلام وفق خطة مرسومة ولا غاية واضحة.

والإشكال الذي نودّ طرحه هو كيف يمكن أن نوفق بين الرّوايات التّاريخية المتناقضة النّاتجة عن غموض المصادر بين أخبار وردت عن عقبة حول كراماته وولايته، وروايات تحمل في طياتها صورة ذلك الرجل العسكري المتغطرس الذي لا همّ له سوى الانتقام لنفسه وعدم الرضوخ للاستشارة والذي كذلك يذهب بالمسلمين إلى الهاوية بسياسته تجاه البربر؟

ونحن من خلال هذا الإشكال نودّ أن ننقد الروايات المتضاربة وما تحويه المصادر من تناقضات، والدعوة إلى إعادة قراءة المصادر وفق منهج يقوم على أساس الجرح والتعديل للأخبار والرجال حتى نصل إلى تحديد حقيقة شخصية عقبة بين كونه وليّ الله ذو الكرامات والمجاهد الذي وهب نفسه في سبيل الله وللإسلام وبين مصادر تورد روايات هي عكس شخصية عقبة الوليّ والتي تظهره ناقما حاقدا تجاه كل من يخالفه. وهي روايات اعتمدها المستشرقون في ضرب التاريخ الإسلامي في رموزه وزعمائه وبذلك صارت هذه الرّوايات مدخلا من مداخل كل ناقم على العقيدة الإسلامية والفتوحات في المغرب الإسلامي[1].

والمتتبّع لسيرة عقبة و فتوحاته من خلال هذه المصادر التاريخية ورواياتها المسرودة في طياتها يجد نفسه بين شخصيتين متناقضتين لعقبة.

الشخصية الأولى: عقبة ولي الله حيث تظهر لنا عقبة ذلك الوليّ الصّالح الذي تجرّد لخدمة الدّين ونشر الإسلام فكافأه الله بالكرامات وأحاطه النّاس بالولاية. وقد حكت الروايات التّاريخية العديد من الأحداث التي تبرز لنا كرامة عقبة بن نافع ومدى استجابة دعائه منذ بداية الفتح الإسلامي للمغرب إلى استشهاده ومن بينها:

تأسيس القيروان حيث شرع عقبة في بناء القيروان وأجابه العرب إلى ذلك ثم قالوا: "إنّك أمرتنا في شعاب وغياض لا ترام ونحن نخاف من السّباع والحيّات وغير ذلك"[2].

وكان في عسكره ثمانية عشر رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ وسائرهم من التابعين. فدعا الله عز وجل وجعل أصحابه يؤمنون على دعائه ومضى إلى السّبخة وواديها وأخذ ينادي " أيّتها الحيّات والسّباع إنّا أصحاب رسول الله فارحلوا عنا فإنّا نازلون وما وجدناه بعد ذلك قتلناه" ونظر الناس بعد ذلك إلى أمر عجب من أنّ السّباع تخرج من الشّعاب تحمل أشبالها والذئب يحمل جروه والحيّات تحمل أولادها ونادى في الناس كفوا عنها حتى يرحلوا عنا. فلمّا خرج ما فيها من الوحوش والهوام وهم ينظرون إليها نزل عقبة الوادي وأمرهم أن يقطعوا الشّجر فأقام أهل إفريقية بعد ذلك أربعين سنه لا يرون عقربا ولا سبعا[3]. والرّواية منسوبه إلى الليث بن سعد (ت ١٧٥هـ).

قصة الحداة قال أبو المهاجر: "قدم عقبة بن نافع مصر وعليها عمرو بن العاص في خلافة معاوية فنزل منزلا من بعض قراها ومعه عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر وبعض أصحاب رسول الله (ﷺ) فوُضع بين أيديهم طعاما. فلمّا تناولوا من الطعام ضربت حدأة على الطعام وأخذت منه عرقا. فقال عقبة: "اللهم دنّ عنقها. فقال: " فأقبلت الحدأة منقضة حتى ضربت نفسها على الأرض فاندنى عنقها فاسترجع عمرو بن العاص فسمعه عقبة. فقال: " ما بالك يا أبا عبد الله قال: " بلغني أنّ نفرا من قريش يخرجون إلى هذا المكان فيستشهدون جميعا. فقال: " اللّهم وأنا منهم"[4].

قصة قبره بتهودا يذكر أنّه لما أراد معد بن إسماعيل ابن عبيد الله[5] تحريف قبلة القيروان ونقل محرابه وذلك سنة ٣٤٥هـ بلغه أنّ أهل القيروان يذكرون دعاء عقبة للقيروان وتأسيس جامعها وأنّهم يقولون: إنّ الله عزّ وجلّ يمنعه منه بدعاء صاحب نبيّه له. فأمر لعنه الله بنبش قبر عقبة وحرق رمّته بالنّار. وبعث إلى تهودا لذلك

خمس مائة بين فارس وراجل. فلما دنوا من قبره وحاولوا فعل ما أمرهم به هبّت ريح عاصفة ولاحت برق خاطفة وقعقعت رعود قاصفة كادت تهلكهم فانصرفوا ولم يعرضوا له[6].

قصة البحث عن القبلة وبناء المحراب حيث اختلف الناس في القبلة وقالوا: " إنّ أهل المغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد فاجتهد لنفسك في أمرها. فأخذوا مدّة ينظرون إلى مطالع الشتاء والصيف من النّجوم ومشارق الشمس[7]. فلمّا رأى أمرهم قد اختلف بات مغموما فدعا ربّه عزّ وجلّ أن يفرج عنه. فأتاه آت في المنام فقال له: " إذ ا أصبحت فخذ اللّواء في يدك فاجعله على عنقك فإنّك تسمع بين يديك تكبيرا لا يسمعه أحد من المسلمين غيرك فانظر الموضع الذي ينقطع فيه التّكبير فهو قبلتك ومحرابك وقد رضي الله أمر هذا المعسكر وهذه المدينة وهذا المسجد وسوف يعزّ الله دينه بها ويذلّ بها من كفر[8].

قصة ماء فرس: في أثناء عودة عقبة من المغرب اجتاز مكانا يعرف بماء فرس بعد أن بلغ المحيط. فنزل ولم يكن به ماء. فلحق الناس عطش كبير أشرفوا منه على الهلاك. فصلى عقبة ركعتين ودعا. فبحث فرس له الأرض بيديه. فكشف له عن صفاة فانفجر الماء. فنادى عقبة في النّاس فحفروا أحساء كثيرة وشربوا. فسمّي (ماء فرس)[9].

في المُعتقد أنه ليس من السهل ولا من الإنصاف التسليم بأنّ كرامة الأولياء هي مجرد إيحاءات ينسبها الرجل لمن يتأثر به كالمريد لشيخه وهو في حالة انبهار بسلوكياته. أو أنّها مجرد مشاهدات سحرية أو ظواهر خرافية... بل هي حالة معاشة وحقيقة ممارسة يذكرها الوليّ مقتنعا ويقدمها على أنّها حصلت وتحصل فعلا[10]. حيث عرّف البعض الكرامة بأنّها كلّ بعد خارق للعادة ظهر على يد عبد ظاهر الصّلاح في دينه متمسك بطاعة الله في أحواله مستقيم الطريقة في تصرفاته. ويشترط ابن قنفذ في " أنس الفقير وعزّ الحقير "صحّة الكرامة بصحّة الولاية والعكس صحيح. وقد قيل أنّ الوليّ هو من توالت طاعته من غير تخلّل معصية. كما قيل كذلك أنّه هو الذي يتولّى الله سبحانه حفظه وحراسته على التّوالي عن كل المعاصي ويديم توفيقه على الطّاعات. ودلالة الكرامة موجودة في القرآن الكريم و الأخبار والآثار والمعقول[11].

و لقد أثار الفقهاء مسألة الكرامة وخاضوا في غمار الجدل بين مؤيّد ومنكر لها. ومن أهم من أفتى بصحتها ابن رشد الجد ت (٥٢٠) هـ. الذي أقرّ بوجودها نقلا وإجماعا من أهل السنّة بل ذهب إلى حدّ اتهام المنكرين لها بالجهل والضّلالة والبدعة. وهو الموقف نفسه الذي تبناه البرزلي في نوازله أيضا[12]. وهذا ما يؤكّد الحضور القويّ للكرامة كمعطى اجتماعي وثقافي ويبرز بما لا يدع مجالا للشّك أنّ مؤلفي كتب المناقب والكرامات لم يعيشوا بمعزل عن هموم المجتمع وتناقضاته بل إنهّم عايشوا الأزمة وتفاعلوا معها. ومن ثمّ جاءت كتاباتهم تحمل في طياتها ما يمكن أن نسميه بتصورات إصلاحية لتجاوز تلك الأزمة[13].

وقد تكون هناك بعض المبالغات في إضفاء صفة الكرامة لعقبة من قبل شيعة الفهريين كدلالة على القرب من الله وهذا بالإكثار من القصص في هذا المجال. ولكن تعدد القصص والروايات في هذا الشأن قد يعضد بعضها البعض لتعطي لنا مكانة وصفة وشخصية عقبة كقائد قدوة وصحابي

غموض المصادر حول عقبة بن نافع بين تأييد الكرامات ونقد السياسات

اهتمّ بأخباره الناس وساروا وراءه فكانت هذه الروايات. وقد ذهبت شيعته و المعجبين به إلى أن رووا بأنّ أبا المهاجر حدّث عن رجاله عن شهر بن حوشب[**] أنّ رسول الله «ﷺ» نهى عن سكن هذه البقعة الملعونة التي يقال لها تهودا. ويذكر أنّه سوف يقتل رجال من أمّتي على الجهاد في سبيل الله ثوابهم ثواب أهل بدر ما بدّلوا حتى ماتوا...[١٤]. وهذا الخبر إن صحّ يعتبر تدعيما لمكانة عقبة وقربه من الله كوليّ من أوليائه.

الشخصية الثانية: عقبة القائد العسكري: في حين تظهر الرّوايات التّاريخية الأخرى الوجه الآخر لعقبة ابن نافع باعتباره القائد العسكري الذي لا يحسن التعامل مع قواده وجنوده أو مع الداخلين الجدد في الإسلام وهي تظهره كقائد غاضب وحاقد وعسكري فاشل في فتوحاته إلا أنّ هناك ملاحظتين هامتين يجب الإشارة إليهما هما:

أ- أنّ هذه الانتقادات الموجهة لشخصية عقبة لم تكن في مرحلته الأولى لفتح بلاد المغرب أي أنّ شخصية عقبة قبل سنة ٥٥ هـ لم تكن محل انتقاد بل كانت محل ولاية وكرامة مباركة.

ب-الأمر الثاني ويختص بالفترة الثانية حيث يظهر استبداد عقبة وسوء تسييره.

وقد اقترن ذلك بشخصيتين وهما أبا المهاجر دينار وكسيلة بن لمزم وكيف تعامل معهما. في حين أنّ الجيش كان يضمّ آلاف الجنود وعشرات القادة وإن لم تدم هذه الفترة إلا سنة ونصف إلاّ أنهّا كانت على أوسع نطاق حتى بلغت السوس الأدنى والأقصى والمحيط حيث مدينة أسفي.

وتدور الانتقادات الموجهة إلى عقبة في محاور ثلاثة هي:

١ -علاقته مع أبي المهاجر ٢ - إهانته لكسيلة ٣- سوء سياسته وعدم المشاورة.

١ - **علاقته مع أبي المهاجر:** تذكر المصادر أنّ معاملة عقبة لأبي المهاجر السيئة كانت نتيجة عزل عقبة من قبل معاوية بن أبي سفيان. إذ يُذكر أنّه ما كاد عقبة يأخذ الأهبة للخروج إلى الغزو حتى بلغه خبر عزله عن الولاية...وتعيين أبي المهاجر خلفا له وهو من موالي مسلمة بن مخلد الأنصاري والذي قيل أنّه أهانه[١٥]. وما يلاحظ عن هذه العملية هو:

أ- تركيز الروايات على إظهار العلاقات السيئة بين القادة الفاتحين.

ب- هو اختلاف التفاسير حول الأسباب الدّاعية إلى عزل عقبة وهي قائمة كلها على التّخمين والتّحليل الشّخصي للمؤرّخين القدامى المحدثين.

- فمنهم من أرجع سبب العزل إلى تلك الوشايات التي أقدم عليها مسلمة بن مخلد إلى معاوية نتيجة حقد مسلمة على عقبة والغيرة من إنجازاته.

- ومنهم من فسرها بأنّ مسلمة بن مخلدكان يطمع في ضمّ ولاية إفريقية لسيطرته لكثرة خيراتها[١٦].

- وفسرها آخرون بقولهم: ولا نعرف سبب عزل عقبة فلعله جاء نتيجة الشدة التي سار عليها في معاملة البربر مما جعلهم ينفرون من العرب وهي سياسة مناقضة لسياسة أبي المهاجر في البربر[١٧].

- وأرجعها السيد عبد العزيز سالم إلى حسد مسلمة من انتصارات عقبة المتتالية[١٨].

في حين يرى هنري تيراس في كتابه تاريخ المغرب أنّ معاوية عزل عقبة خوفا من أن يستقل بالمغرب عن الخلافة[19].

- ورأي يفسّر ذلك بأنّ أبا المهاجر كان من أكبر أعوان مسلمة بن مخلد في السلم والحرب، ومن الطبيعي أن يعتمد كل أمير جديد على أقرب أعوانه في تسيير دفة الحكم في البلاد التي تولاها. وقد قيل لمسلمة: "لو أقررت عقبة فإنّ له جزالة وفضلا؟. فرد: إنّ أبا المهاجر صبر علينا في غير ولاية ولا كبير نيل ونحن نحب أن نكافئه"[20].

- ويرى أستاذنا موسى لقبال أنّ التفسير المعقول لعزل عقبة هو أنّ حملته الأولى كانت حملة تمدينية لا عملا حربيا كان هدفها كسب الولاء والابتعاد عن سياسة الإغارة على المراكز العمرانية للمغانم. ولذا لم يحصل قائدها على ما تعود عليه الحملات السابقة وهي المتياس للقائد النّاجح ولذا تمّ عزله"[21].

- ويرى فريق آخر بأنّ ذلك يعود إلى التنافس بين عقبة ومسلمة أي لأسباب سياسية هي حب الولاية.

ولذا فإنّ الغموض يحيط بحادثة عزل عقبة ولم تتمكن الرّوايات التّاريخية من الكشف عن السّبب الحقيقي للعزل بشيء من الإقناع خاصة وأنّ عقبة لم يبتعد عن هذه الجهة إنّما عن القيادة فحسب ولم يتعرض لملاحقة أو اضطهاد[22].

إلاّ أننّا نستشفّ من الحادثة ما يلي:

أ- أنّ عملية العزل هذه إنما كانت سياسية أكثر منها شخصية حتى لا يأخذ عقبة الحجم الذي يجعل مركز الخلافة في حرج. وذلك بالنظر إلى دهاء معاوية بن أبي سفيان.

ب- أنّ اعتزال عقبة كان من غير فوضى أو رفض، كما كانت العملية هذه تعبيرا عن شخصيّة القائد العسكري المحترف والمنضبط الشّديد التّعاون. كما تعبّر عن ورع في الأخذ بالأوامر.

ونلاحظ كذلك الاختلاف في الرّوايات عند ابن عبد الحكم الذي يذكر بأنّ أبا المهاجر سجن عقبة وأوقره حديدا حتى أتاه كتاب من الخليفة بتخلية سبيله. في حين نجد أنّ ابن عذاري لم يذكر هذه القصة في الإساءة[23]. ونحن لا نؤيّد ما تذهب إليه الرّوايات من إهانة أبي المهاجر لعدة اعتبارات أهمها أنّ أبا المهاجر عرف بسياسته المهادنة والهادئة تجاه الخصوم فكيف تكون تجاه من كان تحت قيادته في شخص مثل عقبة بن نافع. كما لا يعقل أن يهان قائد جيش إسلامي في حضرة عصبة كعصبة النهريين الذين كان لهم شأن كبير ابتداء من هذه الفترة إلى نهاية الدولة الأموية بالمغرب. خصوصا إذا علمنا أنّ أبا المهاجر مولى لمسلمة بن مخلد. والنّاس لا تزال فيهم نفحة العصبية والعشيرة. أفلا تثير النهريين إهانة كهذه التي ذكرها بعض كتاب تاريخ المغرب و لا يحركوا أقلّ حراك؟

ثم تتمادى الروايات في إظهار وتصوير وتفسير العلاقة بين عقبة وأبي المهاجر حينما عاد عقبة في المرحلة الثانية من توليته إفريقية بعد وفاة الخليفة معاوية وتولي ابنه يزيد الحكم. حيث ينتقم عقبة لما فعل أبو المهاجر تجاه شخصه كما سلفت الرّواية المطعون في صحّتها وكذلك إقدام هذا الأخير على تخريب القيروان حسب الروايات التي يرتابها الشك. ولا نقول بممارسة أبي المهاجر التخريب لأنّها "القيروان" منشأة عربية إسلامية تاريخية تقوم فيها مؤسسات إدارية ودينية معتبرة

في نظر السكان[24].

وإننا نشكك فيما ذكره المؤرخون خاصة بإحراق أبو المهاجر القيروان وبناء مدينة جديدة. ولا شك أنّ تدمير مدينة كبيرة كالقيروان أخذ بناؤها من جهد المسلمين مأخذه يعتبر عملا إجراميا لا يمكن أن يحدث بإيحاء من شخصية جليلة كشخصية مسلمة بن مخلد الأنصاري أو مولاه. بل نعتقد أنّ الأمر لم يزد عن هجر القيروان وإخلائها من العسكر والإدارة[25]. وهي الحادثة نفسها التي ستذكر عند الحماديين حينما بنيت القلعة وخرّبت المحمدية. وتخريبها كان يعني تهجير أعيان وعلماء المحمدية إلى المدينة الجديدة "القلعة". وتذكر المصادر أنّ عقبة قدم القيروان ومعه عشرة آلاف فارس فأخذ أبا المهاجر وحبسه وقيده وأخذ ما معه من مال فكانت مائة ألف دينار، وجدّد بناء القيروان ثمّ خرج إلى المغرب ومعه أبو المهاجر موثقا بالحديد[26]. ولا توجد قضية المال هذه إلاّ عند المالكي. وطيلة الغزو بقي أبو المهاجر موثقا في الأغلال إلى أن كانت العودة وكانت معركة تهودا التي استشهد فيها أبو المهاجر حسب رواية ابن عبد الحكم والمالكي موثقا بالحديد[27].

إنّ عقبة كان أول من توغل نحو المغرب الأقصى وبرفقته أبو المهاجر دينار وهذا ما يثير الشكّ حول المبالغة في إساءة العزل والسّجن. ولعل عقبة اكتفى بتلقين أبا المهاجر درسا - إن صحّت إساءة أبي المهاجر لعقبة - ثم اعتبره أحد قوّاده في حملته الكبرى التي أدّت في الأخير إلى استشهادهما معا في تهودا[28].

وما يدحض رواية إساءة عقبة لأبي المهاجر أمور هي:

أ- كيف يمكن لعقبة أن يهين أبا المهاجر وعقبة صاحب الكرامات وهو الذي يظهر في شخصية المؤمن الورع المحافظ على الدّين حينما يوصي أولاده "بقراءة القرآن وترك **الشعر وأن لا يتداينوا ولا يقبلوا العلم عن المرخصين**"[29].

ب- لو كان حقيقة أنّ مسلمة حرّض على إهانة عقبة بواسطة أبي المهاجر فإنّ أبا المهاجر سوف يجد العون من طرف مسلمة. ويدخل هذا الأخير على الخليفة يزيد ابن معاوية ليطلق سراح دينار لأنّه من شيعته و الموّالين له ولكنّ القصّة تبدو ضعيفة إذ مكث مسلمة في الحكم بضعة أشهر ثمّ توفي وهو وال على مصر في رجب ٦٢هـ.

ج- ثمّ كيف يمكن أن يسير عقبة من القيروان ومعه أبو المهاجر وكسيلة -حسب بعض الرّوايات- مقيدين. إذ كان يمكن أن يزيل عنه العبء بأن يسجنهما بالقيروان عند خليفته زهير بن قيس خصوصا وأنّ لأبي المهاجر وكسيلة رجالا كانوا تحت إمرتهما يحبونهما ويوالونهما و تلك مغامرة خطيرة قام بها عقبة.

د- لا يعقل أن يسير عقبة من القيروان إلى بغاية ثمّ إلى الزّاب بعد حصار بغاية ومدينتها أربة ثمّ إلى مدينة تهرت وتلمسان وطنجة ثمّ السّوس الأدنى والأقصى ثمّ العودة في مسافة تقدر بما لا يقل عن ثلاثة آلاف كلم ودينار وكسيلة مقيدين[30].

هـ- لماذا يأخذ عقبة أبا المهاجر دينار من القيروان إلى الأطلس ثمّ العودة به إلى تهودا وهو في قيوده ليطلق سراحه بقوله: "أخلوا سبيل

أبي المهاجر" ثمّ قال له: "الحق بالقيروان وقم بأمر المسلمين وأنا أغتنم الشهادة". فقال له: "وأنا أغتنم الشهادة مثلك"[٣١]. وعليه كيف ينقلب عقبة من ناقم على ابي المهاجر إلى راض عنه بأن أقامه على أمور المسلمين في القيروان أولى حواضر الإسلام ببلاد المغرب؟ وقد كان عليها زهير ابن قيس لولا معرفة عقبة بخبرة وحنكة ابي المهاجر العارف باحوال الحرب في المغرب؟ إنّها الثّقة المتناهية التي يمكن أن تدحض الافتراءات الموجودة في الرّوايات التّاريخية.

و- ثمّ ألم يوجد في هذه الحملة التي قام بها عقبة من القيروان إلى المحيط ثمّ العودة إلى تهودا عدد من الصحابة ينكرون عليه فعلته تجاه أبي المهاجر وكسيلة.

إنّ الرّواة لحكاية اضطهاد عقبة لأبي المهاجر قد جنحوا إلى المبالغة وتضخيم وربط ذلك بأمور ليست في مصلحته خاصة عن قمع عقبة قبيلة أوزبة وهو يعلم أنّ ذلك سيعود عليه بالضرر الكبير. وكذلك لا يمكننا أن نأخذ بقصة الأصفاد التي وضع فيها أبو المهاجر أثناء غزوه السّوس حيث كان الأسلم له أن يسجنه في القيروان دون أن يكون لوجوده خطر ومعه الجزء الأكبر من الجيش ثمّ كيف يكون محكوما عليه بالسجن وهو في نفس الوقت أحد قواده المستبسلين حسب الرواية التاريخية؟[٣٢].

٢- علاقة عقبة بكسيلة بن لمزم: تذكر الرّوايات أنّ عقبة أساء إلى كسيلة[٣٣]. وهو كبير قومه.

وقد أسلم على يد أبي المهاجر دينار-حينما كبّله مع أبي المهاجر وأنّه (عقبة) لم يأخذ بمشورة أبي المهاجر في سياسته تجاه البربر حينما أمر كسيلة أن يذبح الغنم إهانة له. وفي هذه الرّواية مبالغة كبيرة مثل سابقاتها.

أ- إذ كيف يقدم على مثل هذا العمل قائد في حجم عقبة ابن نافع، ونحن نعلم أنّ القائد العسكري عند المسلمين لا يمكن أن يتجاوز حدود الشّريعة والمبادئ الإسلامية في الحرب والسيّاسة باعتبار أنّ عقبة كان القائد العسكري والدّاعية الفقيه والمجاهد الورع والذي لا ينجرّ وراء غضب أو شهوة فيتجاوز حدود الشّريعة في معاملة المقاتلين أو المصالحين أو حديثي الإسلام.

ب- أنّ عقبة لا يمكن أن يقوم بهذا العمل لأنّه سيُثير الجيش وقواده. وحيث أنّنا لا نعلم أنّ عددا من النّاس قد أنكروا عليه فعلته سوى أبو المهاجر وهي رواية مطعون في صحّتها كما سلف الذكر.

قد كانت الحملة تضمّ بعض الصحابة لا يمكنهم أن يتواطؤوا على المنكر وأنّ عملا كهذا قد يحدث تململا داخل الجيش لا يحمد عقباه وعقبة بحنكته السياسية والعسكرية لا يمكن أن يقدم على تلك المغامرة مع كسيلة.

لهذا لا يمكن أن نأخذ بهذه الرّواية كسبب لانقلاب كسيلة على إسلامه-إن صحّ إسلامه- أو على عقبة. وأنّ الروايات قد أفرطت في إظهار إهانة عقبة لكسيلة[٣٤]. يقول السيد عبد العزيز سالم: "وكتابة النويري(ت ٧٣٢هـ) عن الفتح العربي للمغرب تتضمن أخبارا تختلط فيها الأقاصيص بالحقيقة ويتشابه ما كتبه النويري عن المغرب مع ما كتبه المالكي ت(٤٨٣هـ)". إنّما هناك أسباب أخرى دفعت إلى معارضة كسيلة

لعقبة ومحاربته وقد اختلف النّاس في تفسير ذلك إلى ضروب عدّة، ولم يستقروا على سبب ولا نجد إلا اجتهادات فردية.

١ - حيث يرى حسين مؤنس أنّ صداقة كسيلة لأبي المهاجر هي التي جعلت عقبة يغضب على كسيلة فيقبض عليه كما قبض على أبي المهاجر وأخذهما معه في حملته الكبرى ثمّ فر كسيلة لانعدام الرقابة الشديدة[٣٥]. ليصبح بذلك كسيلة عدوّا لعقبة،حيث تحالف مع البيزنطيين وقاتل المسلمين و استشهد عقبة وجميع من كان معه،وحسب رواية المالكي نجد أنّ كسيلة جاء مناصرا لأبي المهاجر لأنّه كان صديقه فقتل أبو المهاجر في أثناء احتدام القتال و لم يعلم به كسيلة؟[٣٦].

٢ - في حين يرى فريق آخر أنّ كسيلة كان نصرانيا ولم يدخل الإسلام وإنّما تصالح مع أبي المهاجر فقط. وحينما عزل أبو المهاجر انتقض الصلح الذي كان وزالت العلاقة[٣٧].

٣ - ويرى فريق آخر أسباب العداوة بين عقبة وكسيلة تتمثل في أن كسيلة أبغض عقبة لأنّه عزم على نزع ملكه وملك أسلافه من يده ونقض ما أبرمه مع أبي المهاجر. وأنّ عقبة كان لا يثق بإسلامه ووعوده ويعلم بأنّه مرتد لا يركن إلى دينه ولا خير في موالاته للإسلام ومع هذا فإنّه كان يداريه ويستأمن إلى ما ظهر من إسلامه، وتركه آمنا في معسكره حتى ما كان من تواطئه مع البيزنطيين[٣٨].

٤ - في حين يرى آخرون بأنّ شخصية عقبة لم تكن بالضرورة هي السّبب الحقيقي في تلك الغضبة البربرية بقدر ما كان للحملة المنظمة التي اخترقت لأول مرّة الحواجز التّاريخية التي أقامها البربر في وجه الفاتحين مما يسوّغ على الأرجح تلك الثورة المضادة التي دبّرها كسيلة لضرب هذه السّياسة التّوسعية[٣٩]. ثمّ إنّ البيزنطيين شعروا بالخطر الإسلامي على نفوذهم في ولاية إفريقية التي أوشكت أن تفلت من أيديهم فسعوا إلى إيجاد تحالف بيزنطي بربري لمواجهة العرب المسلمين وقد نجحوا في ذلك[٤٠].

إذاً فالسؤال المطروح هو هل كان إسلام كسيلة حقيقة أم أنّ الشك يحوم حول هذه القضية، إنّا نظن أنّ كسيلة لم يسلم ولكنه تظاهر بالإسلام لأنّه بقي على رأس القبائل البربرية وزعيمهم المعنوي في تلمسان وما حولها لا ينافسه فيها أحد بما في ذلك الروم وهي غاية ما كان يصبو إليه. إلى أن جاء عقبة وأراد التّوسع غربا وإخضاع المغرب مباشرة إلى السّلطة المركزية، وفي ذلك اهتزاز لمكانة كسيلة الذي أسرع إلى التّحالف مع البيزنطيين أو كان على اتّصال معهم سابقا لاستعادة مكانته. وأمّا الرّواية بخصوص ذبح الشّاة فقد تكون من صنع كسيلة أو أتباعه لتبرير الخروج عن الطّاعة أو التنصّل من الصّلح ومحاربة عقبة.

لنفترض أنّ سياسة عقبة كانت غير حسنة تجاه البربر وزعيمهم، فإنّه كان من المفروض على كسيلة - لو صحّ إسلامه- ألا يحارب زهير بن قيس بعد استشهاد عقبة، أي لو كان يريد الانتقام لكفته معركة تهودا واستشهاد عقبة، ثمّ لماذا نجد زهير بن قيس يقوم بنفس العمل الذي قام به عقبة سابقا بقتاله البربر وزعيمهم الذي سيلقى حتفه على يديه؟

الحقيقة أنّ البربر كلما رأوا القوّة إلى جانب

المسلمين مالوا إلى المسالمة والاستكانة، حتى إذا ما دبّ الضّعف ورأوا التمكّن من المسلمين عادوا إلى نفس الطّباع الأولى وحاربوهم وتلك هي رؤية عقبة في حقيقة البربر.

إنّ نكبة تهودا التي كانت بين فئة قليلة من المسلمين بقيادة عقبة وأبي المهاجر ضد جيش عرمرم من البربر المؤازرين من قبل البيزنطيين بقيادة كسيلة تدلّ دلالة واضحة من خلال نتائجها على المغرب لفترة طويلة من الزمن على أنّ المعركة لم تكن انتقاما من عقبة نتيجة سياسته في البربر، بل تدل على استراتيجية كان البربر يحاولون بلوغها وهي استعادة النفوذ والانفراد بالمنطقة. كما تدل كذلك على أنّ الشك هو الصّفة الغالبة في إسلام كسيلة وجزء كبير من البربر أيام عقبة وأبي المهاجر. إنّ معركة تهودا مجرد عملية انتقامية بقدر ما كانت أوّل ثورة كبيرة ضد سياسة الفتح و التواحد الإسلامي في بلاد المغرب.

٣ - **أما بخصوص سياسة عقبة وعدم استشارته لأصحابه** واستبداده حينما لم يستمع لنصيحة أبي المهاجر في سياسته تجاه كسيلة والبربر فهي تهمة مردودة للأسباب المتمثلة في ضعف الروايات لأنّ العقل والسياق التّاريخي للفتح لا يقبلان بمثل هذه الأقاصيص. كما أنّ هناك حادثة أخرى تبرز أخذ عقبة بالنّصيحة ويظهر ذلك في علاقته بالمهادن المصالح يوليان حاكم طنجة، والذي نصح عقبة حينما سأله هذا الأخير عن بلاد ما وراء البحر -الأندلس- بأنّ يهتم بفتح باقي بلاد المغرب لأنّ **بالسّوس بعض القبائل لاتزال تعبد الأوثان** فأخذ عقبة **بنصيحته رغم أنّه مسيحي**. ولذا كيف يمكن لعقبة ألاّ يأخذ بنصيحة مسلم وأي مسلم في حجم أبي المهاجر الخبير بشؤون المغرب؟!!!!

إنّ ما نستشفّه من خلال المصادر والرّوايات التّاريخية حول عقبة بن نافع أنّه كان على جانب عظيم من الورع والتقوى وكان مجاب الدعوة. ولا نعلم أنهّ شارك في الفتنة الكبرى، بل كان حينذاك يحمي ثغور المسلمين في منطقة برقة. كما لا نعرف أنّه اغتنى من حركة الفتح أو شغل نفسه بالغنائم والبناء، بل إنّه كرّس حياته وجهده للجهاد، وكان يوصي أولاده بألاّ يقبلوا الحديث إلاّ عن الثّقة ولا يهتموا بما يشغلهم عن القرآن[41].

إنّ ما يمكن ملاحظته هو الغموض الذي يسود فترة الفتح نظرا لطبيعة المصادر حيث لم تدوّن إلاّ بعد قرن من هذه الفترة وقد اعتمد على الرّواية الشفاهية المعرضة بدورها إلى الزّيادة أو الانتقاص لأغراض مذهبية، وقد أصاب التّاريخ ما أصاب الحديث من وضع وكذب باعتبار أنّ النّاس كانوا مولعين بالأخبار التي تثير انتباههم وتسليهم وتتجاوب مع عواطفهم وميولهم، وهنا دخل الخلط والإسراف في الرّواية، ولذا ينبغي أن ننتبه إلى ما في هذه الأخبار من مغالطات ومغالاة ومبالغة[42] والتي غالبا ما كانت تجيء عن طريق الكذب.

والحقيقة أنّ ظاهرة الكذب في الرّوايات سواء أكانت في الحديث أم الأخبار التاريخية منتشرة بكثرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة وهي خيرة القرون. كما نلاحظ التداخل الكبير بين الأسباب والأهداف التي كانت وراء انتشار ظاهرة الكذب، والتي غالبا ما كانت تتمثل في الخلافات السياسية والانحرافات المذهبية والأمراض النّفسية. وجل الكذابين إنمّا كانوا يهدفون إلى نصرة أفكارهم ودحر المعادين وإفساد الدّين والطّعن فيه وفي علمائه[43].

ولمدرسة الكذّابين آثار كبيرة على التّاريخ الإسلامي حيث تسربت رواياتهم إلى المصنّفات التّاريخية والأدبية والكلامية. وصارت المصنّفات تضمّ في طيّاتها الكثير من الأباطيل والمتناقضات والخرافات. فشوّه التّاريخ الإسلامي تشويها أبعدت عنه الكثير من الحقائق[٤٤].

وقد حاولنا أن نبحث عن رواة للحوادث التّاريخية فيما يخص المغرب الإسلامي فوجدنا من بين الرّواة والكتّاب الذين اعتمد عليهم وأخذ عنهم أصحاب المصادر الخاصة بتاريخ المغرب أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي (١٣٠-٢٠٧هـ) صاحب كتاب فتوح مصر وافريقية. حيث اعتمد ابن عبد الحكم عليه وتأثر البلاذري به في فتوح البلدان وأخذ عنه. كما سار على نفس المنهج المالكي في رياض النفوس. واعتمد عليه صاحب الاستقصا أبو العباس الناصري. وابن الأثير في الكامل. كما اعتمد النويري على الواقدي ولو بجزء قليل في كتابه نهاية الأرب.

والواقدي رغم أنّه صاحب سبق في كتابة تاريخ افريقية والفتوحات إلاّ أنّ أصحاب الحديث أنكروا عليه رواياته. فقد جاء في كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض (٥٤٤هـ) أنّ في حديثه منقطع كثير وغرائب. وفي مسائله عنه منكرات على مذهبه لا توجد عند غيره. تكلم فيه النّاس وطرحه أحمد بن يحي وتكلم فيه ابن المبارك وقال عنه ابن البرقي: "كذّاب".

وقال عنه النّساني: "هو ليس بثقة ولا يكتب حديثه"[٤٥]. وذكر الحافظ الذهبي: "أنّ أبا داود قال: كان أحمد بن حنبل لا يذكر عنه كلمة وأنا لا أكتب حديثه ذلك أنّه كان يجمع الأسانيد ويأتي بمتن واحد". وقال عنه الشافعي: "كتب الواقدي كذب" وقال عنه ابن راهويه: "هو عندي ممن يضع الحديث. وليس عند البخاري من الواقدي حرف"[٤٦].

لقد كان الواقدي شيعيا ولكنّه أنكر التّشيع تقية في مصنفاته. ويذكر سعد زغلول أنّ كتابه فتوح إفريقية أخذ يتطور مع مرور الزمن حتى وصل إلينا في الشكل الأسطوري الذي هو عليه الآن[٤٧].

وهو بذلك يؤكد قول ابن خلدون في كتابه المقدمة إذ يقول: "إنّ أخبار الدول مدوّنة عند مجموعة من المؤرخين ذهبوا بفضل الشهرة والإمامة في هذا الباب مثل ابن إسحاق والطبري وابن الكلبي ومحمد بن عمر الواقدي والأسدي والمسعودي. وإن كان في كتب المسعودي والواقدي من الطعن والمغمز ما هو معروف عند الأثبات. ومشهور بين الحفظة الثّقات إلاّ أنّ الكافة اختصتهم بقبول أخبارهم. أما النّاقد البصير فهو قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون"[٤٨].

وعليه فبمثل هذه الكتب ورواياتها المغرضة كان التّحريف والتّزييف للحقيقة التّاريخية وإذا اتفقنا بأنّ الواقدي من الشّيعة وأنّ عقبة بن نافع الفهري من زعماء الدّولة الأموية عرفنا سبب إدراج هذه الرّوايات التي تمسّ بشخصية كان لها باع في نشر الإسلام في بلاد إفريقية والتي اتّخذها المستشرقون وسيلة لضرب الإسلام في رموزه ومبادئه ومعاملاته.

وملخص القول أنّه على مؤرخي المغرب الإسلامي وتاريخ الإسلام عامة إعادة قراءة الرّوايات التي تبدو متناقضة في أغلبها والتي لا

تخدم الحقيقة التاريخية الماضية ولا المصلحة السياسية المعاصرة. ويجب تغليب الرأي العلمي البعيد عن الحكايات الأسطورية التي ستزول بسرعة أمام المقارنة العقلانية المبنية على أساس النقد والترجيح بين المرويات من الأحداث التاريخية التي تتضارب أيضا مع البناء الشخصي للقادة الفاتحين والمجاهدين الشهداء.

فمن الضروري إعادة قراءة التاريخ الإسلامي المغربي وبالأخص:

- أن ننظر إليه نظرة اعتدال دون إفراط أو تفريط.

- واجب المؤرخين أن ينتقدوا الروايات التاريخية في أسانيدها ومتونها بطرق علمية حديثة بالاعتماد على منهجية تدوين الحديث النبوي كمدرسة.

- ضرورة القيام بتحقيق المخطوطات التي لا تزال بكرا في بلادنا ويمكن أن تفيد بشكل أو بأخر مجمل الملامح الحضارية لبلاد المغرب في العصر الوسيط. فقد كان إلى حين قريب نفر من المؤرخين يرون وصول عقبة إلى المحيط الأطلسي ضربا من الخيال وإنّ أقصى ما بلغه هو نهر الشلف إلى أن ظهر نصّ جديد لصاحبه عبيد الله بن صالح بن عبد الحليم (ت قرن٨هـ) وهو صاحب روض القرطاس حيث يبيّن في هذه الوثيقة كل المراحل التي قطعها عقبة وهو في طريقه إلى المحيط(٤٩). وأن نهيئ لذلك مركزا خاصّا بدراسة المخطوطات التاريخية وجمعها ومقارنتها وإقامة شبكة وطنية تربط بين الزّوايا والكتاتيب والمساجد العتيقة الموجودة في الأرياف و المدن للاستفادة من الخزانات المليئة بالكتب غير المحققة في جميع الميادين.

* * *

الهوامش

١. محمود شيت الخطاب: عقبة بن نافع. دار الفكر. بيروت. ط ٤. ١٩٧٢. ص ١٣٦.

٢. يمكن تقسيم المستشرقين إلى قسمين. قسم حاول دراسة التاريخ الإسلامي في المشرق والمغرب دون خلفيات وأظهر الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية وكانت دراسة ذات أهداف علمية بحتة. في حين نجد أنّ القسم الآخر قد ركّز على بعض الأعمال السلبية وحاول إظهار الجانب الذي يثلب المسلمين من مجون وحروب فلا تجد في كتاباته إلا قتل وشرّد وذبح وسفك. وأعطى نظرة غير صادقة لأحوال المسلمين.

٣. يعتقد المالكي أن المكان المختار كان حصنا لطيفا للروم يسمى قمونية وكان فيه كنيسة وفيها الساريتان الحمراوان اللتان هما اليوم في المسجد الجامع كانت عليهما حنيتان مبنيتان. أقامتا إلى أيام زيادة الله بن الأغلب. فهدمهما زيادة الله. وحملهما إلى المسجد الجامع. فجعلهما في المكان الذي هما فيه الآن. ويذهب إلى نفس الاعتقاد الدكتور حسن مؤنس إذ يرى بأنّ المكان ظل خرابا حتى سكنته السباع والذئاب...إلاّ أنّ الروايات التاريخية لا تدعم هذا المنحى. انظر المالكي:رياض النفوس. تحقيق حسن مؤنس. مكتبة النهضة المصرية.ج١.ص٢١: السيد عبد العزيز سالم:المغرب الكبير. دار النهضة العربية. بيروت.ج٢. ١٩٨١. ص٢٠٢و٢٠٣.

٤. ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها. مكتبة المثنى. بغداد. ١٩٢٠. ص١٩٦: ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب. دار صادر.بيروت. ج٣. ص١٠٧٥: البلاذري: فتوح البلدان. بيروت.١٩٩١. ص ٢٣٠: ابن عذاري المراكشي: البيان. مكتبة صادر. بيروت. ص:١٠و١٥: المالكي: نفس المصدر. ج١. ص٧: ابن حجر: الإصابة. دار صادر. بيروت. ج٣. ص٨٠: أبو العباس الناصري: الاستقصا. الدار البيضاء. ١٩٥٤.

ج١. ص٩٠: ابن الأثير: الكامل. دار صادر. بيروت. ١٩٦٥. ج٣.ص٣٢٠: ياقوت الحموي: معجم البلدان. دار بيروت. ج٤. ص٣٢٠٤. في حين ينفرد كل من أبي العرب تميم والدباغ بنسبة هذه الكرامة إلى عقبة بن عامر الجهني وليس إلى عقبة بن نافع انظر موسى لقبال: المغرب الإسلامي. مؤسسة الكتاب.الجزائر. ط٢. ص٣١. وإنّ المنقول عن الوراق أقدم مؤرخي بلاد المغرب أنّ عقبة اختط القيروان سنة ٤٦هـ/ ٦٦٦م. وفي كتاب مفاخر البربر لمؤلف مجهول يذكر بأنّ القيروان بنيت سنة ٤٥هـ/٦٦٥م. مؤلف مجهول: كتاب مفاخر البربر.تحقيق محمد يعلى. المجلس الأعلى للأبحاث العلمية.الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي. ص ٢٥٢. وذهب ابن الرقيق فيما نقل عن ابن الاثير وابن عذاري والنويري إلى أنّ عقبة شرع في بنائها سنة ٥٠هـ وانتهى منها سنة ٥٥هـ. ومشى على هذا القول من جاء بعدهم كالباجي في الخلاصة النقية والناصري في الاستقصا وأبو الفدا في المختصر انظر أحمد الناصري محقق الاستقصا. ص٩٠.

٥. البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب. مكتبة المثنى. بغداد. ص٧٣.

(❖) هو أبو تميم معد المعز لدين الله بن المنصور إسماعيل بن محمد بن عبد الله القاسم كان حكمه ٣٤١هـ.

٦. البكري: نفسه. ص٧٣.

٧. ونشير هنا إلى أنّ المشكل طرح بالنسبة لمسجد قلعة بني حماد الذي قيل عنه بأنّ محرابه منحرف عن القبلة رغم الاجتهادات التي قام بها مؤسسوها أنذاك. إذ إنّ قصة الانحراف عن القبلة هي قصة مطروحة إلى اليوم بالنسبة لمساجد بلاد المغرب وخصوصا العتيقة منها.

٨. البلاذري: المصدر السابق. ص ٢٣١ :ابن عذاري: المصدر السابق. ج١. ص١٥: وانظر أيضا المالكي: المصدر السابق.ج١.ص ص ٧.٨: الدباغ: معالم الإيمان. ج١.ص١٠: ياقوت الحموي: المصدر السابق. ج٤. ص٣٢٤:مؤلف مجهول: مفاخر البربر. ص ٢٥٢: السلاوي: الاستقصا. ج١.ص٧٩.

٩. ابن عبد الحكم: المصدر السابق. ص١٩٥: ابن الأثير: المصدر السابق.ج٤. ص.١٠٦.

١٠. زيعور: الكرامة الصوفية والأسطورة. بيروت. ١٩٧٦. ص٨٣.

١١. يوسف إسماعيل النبهان: جامع كرامات الأولياء.المكتبة الثقافية.ج١.ص٣٤.

١٢. إبراهيم القادري بودشيش: تاريخ المغرب الاسلامي.ص١٠٩.

١٣. المصدر نفسه: ص١٠٩

(❖❖)- شهر بن حوشب الأعري روى عن بلال المؤذن وتميم الداري وثوبان مولى رسول الله ﷺ وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبي هريرة وأم سلمة وأم حبيب وعائشة أم المؤمنين وخلق كثير وروى عنه كثيرون كذلك وقد اختلف في سنة وفاته بين سنة مائة للهجرة ومائة وإحدى عشرة ومائة واثنتي عشر انظر ترجمته عند جمال الدين المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال. ط٤.١٩٩٤.٣. مج ١٢. ص٥٨٧وما بعدها لعدة صفحات.

١٤. البكري: المصدر السابق. ص٧٣.

١٥. ابن عبد الحكم: المصدر السابق.ص١٩٧: الرقيق القيرواني. تاريخ إفريقية والمغرب. تونس. ص٤٠: عبد المنعم الخفاجي وعبد العزيز شرف : معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي. الدار المصرية اللبنانية.ط٢. ١٩٩٢. ص١٠٨.

١٦. عبد المنعم الخفاجي: نفسه. ص١٠٨.

١٧. انظر أبو الفدا: المختصر.ج١. ص١٨٦: ابن الأثير: الكامل.ج٣. ص١٣٠نقلا عن عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. ١٩٩٨. ص٥٥.

١٨. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم بالمغرب. دار النهضة. ١٩٨١. ص٣٦.

١٩. حسين مؤنس: فجر الأندلس. ص٣٦. نقلا عن عصام شبارو: الأندلس. دار النهضة العربية. ط٢٠٠٢.٤.ص٣٧.

٢٠. ابن عبد الحكم: المصدر السابق. ص١٩٧: محمود شيت الخطيب: المرجع السابق. ص١٤١.

٢١. موسى لقبال: المغرب الإسلامي. مؤسسة الكتاب. الجزائر.ط٣. ص٣٥.

٢٢. إبراهيم بيضون: الدولة العربية في إسبانيا. دار النهضة.٤١.

٢٣. ابن عبد الحكم: المصدر نفسه. ص١٩٥؛ وانظر أيضا ابن عذاري: البيان. ج١. ص٢٢. نقلا عن السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق. ص٣٦.

٢٤. موسى لقبال: نفس المرجع. ص٣٧.

٢٥. ابن أبي دينار: المؤنس. دار المسيرة. لبنان. ط٣. ١٩٩٣.ص٤١؛ السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير. ص٢١٤.

٢٦. المالكي: المصدر السابق. ص٢٢.

٢٧. ابن عبد الحكم: نفس المصدر. ص١٩٦؛ المالكي: نفس المصدر. ص٢٥

٢٨. عصام شبارو: المرجع السابق. ص٣٩.

٢٩. المالكي: نفسه. ص٢٢.

٣٠. ابن عبد الحكم: نفس المصدر. ص١٩٨؛ المالكي نفسه.ص ٢٢؛ ابن الأثير: المصدر السابق. ج٤. ص١٠٥؛ النويري: نهاية الأرب. دار النشر المغربية. الدار البيضاء. ص١٩٣

٣١. المالكي:نفسه. ص٢٧؛ النويري. نفسه. ص١٩٤. ويذكر ابن عبد الحكم بأنّ أبا المهاجر كان مقيدا بالحديد حينما استحرّ القتال ولماّ أمر عقبة بفكّ قيوده الحديدية أبى أبو المهاجر وقال ألقى الله في حديدي فقُتل عقبة وأبو المهاجر ومن معهما. انظر ابن عبد الحكم: المصدر نفسه. ص١٩٩.

٣٢. ابن عذاري: المصدر السابق. ج١. ص٢٩؛ إبراهيم بيضون: المرجع السابق. ص٤٣.

٣٣. المالكي: نفس المصدر. ص٢٦؛ النويري: نفس المصدر. ص١٩٣.

٣٤. عبد الكريم غلاب: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي. دار الغرب الإسلامي. ط١. ١٩٩٦. ص١٢٥؛ تختلف المصادر حول انقلاب كسيلة ضد عقبة. هل كان ذلك في القيروان حينما كبّله عقبة مع أبي المهاجر أم كان ذلك في حدود تلمسان حينما أراد عقبة غزوها وهي قبائل مسلمة حسب أبي المهاجر.

٣٥. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين بالأندلس. ص٣٨.

٣٦. المالكي: المصدر نفسه. ص٣٦.

٣٧. ابن عبد البر النمري القرطبي: المصدر السابق. ج٣. ص١٠٧٧.

٣٨. الناصري السلاوي: الاستقصا. ج١. ص٩٤.

٣٩. إبراهيم بيضون. المرجع السابق. ص٤٩.

٤٠. المالكي: نفس المصدر. ص٢٥؛ عصام شبارو: المرجع السابق. ص٤١.

(❖❖❖) - انظر الرقيق القيرواني: المصدر السابق. ص٤٥؛ مؤلف مجهول. مفاخر البربر. ص٢٥٢.

٤١. انظر ابن عبد البر: الاستيعاب. ج٣.ص ١٠٧٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء. ج٢. ص٢٤٩؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة. ج٥. ص ٨١. ٨٢؛ نقلا عن محمود شيت خطاب: المرجع السابق. ص١٣٤.

٤٢. عبد الحميد حاجيات. الجزائر في التاريخ. العهد الإسلامي. المؤسسة الوطنية للكتاب. ١٩٨٤. ص٤٥.

٤٣. انظر خالد علال الكبير: مدرسة الكذابين في الرواية التاريخية. دار البلاغ. ط١. ٢٠٠٣. حيث يذكر أنّ أزيد من ٣٥٠ راو كذاب في هذا المجال.

٤٤. خالد علال الكبير: نفس المرجع. ص٩٠.

٤٥. القاضي عياض:ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام الإمام مالك. بيروت. ج١. ص٢٣٥وما بعدها.

٤٦. الذهبي: تاريخ الإسلام. " وفيات سنة ٢٠٧هـ. ص٣٦١.

٤٧. ابن نديم: الفهرست. دار المسيرة. ص١١١؛ النويري: نهاية الأرب. مقدمة المحقق مصطفى أبو ضيف. ٣١..٣٢. وانظر ترجمة الواقدي عند البغدادي: تاريخ مدينة السلام. دار الغرب الاسلامي. مج٤. ص ٥.

٤٨. ابن خلدون: المقدمة. دار الفكر. بيروت. ط١.٢٠٠٣. ص١٦.

٤٩. هو نص جديد عن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب. حققه ليفي بروفنسال ونشر في صحيفة المعهد العربي للدراسات الإسلامية. مدريد. العدد الثاني. سنة ١٩٥٤. كما نبه إليه حسين مؤنس في كتابه تاريخ المغرب. مج١. ج٢. ص٩١. وقد اعتمد عليه السيد عبد العزيز سالم في كتابه: تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس.

حملتا الأمير هارون «الرشيد»

١٦٣-١٦٥هـ / ٧٧٩-٧٨١م ضد الدولة البيزنطية:

رؤية جديدة

د. طه خضر عبيد
جامعة الموصل - العراق

أسباب الحملتين :

كانت جبهة الثغور العربية الإسلامية "الشامية والجزرية" مع دولة الروم البيزنطيين، من أهم نقاط التماس، وأخطر الحدود مع الدول الأجنبية المجاورة للخلافة العباسية قاطبة، كونها لم تهدأ طيلة مدة الصراع العربي الإسلامي مع الروم البيزنطيين، وكانت حروبها وهجماتها، صغرت أم كبرت مستمرة، وقد أخذت تلك الجبهة من وقت وجهد ودماء الشهداء والجرحى العرب المسلمين الكثير، لا بل إنها أكثر من الجبهات الأخرى، وحفلت ببطولات التحدي والمجابهة ضد الأعداء، واستطاعت أن تحبط محاولاتهم، وتصد أخطارهم[١]، ومن دروب تلك الثغور مرت كل الحملات الحربية العربية الإسلامية لدرء الخطر البيزنطي، والمحافظة على الثغور وحمايتها، وغالبا ما استغلت دولة الروم البيزنطيين انشغال الخلافة بأوضاعها الداخلية وعلاقاتها مع الدول المجاورة الأخرى، لتشن دولة الروم هجماتها العدوانية على مدن الثغور وحصونها، مدفوعة بأطماعها للسيطرة على تلك الثغور لأهميتها التجارية، ولتحقيق أحلامها للسيطرة على بلاد الشام[٢].

اتبع الخلفاء العباسيون سياسة دفاعية قائمة على الدفاع عن تلك الثغور، واهتموا بها اهتماما كبيرا من الناحيتين الإدارية والدفاعية، ودافعوا عنها وقاتلوا الروم البيزنطيين قتالا متقطعا. وشهدت الخلافة العباسية في خلافة المهدي ١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م حالة من الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي والقوة الحربية، وعد الخليفة قائد الحرب للرد على الخطر القادم من العدو التقليدي، وتميز الصراع المشتد بين الطرفين بأنه كان لصالح الخلافة.

تمثل سنة ١٦٢هـ/٧٧٦م تطورا مهما على صعيد الخطر البيزنطي للثغور، عندما تعرضت الحدث "المهدية - المحمدية"[٤] في تلك السنة إلى اعتداء مدمر، شنه الجيش البيزنطي والذي قدر

عدد مقاتليه أكثر من مئة ألف مقاتل. شاركت فيه قوات البنود الآسيوية. عدا بند كبرياتون البحري والمرابط على شواطئ آسيا الصغرى. بينما كانت البنود البرية المشاركة هي: بند تراقسيون بقيادة لاخانودراكيون، وبند الناطليق "الأناتوليك" بقيادة ارتاشاسدوس الأرمني. وبند الإبسيق بقيادة جورج. وبند الأرمنياق بقيادة كاوستيرواتس. وبند البقلار بقيادة تازاتيس "طازاد الأرمني". وقد كانت تلك القوات تحت قيادة الدمستق. نائبا عن الإمبراطور.

لم تنحصر أهداف ذلك الهجوم في السيطرة على الحدث - ذات الموقع التجاري المهم - بل كانت تهدف تدمير كل مدن الثغور وصولا إلى بلاد الشام. إلا أن ذلك الهجوم انتهى بأسر من كان في الحدث من سكان فقط[٥]. ويبدو أن الذي منع استمرار الخطر وتقدم الهجوم البيزنطي إلى الثغور، ذلك الحذر والتحسب من الخلافة وقوتها. وتواجد الجيش النظامي العباسي المرابط في إقليم الثغور بقيادة الحسن بن قحطبة الطائي. مما حول الهدف البيزنطي إلى مجرد هجوم خاطف وتراجع سريع إلى داخل أراضيهم[٦].

وجاء رد الخلافة العباسية على ذلك العدوان: عندما انطلقت الحملات الحربية الكبيرة التي أرسلها الخليفة المهدي وأوكل قيادتها إلى ابنه هارون - الرشيد فيما بعد - في سنتي ١٦٣هـ/ ٧٧٩م و١٦٥هـ/٧٨١م وقد انتخب لهما أهدافا مهمة في العمق البيزنطي. سيما وأن خلافة المهدي قد تميزت بفهم واسع وإدراك كبير لطبيعة الخطر والعدوان البيزنطي. وكيفية مجابهته. وأن الخليفة المهدي جاء بعد أبيه أبي جعفر المنصور ١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م وما تركه للمهدي من وصية سياسية وحربية حكيمة ومهمة. كان للثغور نصيب فيها، ومنها مواصلة الجهاد. والحفاظ على الثغور وتقويتها. وتقوية الجيش[٧]. وقد سار الخليفة المهدي على تنفيذ تلك الوصية، فأرسل الحملات الحربية وبشكل منتظم وسنوي ضد الروم البيزنطيين.

أسند الخليفة قيادة الحملتين لابنه هارون. وعد ذلك تدريب لابنه على القيادة والإدارة. وشكل من أشكال الدعاية السياسية له، وتحقيق هدف إقرار قوة الخلافة في حماية ثغورها، وتنفيذ واجب الجهاد لإبعاد الخطر البيزنطي الذي بدأ يتعاظم على الثغور والمتمثل بطابع الهجوم الواسع وبقوات حربية كبيرة العدد. وتلك الأهداف المعلنة للعدوان على الثغور[٨].

ومما يثير التساؤل، هو ما أحاط تلك الحملتين من الرعاية والاهتمام، وما أفرد لهما من قوة حربية كبيرة جدا. فضلا عن حقيقة أوضاع الخلافة العباسية ودولة الروم البيزنطيين سياسيا وحربيا انذاك! ولأجل توضيح ذلك. لا بد من تناول تلك الجوانب بشيء من التفحص الدقيق، وإماطة اللثام عن أي غموض. وإن كانت تلك الحملتين مترابطتين بالهدف والأسلوب. ولأنهما تنفيذ لسياسة الخلافة الحربية لدفع خطر الأعداء الطامعين. ومجابهة ذلك والحفاظ على جبهة الثغور قوية محمية.

٢. حملة ١٦٣هـ/٧٧٩م:

حظيت تلك الحملة باهتمام الخليفة المهدي. عندما قرر أن ينفذ عملا حربيا واسعا لإبعاد خطر الروم البيزنطيين. الذين اعتدوا على الحدث في السنة الماضية. وإعادة الحياة الطبيعية إليها.

ولأن القوات البيزنطية لازالت قريبة من الثغور، أشرف الخليفة بنفسه على إعداد الجيش وتهيئته، فأمر ولاته على الأقاليم بإرسال قوات إليه "بعوث من جميع الأجناد"، ثم خرج الخليفة من بغداد تاركا ابنه موسى الهادي - ولي العهد - فيها، واتجه إلى الثغور، ووصل بجيشه إليها[٩]، وعسكر بالبردان[١٠]، واستمر هنالك شهرين يتهيأ للمعركة، وبذلك تحولت البردان إلى معسكر لتجميع القوات القادمة من أقاليم الخلافة، ولما استكمل الخليفة كل مستلزمات الحملة، ووزع الأموال على العباسين المرافقين له، وعلى جنده[١١]، ثم عهد لابنه هارون البالغ من العمر ثمانية عشر عاما بقيادة تلك الحملة[١٢]، ساعده عدد من القادة، ومنهم عيسى بن موسى العباسي، وعبد الملك بن صالح العباسي، والربيع بن يونس وغيرهم[١٣].

سار الجيش النظامي والمتطوعة الذين التحقوا به من الثغور والأقاليم المجاورة، حتى وصلوا إلى الحدث، التي تعرضت للعدوان كما مر، وعلى نهر جيحان ودع الخليفة ابنه وجيشه عائدا إلى بغداد[١٤].

لا يخرج هدف تلك الحملة عن كونه تنفيذا لواجب الخليفة الحربي لمجابهة الخطر البيزنطي المستمر، ومن أجل إبعاد ذلك الخطر والثأر للحدث، فقد اختار هارون الرشيد هدفا مهما بعد دخوله درب الحدث إلى العمق البيزنطي، فاختار قلعة سمالو Semalos الواقعة في بند الأرميناق (Armeniak)[١٥]، وتعد تلك القلعة من أحصن القلاع وأخطرها، لما تمتلكه من موقع على تل عال، تتوفر فيها الاستحكامات القوية من أسوار وخنادق، وقد فرض القائد هارون الرشيد الحصار على سمالو مدة ثمان وثلاثين إلى أربعين ليلة، وقطع عنها المؤن والمياه، فتعرض أهلها للجوع والعطش، وقد استخدم القائد هارون الرشيد أسلحة الحصار ومنها المجانيق[١٦]، وقاوم أهل القلعة أول الأمر، لكن ما فتئوا أن استسلموا في النهاية عندما أدركوا أنه لا مناص عن ذلك، فطلبوا الأمان ووقعوا على الصلح بشروط: ألا يقاتلوا، ولا يفرق بينهم، وجاء القائد هارون الرشيد بأهل سمالو الذين حصلوا على الأمان إلى بغداد، ويقدر عددهم بعشرة عوائل فيهم القومس[١٧]، وأسكنهم في بغداد في موضع سمي "سمالو" أو صمالو يقع قرب باب الشماسية، أما الذين بقوا في القلعة وقاوموا عند فتحها فقد عوملوا غنائم حرب تم بيعهم[١٨].

إن ذلك الانتصار الذي حققه القائد هارون الرشيد في حملته، قد عمق ثقة أبيه به، وأنه قائد حربي شجاع، وانتشر صيته، ولذلك منحه الخليفة ولاية العهد الثانية بعد أخيه - موسى الهادي - ولقبه بـ "الرشيد" ومنحه ولاية الأقاليم الغربية وأذربيجان وارمينية، كونه أصبح عارفا وخبيرا بأوضاعها رغم حداثة سنه[١٩]، أما صدى انتصار هارون الرشيد، في دولة الروم البيزنطيين، فقد كان كبيرا وواسعا، ويبدو من تسمية المصادر البيزنطية المعاصرة له "ارون Arun" قائد الجيش العباسي في عهد أبيه، والذي يختلف عن معاصره في دولة الروم البيزنطيين، "قسطنطين السادس" مثيله في السن والمنصب أيضا، إلا أنه لم يكن قائدا شجاعا وناجحا وموفقا في الإدارة والحرب مثل الرشيد، مما جعل "أيريني" تتحكم بالبلاط البيزنطي، وتنصب نفسها إمبراطورة ووصية على ابنها[٢٠].

ولقد أعطى ذلك الانتصار في سمالو للقائد

هارون الرشيد، المفتاح الذي طوعه لفتح الدروب والأبواب ومجابهة الأعداء على تلك الجبهة، ونال الإعجاب من أبيه للاعتماد عليه في إدارة الخلافة وقيادة الجيش، وكان لذلك الحدث، أهمية في توجه الرشيد العسكري وقيادته للحملات الحربية العديدة في خلافة أبيه أو في خلافته لمجابهة الأعداء الطامعين[21].

٢. حملة ١٦٥هـ/ ٧٨١م:

شهدت سنة ١٦٤هـ/ ٧٨٠م تحركات مريبة للجيش البيزنطي بقيادة الستراتيجوس "ميخائيل لاخانودراكيون" يساعده قائد بند البقلار "طازاد الأرمني" تازاتيس، ولما تقرب ذلك الجيش من درب الحدث مرة أخرى بهدف تهديد الثغور المقابلة للدرب[22]، كان في الوقت نفسه، صائفة أرسلها الخليفة المهدي بقيادة عبد الكبير بن عبد الحميد بن زيد وحدد هدفها من الدرب، إلا أن قائد الصائفة منع قوته من الاصطدام بالجيش البيزنطي القادم، وقرر عبد الكبير الانسحاب، مما أثار عليه غضب الخليفة وعاقبه بالسجن[23]، ويبدو أن قائد الصائفة أراد من عدم الاصطدام، المحافظة على جنده بسبب عدم تكافؤ قوات الطرفين، ولأن الجيش البيزنطي قدر من تسعين إلى مئة ألف مقاتل، وإن كان هذا الرقم مبالغ فيه، إلا أنه يدلل على كثرة الجيش المهاجم.

ولما وصلت تلك الأخبار إلى الخليفة من الثغور، قرر إرسال قوة حربية كبيرة جداً، عدت واحدة من أهم الأعمال الحربية المميزة في مواجهة الخطر البيزنطي، فأمر الخليفة بحملة سنة ١٦٥هـ/ ٧٨١م، وحدد هدفها فتح العاصمة القسطنطينية، وأوعز إلى إبنه هارون الرشيد للمرة الثانية بقيادة تلك الحملة الكبيرة.

بدأ الاستعداد لتلك الحملة أواخر جمادي الآخرة ١٦٥هـ/ كانون الثاني ٧٨١م، وقدرت قوة الجيش العباسي النظامي المشاركة في تلك الحملة في رواية الطبري[24]، خمساً وتسعين ألفا وسبعمائة وثلاث وتسعين مقاتلا، أو مئة ألف مقاتل في رواية ثانية للطبري[25]، وعند ابن العديم[26] مئة ألف مقاتل عدا المتطوعة من سكان الثغور والتي أورد عددا منهم:

١. ألفين وثمانمائة وسبعين رجلا من المصيصة.

٢. ثمانمائة وثمانين رجلا من أذنة.

٣. ألف وستمائة وأربعين رجلا من طرسوس.

وعند وصول القائد هارون الرشيد وجيشه إلى الثغور، توقف في مدينة المصيصة[27]، والتحق به هنالك متطوعة الثغور ومقاتليها، واتجهوا إلى الطوانة[28]، التي تحولت إلى معسكر للتهيئة والتعبئة، والتحاق بقية قوات المتطوعة من أقاليم الخلافة الأخرى بالجيش النظامي، واستمرت التعبئة فيها ثلاثة أيام، ومنها أرسل القائد هارون الرشيد عيونه الذين انتشروا في عمق أراضي الدولة البيزنطية ليوافوه بالمعلومات عن تحركات الجيش البيزنطي ومواقعه، وكل خبر يهم الرشيد عن الأعداء[29].

وضع هارون الرشيد خطته الحربية، والتي حدد أول هدف لها في الأراضي البيزنطية، حصن ماجدة الحصين، والذي يقع أمام الطوانة بالقرب من قلعة لؤلؤة الحصين بعشرين ميلا[30].

وافتتحه. بينما كان الرشيد قد أتم فتح ذلك الحصن. وصلته الأخبار من عيونه المنتشرين في الأراضي البيزنطية. والتي تفيد أن بيزنطة لا علم لها بتحرك الرشيد وقوته. عدا القوات البيزنطية المتواجدة في تلك الجهات والتي كانت قريبة من حصن ماجدة[٣١]. ويقود القوة البيزنطية تلك "نكتاس الذي تسميه مصادرنا" نقيطا قومس القوامسة " أي قائد الفرسان. قائد بند الأبسيق Opsikon. ولما تقدمت مقدمة الجيش العباسي بقيادة القائد يزيد بن مزيد الشيباني، اصطدمت بالقوة البيزنطية. فكان أول اصطدام بين الجيشين. وقد قضى يزيد على القوة البيزنطية وقتل قائدها[٣٢].

ومن يجد أن ذلك الاصطدام. كان أول كمين بيزنطي كاد أن يقضي على الرشيد وأغلب جنده لولا شجاعة يزيد الذي كان في طليعة الجيش العباسي، وقد أشار الشاعر سلم الخاسر الى ذلك بقوله[٣٣]:

ومدجج يغني المضيق بسيفه

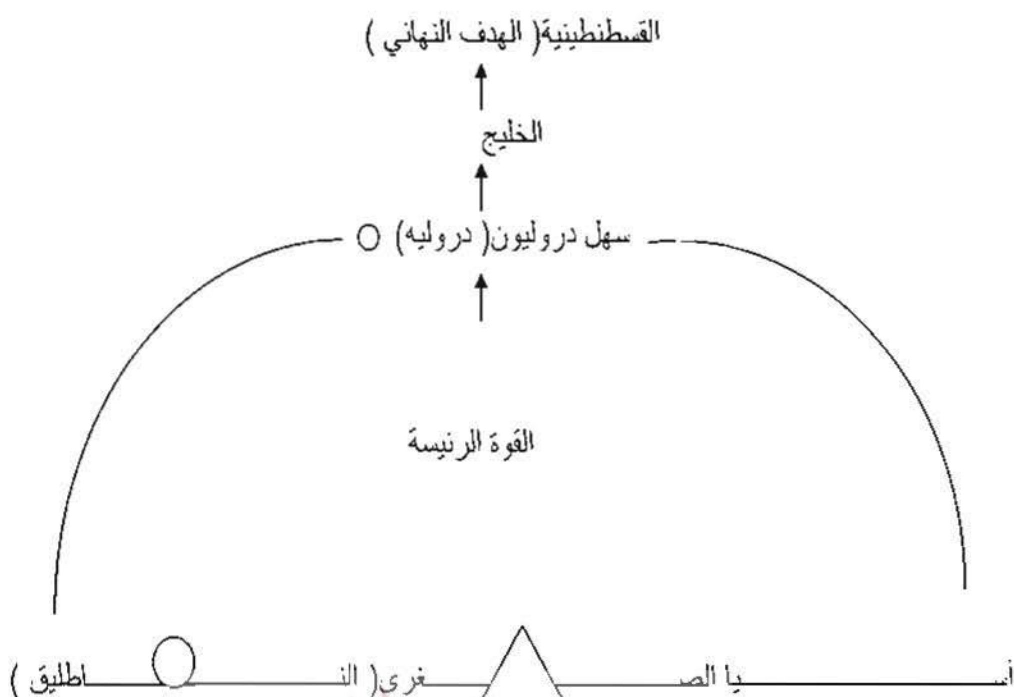
حتى يكون بسيفه الإفراج

ويبدو أن استخدام أساليب وفنون القتال البيزنطية مع العرب المسلمين. قد اتسمت بغلبة أسلوب الكمائن البيزنطي كأسلوب قتالي. لعجزهم عن أسلوب المواجهة والمطاردة والمبارزة[٣٤]، وشجع ذلك الانتصار هارون الرشيد للمضي قدما إلى الأهداف المرسومة والمحددة في خطة الحملة والهادفة إلى اختبار العمق البيزنطي. وجاء تطبيق خطة التعبئة للجيش العباسي بعد ذلك الانتصار. إلى تتسيم الجيش إلى ثلاثة أقسام حسب الاتجاه والهدف:

١. اتجاه الغرب إلى بند الأبسيق. هدفه مدينة ناقوليا Nakolia بقيادة الربيع بن يونس.

٢. اتجاه آسيا الصغرى. حددت له مواقع فيها بند الناطليق "الأناتوليك" وهدفه نقمودية. وقد اصطدم ذلك القسم مع قائد بند تراقيسون Tharaceon بقيادة الستراتيجوس ميخائيل لاخانودراكيون، والذي تكبد خسائر قدرت بخمسة آلاف إصابة بالقرب من مدينة درووليون "اسكي شهر الحالية". وكان يقود هذا القسم عبد الملك بن صالح أو يزيد بن مزيد الشيباني، ويستبعد أن تكون قيادته يحيى بن خالد لأنه مدبر الجيش. وكلف القسمين(١-٢) بواجب حماية الجهتين اليسرى واليمنى للقوة الرئيسة الثالثة.

٣. القوة الرئيسة التي يقودها هارون الرشيد. واتجهت نحو العمق البيزنطي. وهدفها النهائي مدينة درووليون "اسكي شهر الحالية" وحددت تلك المنطقة لتكون محطة تجمع القوات الثلاثة. ومن ثم تشق طريقها إلى الشواطئ الآسيوية المقابلة للعاصمة القسطنطينية[٣٥].







تعبئة الجيش العباسي وأهدافه واتجاهاته

ومن أجل الوصول إلى الهدف المنتخب والنهائي - على الشواطئ الأسيوية "الخليج" المقابلة للعاصمة القسطنطينية. وكان المخطط له والمتفق عليه بين أقسام الجيش الثلاثة ووفق تعبئة الجيش. أن تلتقي تلك الأقسام الثلاثة في سهل دروليه[٣٦]، ولما وصلت قوات الأقسام الثلاثة. أقامت أربع ليال في سهل دروليه. ذلك السهل الفسيح لتأخذ قسطا من الراحة بعد معاناة التعب والاصطدامات مع القوات البيزنطية في الحصون الثلاثة والعشرين!

التي فتحها هارون الرشيد منذ دخوله الأراضي البيزنطية حتى وصوله إلى السهل. والمعارك التي خاضها القسمان الآخران[٣٧]

أما خطة تنفيذ الهجوم والتي ناقشها القائد هارون الرشيد مع قادته، كانت تقتضي المسير قدما نحو القسطنطينية. وكان لقادة الرشيد رأي مفاده: ألا يتوجه الجيش إلى المنطقة المعروفة بـ"القفل" ومنه إلى خليج القسطنطينية عبر اسكدار "Chrysopolis" وخليج البوسفور[٣٨]. بينما أصر هارون على رأيه بالمسير عن طريق هذا المنفذ. وكانت عيونه المنتشرة في الأراضي البيزنطية تمده بالمعلومات أولا بأول. ومنها أن الإمبراطورة أيريني "الوصية على ابنها قسطنطين السادس: قد جمعت جيشا كبيرا وأمرته بالتوجه إلى منطقة الخليج"، وعزمت على التصدي للرشيد، وعند ذلك تحرك هارون من سهل دروليه إلى منطقة القفل، والواقعة على نهر صاغر "Sakarya" ووصل في الوقت نفسه الجيش البيزنطي بقيادة قسطنطين إلى أعلى نهر صاغر، في حين تحركت الفرق العسكرية البيزنطية "Tagmata" من البنود البيزنطية إلى منطقة القفل، وحدد واجبها بالسيطرة على الدروب والوديان والمرتفعات هنالك، وقد أسرعت القوات البيزنطية إلى المناطق المحددة لها[٣٩].

أصبح الجيش العباسي محاصرا، وقطعت عنه المؤونة، وأصبح وضعه صعبا، وقد أشار إلى ذلك الحصار المؤرخ ميشيل السوري قائلا[٤٠]: "إن الجيش الإسلامي كان قد وقع في كمين عند بعض الممرات الضيقة، ولذلك أدرك قادته، إن من الأفضل طلب الصلح والموافقة عليه"، في حين كان رأي الطبري أكثر وضوحا[٤١]: "أن الرشيد دخل مدخلا صعبا" وهو إشارة إلى الطريق الذي اختاره إلى الخليج، لأن هنالك عدة طرق توصله إلى الخليج.

وتباينت الروايات عن الموقف الحربي لكلا الطرفين عند الخليج. فمنها ما يرى أن الإمبراطورة أيريني، هي التي بادرت بطلب الصلح أولا، بينما يرى الآخر، أن القائد هارون الرشيد وبموقفه الصعب، هو الذي طلب الصلح قبل الإمبراطورة، ومن المصادر ما يشير إلى وجود وفود ومراسلات، ووفد بيزنطي محتجز عند هارون الرشيد، فما هي الحقيقة؟[٤٢].

جاء ابن العديم برواية مهمة، رغم تأخر زمنه، والتي لم يوضحها الطبري في سياق أحداث تلك السنة، وإن انفراد ابن العديم، وتفاصيل الأحداث لديه ودقتها يرجع ما أشار إليه، لأن معلوماته امتازت بالدقة عن الثغور لقربه منها، فضلا عن معالجته للعلاقات العربية الإسلامية مع الروم البيزنطيين بشيء من الوضوح المستمد من معلوماته التي هي من مصادر مفقودة الآن[٤٣]، ومما يرجح روايته، ما أشار إليه المؤرخ البيزنطي المعاصر "ثيوفانس" في وجود وفد بيزنطي محتجز[٤٤]، واتفاقه مع ابن العديم في كثير من الحقائق. وعودة إلى رواية ابن العديم، فإنه أشار فيها إلى ذلك الموقف الصعب الذي مر به هارون الرشيد وجيشه في منطقة القفل أول الأمر، وأن الجيش البيزنطي قد فرض عليه حصارا خطرا، مما اضطر هارون الرشيد إلى طلب الصلح من الطاغية "أيريني" على أن يطلق كل الأسرى البيزنطيين الذين أسرهم في حملته، وأن يعمر كل الحصون التي خربها في طريقه إلى القفل، ثم انسحابه من الأراضي البيزنطية! إلا أن الإمبراطورة رفضت ذلك العرض واشتدت في

حصارها[٤٥]. ولا تعدو تلك العروض سوى أسلوبا لكسب الوقت والتمكن من كسر ذلك الطوق الذي أحاط بالجيش العباسي، وقد أثبتت الخطة الحربية صدق ذلك القول.

وفي تلك الظروف الصعبة، بدأ هارون الرشيد بالتفتيش عن مخرج مما هو فيه. فجمع كبار قادته ومستشاريه، ومنهم إبراهيم بن مخلد الفزاري، ومخلد بن الحسين[٤٦]. واللذان كان لهما رأي، هو الاستئناس برأي المقاتل سالم البرنسي السندي[٤٧]. واقترح الأخير على الرشيد، وضع خدعة "خطة تكتيكية" تعتمد على قوة الجيش العباسي ووحدته وتماسكه ومعنوياته. وتقوم على استخدام الحيلة والخدعة: وذلك بتظاهر سالم وخروجه وانشقاقه بجند الثغور على قائده هارون الرشيد. وقد وصف سالم تفاصيل الخطة للرشيد والذي أعجب بها أيما إعجاب ووافق عليها. وهيأ لسالم كل مستلزمات نجاح الخطة من " الكسوة، والأموال، الطيب...الخ ". وأرسل هارون الرشيد الوفود إلى سالم يرجوه الرجوع إليه. وسالم يتظاهر برفض كل العروض والوفود أمام عيون البيزنطيين[٤٨]، استطاع سالم بذلك أن يكسب ثقة البيزنطيين، ويؤكد لهم خروجه على الرشيد، وأثبت لهم بمواقف عديدة على صدقه. وراسل قادة الجيش البيزنطي طالبا منهم الأمان والتحالف معهم. وقد عمق ثقة الجانب البيزنطي به، عندما أرسل للقادة الأموال والكسوة والطيب وهدايا أخرى دليلا على حسن النية، وأخيرا دعاهم إلى الطعام في مقره، فأجابوه بعد موافقة الإمبراطورة[٤٩]، وكان هؤلاء القادة البيزنطيين، هم الذين سماهم المؤرخ ثيوفانس بالوفد البيزنطي المحتجز، عند هارون الرشيد وهم:

١. الدمستق الخصي ستاركيوس Demastic Stauracius

٢. أنطيونيوس " أنتوني " Antonyos

٣. المغاستير بيتر "البطريق" Magisterus - Peter

وقد حضر البطارقة " القادة " وهم الوفد البيزنطي دون رهائن من جانب سالم البرنسي، فوقعوا في مكيدة الرشيد، وجرى احتجازهم، وقد نفذ سالم خطته بشكل محكم، وعندما تحول الأمر إلى هارون الرشيد والذي أصبحت الظروف في خدمته، هاجم وقتها القوات البيزنطية التي كانت بدون استعداد ومصابة بالخدر[٥٠]. وتشير المصادر البيزنطية إلى وقوع تلك المعركة في منطقة "Milios"ويرى ثيوفانس[٥١] إنها حققت انتصارا للبيزنطيين على العرب المسلمين، بينما تقول المصادر العربية العكس، وهي الأرجح[٥٢]، فقد قتل من الجيش البيزنطي فيها أكثر من سبعين ألفا، وأسر زهاء ثلاثين ألفا! وإن كانت تلك الأرقام مبالغ فيها، لكنها تعكس حجم الخسائر البيزنطية الفادحة ومرارة هزيمتهم[٥٣]، وتأتي تلك الخسائر لتفسر لنا من جهة أخرى، حجم الغنائم التي لا تحصى والتي حصل عليها العرب المسلمون، وهي من الدواب والبغال والدروع والسيوف، وقد أشار لها الطبري[٥٤] في أحداث سنة ١٦٥هـ / ٧٨١م، وبسببها انخفضت أسعار تلك السلع في أقاليم الخلافة.

وكان أحد جوانب خطة هارون الرشيد: العمل على إضعاف الجيش البيزنطي، وزرع الانشقاق في صفوفه، وهو ما حصل مع القائد الأرمني طازاد "تازتيس Tatzates" قائد بند البقلار والذي كان تحت إمرته قرابة ستين ألف جندي! ولجوئه بعد الانشقاق إلى القائد هارون الرشيد الذي أحسن

حملتا الأمير هارون الرشيد، ١٦٣-١٦٥هـ / ٧٧٩-٧٨١م ضد الدولة البيزنطية، رؤية جديدة

معاملته، وكان مما شجع على انشقاق القائد الأرمني، ذلك الخلاف الشخصي والمذهبي بينه وبين ستاراكيوس التابع المخلص للامبراطورة أيريني[٥٦]، وقد غيرت تلك الأحداث ميزان القوى الحربية لصالح الرشيد، وأصبح موقفه بعد تلك الانتصارات أقوى وأكثر إصرارا للتوجه إلى القسطنطينية، بينما كانت ظروف الإمبراطورة السياسية والحربية لا تحمد عليها، فهي تعاني من المشكلات الداخلية التي تأتي في مقدمتها ثورة حاكم صقلية " هليبديوس Elipidus"، مما اضطرها إلى إرسال قوات بيزنطية من العاصمة لقمعها[٥٧]، فضلا عن أن البلاط البيزنطي كان على خلاف، والجيش تفرقه السياسة الدينية والأيقونية بخاصة، لذلك أدركت الإمبراطورة أيريني، أن الصلح أصبح ضرورة ملحة[٥٨].

وعند ذلك أرسلت الإمبراطورة وفدا رأسه "ثوروثيو" رئيس مدينة خرسوبولس Chrysopolis "أسكدار"، وقسطنطين حافظ الكنيسة الكبرى إلى العرب المسلمين، وسلموا عبد الملك بن صالح عرض الصلح برسالة مكتوبة، أوصلها عبد الملك إلى القائد هارون الرشيد، ولا يفسر إرسال الإمبراطورة ذلك الوفد بتلك المواصفات من المكانة الدينية والسياسية إلا لتأكيد طبيعة السياسة التي انتهجتها الإمبراطورة[٥٩]، وقد جاء في تلك الرسالة، أن الإمبراطورة توافق على جميع شروط القائد هارون الرشيد، والتي أملاها عليها، والوفاء بما تعطيه، وأن تفي بما يريد حتى يتحقق الصلح[٦٠]، وهكذا تحول الحصار الذي فرضه الجيش البيزنطي على القائد هارون وجيشه إلى انتصار حاسم في نهاية المطاف وبذلك أصبح الذي طلب الصلح في الأخير هو الإمبراطورة أيريني، وليس القائد هارون الرشيد[٦١].

ولقد عكست بنود الصلح وشروطه موقف الضعف السياسي والحربي الذي كانت عليه الإمبراطورة، وإن الذي فرض تلك البنود والشروط الصعبة والمكلفة كانت قوة الخلافة السياسية والحربية الناجحة، وكشفت عن مزايا الرشيد وكفاءته في الحرب والسياسة، وبشيء من التفصيل: لا بد من استعراض تلك البنود، وما ترتب عليها من نتائج مباشرة وغير مباشرة على صعيد مواجهة الخطر البيزنطي، وبذلك تتضح أهمية تلك الحملة التي قادها الرشيد للدفاع عن الثغور وإبعاد خطر الأعداء التقليديين.

نتائج حملة ١٦٥هـ/٧٨١م :

عرضت المصادر بنود الصلح الذي تم الاتفاق عليه بين الطرفين، وما نتج عنه، ويقارن بالعمليات الحربية الكبرى، وعلى أنه انتصار حاسم، كما أنه أقوى أسلوب لمواجهة الخطر البيزنطي، ولذلك تعد حملة ١٦٥هـ/٧٨١م من العمليات الحربية والسياسية الواسعة والمهمة والتاريخية، ومناقشة بنود الصلح تعطينا حقائق كثيرة لما حدث، ومنها:

١. أن تدفع الإمبراطورة جزية سنوية، تبلغ بين سبعين إلى تسعين ألف دينار، وبدفعتين من السنة، في نيسان وحزيران، ولا شك أن ذلك المبلغ كان كبيرا، إلا أنه شرط المنتصر وعلى الخاسر تنفيذه[٦٢]، وقد وافقت الإمبراطورة على ذلك وهي صاغرة، لأنها تمر بمرحلة حرجة في بلاطها، وما كان عليها إلا العمل على تامين ذلك

المبلغ من وارداتها ومنها الضرائب على أقاليمها. ولقد كان لهذا الشرط آثاره ونتائجه السلبية المباشرة. فبسببه اندلعت أزمات وحروب داخلية منها على سبيل المثال. ثورة الصقالبة عقب توقيع الصلح مباشرة. وخروج عمال الإمبراطورة لجمع الضرائب من الأقاليم. وشهدت اليونان. وبخاصة مدن "سالونيك. وأتيكا - أثينا. وجزر البولونيزو" ثورة ضد الإمبراطورة التي فرضت على الناس تلك الضرائب الباهضة لتغطية الغرامة التي فرضها عليها هارون الرشيد[61]. في حين أبقت الإمبراطورة أملاك رجال الدين وأعادت أليهم ما أخذ منهم. رغبة منها في ضمهم إلى جانبها في صراعها السياسي والديني من أجل الحفاظ على السلطة في يدها[63]. وقد أرسلت الإمبراطورة من الجزية ما قدر بأربعة وستين ألف دينار رومية، وألفين وخمسمائة دينار عربية. وثلاثين رطل مرعزي[64].

أما أن تكون تلك الجزية بدفعتين في السنة. فهو يعكس المبالغ الكبيرة والتي كانت بيزنطة عاجزة عن دفعها مرة واحدة من جهة. ومرونة الخلافة العباسية في استيفاء تلك الجزية[66]. ولقد ترك دفع ذلك المبلغ عجزا كبيرا في ميزانية الدولة البيزنطية. ظهرت نتائجه بعد سنين من تاريخ الصلح. وقد عده الإمبراطور نقفور الأول ٨٠٢-٨١١م. من المساوئ الاثنتي عشرة التي ورثها عن الإمبراطورة أيريني[67]، ورأى أن معالجته في مطالبة الخلافة بإرجاع تلك الأموال. وهي محاولة باءت بالفشل. وعجز عن تحقيقها مثلما صورتها الرسائل المتبادلة بينه وبين الخليفة هارون الرشيد[68].

ولا يفسر موافقة الإمبراطورة على ذلك الشرط الصعب إلا محاولة منها لإنهاء مشكلاتها مع الخلافة. ولإدراكها مخاطر الرفض التي تعني تقدم الجيش العباسي إلى العاصمة القسطنطينية، وإزالتها عن عرشها. ومن جهة أخرى أرادت التفرغ لمعالجة أوضاعها الداخلية المضطربة، وعلاقاتها الخارجية المتأزمة مع شارلمان والبلغار[69].

٢. أن ترسل الإمبراطورة رسولا شخصيا يمثلها. إلى الخليفة المهدي في بغداد. يحمل معه الهدايا والجزية. ويوضح هذا الشرط توكيد قبولها بالصلح وحسن نواياها. وتحقيقا للجانب الرسمي بين القسطنطينية وبغداد. ويعزز في الوقت نفسه. موقف ومكانة القائد هارون الرشيد عند أبيه المهدي. فضلا أن هذا الأسلوب الدبلوماسي قد عرفت به الإمبراطورة في علاقاتها مع جيرانها، وميلها إلى ذلك الأسلوب الذي وجدته يحقق هدفها في الاحتفاظ بالسلطة العليا في البلاط البيزنطي، وقد جمعت الإمبراطورة ما تيسر من الذهب والفضة والعروض. وأرسلته مع رسولها الذي رافق القائد هارون الرشيد في عودته. وليسلمها إلى الخليفة المهدي في بغداد[70].

٣. أن تقدم الإمبراطورة الأدلاء والطعام، وإقامة الأسواق للجيش المنتصر في طريق عودته إلى بلاده عبر بلد الناطليق - الأناضول. ولم يكن ذلك الشرط. سوى تعبير عن حسن النية. ودليل على الهزيمة. لأن المؤن والغنائم التي حصل عليها الجيش العباسي فيها الكناية.[71] فضلا عن أن الأموال التي خصصتها الخلافة للإنفاق على الحملة قد قدرت بأربع وتسعين ألفا وأربعمائة وخمسين دينارا. وإحدى وعشرين ألف ألف درهم وأربعمئة وأربعة عشر ألفا وثمانمائة وستون ألفا وسبعمائة درهم. وذلك المبلغ يفوق أموال الجزية

المقدمة من الإمبراطورة ولمدة سنة واحدة[٧٢].

أما عن الأدلاء، فان الجيش العباسي، هو جيش نظامي ويمتلك كل الصنوف ومنهم الأدلاء، وتمتلك الخلافة من الأدلاء من هم أخبر وأدق من البيزنطيين أنفسهم في بلادهم، ومن المرجح أن يكون هؤلاء الأدلاء من القادة العسكريين البيزنطيين المعروفين، كيلا يحدث اصطدام مع القوات البيزنطية في البنود المار بها الجيش العباسي خلال عودته إلى الثغور.

٤. تسليم جميع الأسرى العرب المسلمين الموجودين في الدولة البيزنطية، وهو شرط من شروط الصلح والسلام، إلا أنه لم يتحقق هذا الشرط في الحال، بل احتاج بعض الوقت، وكلمة جميع الأسرى، لا تشترط أن يكون الفداء واحدا بواحد[٧٣]، وقد أوردت المصادر، أن أسرى بيزنطة قد بلغوا خمسة آلاف وستمائة وثلاث وأربعين بيزنطيا[٧٤].

٥. والبند الأخير، توقيع الهدنة التي تكون مدتها ثلاث سنوات، ويعد هذا الشرط من أكثر الاتفاقيات وضوحا في تحديد مدة الصلح، ويبدو أنها مدة ليست بالقصيرة، ولا تمثل سوى راحة لجيوش الطرفين من العمليات الحربية، ولقبر أحلام بيزنطة وإيقاف اعتداءاتها على الثغور، وتوضح تلك البنود والشروط مواقف الإمبراطور نقفور الأول بعد سنوات من ذلك الصلح، ومطالبته بإعادة جميع الأموال التي قدمتها الإمبراطورة للقائد هارون الرشيد، وبذات الوقت كان نقفور يحاول الحط من قيمة الإمبراطورة، لكنه فشل في محاولته وأصبح مثلها لا بل أكثر خضوعا للخلافة عندما دفع الجزية عنه وعن ابنه[٧٥].

من نتائج حملة ١٦٥هـ/٧٨١م، أنها قللت الحملات العباسية على بند الناطليق - الأناتوليك - الأناضول، وأصبحت بيزنطة تعتمد على قواتها في بند القبادق[٧٦].

ويبقى سؤال:هل كان هارون الرشيد ينوي فتح القسطنطينية؟

سبق وأن مر الكلام عن إعداد الحملة وسيرها وتعبئتها وظروفها، وذلك يؤكد أن القائد هارون الرشيد كان عازما على فتح العاصمة القسطنطينية، وما وصوله إلى "الخليج" بذلك الحجم من القوات، وانتصاراته المتلاحقة، فضلا عن أوضاع بيزنطة المتردية، كلها ترجح هذا القول[٧٧]، غير أن الذي يسجل على القائد هارون الرشيد: أنه لم يسند قوته البرية الكبيرة بقوة بحرية، ويمكن القول أن أوضاع البحرية للطرفين لم تكن متوازنة في تلك المدة، وإنما كانت لصالح بيزنطة التي احتفظت بقوة بند كبرياتون البحري المرابط على الطريق الممتد من سواحل آسيا الصغرى إلى العاصمة القسطنطينية، والذي كان واجبه الرئيس حماية عاصمة دولته.

وتعد حملة ١٦٥هـ/٧٨١م بحق الحملة العباسية الوحيدة التي استطاع فيها العباسيون الوصول إلى مشارف القسطنطينية وهددوها فعلا، وقد أشار إليها الشاعر مروان بن أبي حنصة(٧٨):

أطفت بقسطنطينية الروم مسندا

إليها القنا حتى اكتسى الذل سورها

وما رمتها حتى أتتك ملوكها

بجزيتها والحرب تغلي قدورها

ولهذا تعد تلك الحملة، أول مواجهة كبيرة، وأخطر ما تعرضت له الدولة البيزنطية وعاصمتها،

فأعجزت بيزنطة عن القيام بأعمال عدائية طيلة عقود من الزمان.

أما نتائج الحملة في الجانب العباسي، عدا ما مر: فيمكن تسجيل أهمها:

١. لقب هارون بالرشيد، ومنحه الخليفة المهدي ولاية العهد الثانية بعد أخيه موسى الهادي.

٢. تعاظم الاهتمام بالثغور، من حيث بنائها وتحصينها، وعد الرشيد في صدارة من اهتم بها، فبنى الثغور والمدن وحصن فيها الحصون[٧٩].

٣. الاهتمام بالبحرية العباسية في شرق البحر المتوسط وعلى السواحل الشامية، بإنشاء دور صناعة السفن، والاهتمام بالموانئ، فأقام الرشيد من "الصناعة ما لم يقم به قبله"[٨٠].

٤. اهتمام هارون الرشيد الشخصي في قيادة العمليات الحربية السنوية إلى الامبراطورية البيزنطية، فكان "جهاده عظيما وأشجى الروم البيزنطيين وقمعهم".

٥. أنها دفعت بالخطر البيزنطي من الثغور مدة طويلة، وأصبحت بيزنطة عاجزة عن القيام بأي عمل عدائي ضد الثغور[٨١].

٦. وأخيرا، إن مدة الهدنة الطويلة نسبيا، أتاحت للخلافة العباسية، التفرغ لإنجاز خطتها في بناء وتحصين الثغور وتقويتها[٨٢].

الخاتمة:

يتضح مما سبق، كيف استطاعت الخلافة العباسية باعتمادها على القوة السياسية والحربية، أن تواجه الخطر البيزنطي على جبهة الثغور البرية، وكان لذلك الأسلوب في المواجهة، قد ترك نتائجه الفاعلة والمؤثرة في الحفاظ على الثغور وحمايتها، وجعل الدولة البيزنطية تمر بمرحلة وبحالة من الضعف الحربي والسياسي والاقتصادي الواضح، وفي الوقت نفسه قوى جبهة الثغور ببنائها واستحكاماتها والاهتمام بها، فضلا عن شهرة هارون الرشيد الحربية والسياسية.

الهوامش والمصادر

١. الثغر: كل موضع قريب من أرض العدو، مأخوذة من الثغرة وهي الفرجة في الحائط، والثغور مواضع كثيرة، ويهمنا منها الثغور الشامية والجزرية، التي تتاخم الدولة البيزنطية براً. ينظر: البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان، تحقيق، صلاح الدين المنجد، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٥٦، ق ١ / ٩٥-٢١٧. قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق، محمد حسين الزبيدي، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨١، ١٩٥ وما بعدها. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله: معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٨٤، مجلد ٢/ ٧٩.

٢. الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، طبعة جديدة منقحة، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩، ج/ ٩ ١٤٠، ١٧٠، ٢٢١، ٢٤٢، ٢٤٧.

٣. الطبري، المصدر السابق، ٩/ ٤٣١، فوزي، فاروق عمر: تاريخ العراق في عصر الخلافة العباسية، بغداد، مكتبة النهضة، ١٩٨٦، ٢١٥. المهدي، هو محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، أبو عبد الله ولد بالحميمة من أرض الشراة، سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٤م، وأمه أروى بنت منصور الحميرية، ثالث خلفاء بني العباس، بويع بالخلافة سنة ١٥٨هـ/٧٧٥م وتوفي سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م. ينظر: ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م: البداية والنهاية، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥، الطبري، ٨/ ١١٠، ١١٤.

٤. الطبري، المصدر السابق، ٩/ ٣٤٢، قدامة، المصدر السابق، ٢٣٠، الحدث: وتسمى بالمحمدية، المهدية، بعد أن بناها الخليفة المهدي سنة ١٦٢هـ، وتقع بين ملطية وسميساط ومرعش، وهي ذات موقع تجاري مهم، ينظر: ياقوت الحموي مجلد ٢ / ٢٢٧-٢٢٨.

5. Christophilopolou, Ark. Byzantine History, 610- 867 (Athens 1982) vol: 2, p. 144.

٦. الطبري، المصدر السابق، ٩/ ٣٤٢، قدامة، المصدر السابق، ٢٢٠، الحسن بن قحطبة بن شبيب الطائي، أبو الحسين، أحد قواد العباسيين الشجعان سمته الروم بالتنين، مات سنة ١٨١هـ/٧٩٧م، وهو ابن أربع وثمانين سنة، ينظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت: تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ٧/ ٤٠٣.

٧. الطبري، المصدر السابق، ٩/ ٣٢١، أبو جعفر المنصور، هو عبد الله ابن محمد بن علي العباسي، ولد في الحميمة سنة ١٠١هـ/ ثاني خلفاء بني العباس، ويعد المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، ينظر: ابن كثير، المصدر السابق، ١٠/ ١٢١، ١٢٢.

٨. عبيد، طه خضر "مكانة الثغور عند الخلفاء العباسيين ١٣٢ ٢٤٧هـ" مجلة التربية والعلم، الموصل، العدد(١٧) لسنة ١٩٩٥، ١٨٣-٢٠١.

٩. الطبري، المصدر السابق، ٩/ ٣٤٣، وعن البعوث من الأقاليم، ينظر: البلاذري، المصدر السابق، ١/ ١٩٩. وموسى الهادي، بن محمد بن المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله العباس، ولي الخلافة سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م وأمه الخيزران، ابن كثير، المصدر السابق، ١٠/ ١٥٩.

١٠. البردان: نهر طرسوس الذي يمر بالمدينة ويحيطه سهل واسع، ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٧٩، ١٦٦.

١١. الطبري، المصدر السابق، ٩/ ٣٤٣.

١٢. عن الخليفة هارون الرشيد ينظر: الجومرد، عبد الجبار: هارون الرشيد، دراسة تاريخية، اجتماعية، سياسية، بيروت، ١٩٥٦، ١/ ٥٨ وما بعدها، الجنابي، عجمي محمود خطاب: هارون الرشيد، ومؤسسة الخلافة، الموصل، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٩، ٢٤-٢٦. عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله العباس، أحد أفراد الأسرة العباسية، ومن الولاة، بويع بالولاية بعد المنصور ثم خلعه، وخلع مرة اخرى في عهد المهدي، توفي سنة ١٦٧هـ/ ٧٨٣م، ينظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٥، ٥/ ١٠٩، وعبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله ابن العباس، أمير بني العباس تولى ولاية الأقاليم، وقاد الحملات ضد الروم البيزنطيين، وهو أفصح الناس وأخطبهم، توفي سنة ١٩٦هـم ٨١١م، ينظر: الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس ابن القاسم الأزدي: تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، القاهرة، لجنة إحياء التراث ١٩٦٧، ٢/ ٢٥٧، الكتبي، محمد بن شاكر: فوات الوفيات والذيل

عليها. تحقيق إحسان عباس. بيروت. دار صادر ١٩٧٣، ٢/ ٣٩٨.

١٣. الطبري، المصدر السابق، ٩/ ٣٤٣.

١٤. ن. م. ٩/ ٣٤٥. ونهر جيحان، يسمى الآن "قراطاش" وقديما "بيرامس" وهو نهر قرب المصيصة، ينبع من الأراضي البيزنطية ويمر قرب كتربيا ويصب في البحر المتوسط. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ٢/ ١٩٦.
Ramsay. W. M. The historical geography of Asia Minor ,(Amsterdam 1962) , p. 385.

١٥. الطبري، المصدر السابق، ٩/ ٢٤٥. البلاذري، المصدر السابق، ١/ ١٩٩، اليعقوبي، المصدر السابق، ٢/ ٣٤٧. ابن الأثير، المصدر السابق، ٥/ ٦٣...Theophanes
Chronographia, ed. De Boor (Lepzik 1882) vol: I, p.460.
وسمالو: قلعة حصينة قوية الاستحكامات في أسوارها وخنادقها. وتقع في بند الأرمنياق ومواجهة للحدث في العمق البيزنطي. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ٣/ ٤٢٣، Ramsay , op. cit, p. 278.

١٦. الطبري، المصدر السابق، ٩/ ٣٤٥، وعن مدة الحصار، ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن. تاريخ ابن خلدون، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٩٧٠، ٢/ ٢١١.

١٧. البلاذري، المصدر السابق، ١/ ٢٠٢. والتومس: قائد الفرسان أو الخيالة والمسؤول عن الاصطبلات الملكية وهنا يعني رتبة عسكرية بعد البطريق "الستراتيجوس" في قيادة الفرسان عند بيزنطة.
Christopghlopolou , op. cit, vol: 2 , p. 347.

١٨. الطبري، المصدر السابق، ٩/ ٢٤٥.

١٩. الطبري، المصدر السابق، ٩/ ٣٤٥، البلاذري، المصدر السابق، ١/ ١٩٣.

20. Theophanes, op. cit. vol:1 p. 460, Christophilopolou, op. cit, vol: 2, p. 140.

٢١. الطبري، المصدر السابق، ٩/ ٣٢١، ٣٢٢، ٣٤٣، ١٠/.

22. Theophanes , op. cit. vol: 1, p. 461.

٢٣. الطبري، المصدر السابق، ٩/ ٣٤٥- ٣٤٦.

٢٤. ن. م. ٩/ ٣٤٦.

٢٥. ن. م. ٩/ ٣٤٧.

٢٦. كمال الدين عمر بن أحمد: بغية الطلب في تاريخ حلب، مخطوط برقم ٨/٢٩٢٥ أحمد الثالث، مكتبة طوبقاپي سراي(استانبول)، ملزمة ١٠، ورقة ٣٩٨.

٢٧. المصيصة من الثغور الشامية. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق.

٢٨. الطوانة: تقع أمام مدينة المصيصة بحدود ثلاثة أميال، عبر الأبواب القليقية من الطرف البيزنطي. ينظر:
Ramsay. op. cit. p. 352

٢٩. ابن العديم، المصدر السابق، ملزمة ١٠، ورقة ٣٩٨.

٣٠. الطبري، المصدر السابق، ٩/ ٣٤٦، ابن العديم، المصدر السابق،ملزمة، ١٠ورقة ٣٩٨ . وعن موقع حصن ماجدة الذي يقع بالقرب من حصن لؤلؤة السوقي، ينظر: Ramsay , op. cit. p. 351-354.. وعن العيون بين الطرفين ينظر: عبيد، طه خضر " العيون والجواسيس بين العباسيين والبيزنطيين حتى منتصف القرن الثالث للهجرة " مجلة التربية والتعليم، الموصل العدد، (٢١) السنة ١٩٩٨، ص ١٨٢، ١٩٥.

٣١. الطبري، المصدر السابق، ٩/ ٣٤٦، ابن العديم، المصدر السابق، ملزمة ١٠، ورقة ٣٩٨.

٣٢. الطبري، المصدر السابق، ٩/ ٣٤٦، ابن العديم، المصدر السابق، ملزمة ١٠، ورقة ٣٩٨.

٣٣. الطبري، المصدر السابق، ٩/ ٣٤٦، يزيد ابن مزيد بن زائدة بن عبد الله بن مطر بن شريك بن خالد الشيباني، أمير من القادة الشجعان، وكان والياً على أرمنية وأذربيجان توفي سنة ١٨٥هـ/ ٨٠١م. الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ١٤/ ٣٣٤. ابن خلكان، شمس الدين العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم: وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، اعتناء إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧٢، ٦/ ٣٢٧، ٣٤٢.

٣٤. ابن العديم، المصدر السابق، ملزمة ١٠، ورقة ٣٩٩.

٣٥.عن التعبئة البيزنطية ينظر: عبيد، طه خضر "التعبئة العربية الإسلامية من خلال كتاب الإمبراطور ليو السادس ٨٨٦-٩١٢م The Tactica "مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد(٤٧) ج/١ لسنة ٢٠٠٠، ١٢٣-١٤٤.

٣٦. الطبري، المصدر السابق، ٩/ ٣٤٦، ابن العديم، المصدر السابق، ملزمة ١٠، ورقة ٣٩٨.وعن المراجع المهمة ينظر:
Arvites, J. A., Irene, woman Emperor of Costanopole

Her Life and Time. A dissertation Submitted of the feculy of University of Mississippi (1979) .p. 16

وناقوليا تقع الآن في تركيا الحالية في Seidi Ghazi هي قرية "Serea" ينظر:

.Ramsay. op. cit. p. 332-334. يحيى ابن خالد بن برمك، أبو الفضل وجعفر، ولد سنة ١٢٠هـ/ ٧٣٧م، وهو مؤدب الرشيد ومعلمه، اشتهر بحسن سياسته، توفي سنة ١٩٠هـ/٨٠٥م. الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ١٤/ ١٢٨، ابن كثير، المصدر السابق، ١٠/ ٢١٢.

٣٧. تستبعد الرواية التي تجعل من يحيى بن خالد قائداً للجيش في قسمه الثاني، لأن الطبري يحدد واجبه بأنه كان يتولى الكتابة للقائد هارون الرشيد. الطبري، المصدر السابق، ٩/ ٣٤٧.

ودروليون - دروليه "إسكي شهر الحالية" موقع تمر منه الطرق العسكرية المهمة باتجاه الخليج والشمال. ينظر: Ramsay . op cit. p. 168 .

٣٨. ابن العديم، المصدر السابق، ملزمة ١٠، ورقة ٣٩٩.

٣٩. القُفل: عبارة عن شعب ووديان ومنطقة واسعة بمسيرة أربع ليال ثم تصل إلى سهل قريب من الخليج "البوسفور" الواقعة عند مدينة حرسوبولس "أسكدار الحالية". ينظر ابن العديم، المصدر السابق، ملزمة ١٠، ورقة ٣٩٩، وانفقت المصادر العربية إلى وصول هارون الرشيد إلى الخليج. الطبري، المصدر السابق، ٩/ ٣٤٧. البلاذري، المصدر السابق، ١/ ١٩٩، قدامة، المصدر السابق، ٣٩٠. المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي: التنبيه والإشراف، بيروت، دار التراث، ١٩٦٥، ١٢٧. وتسمي المصادر البيزنطية منطقة القفل بنفس المعنى باللغة العربية: Kelikon. Koloe وتعرف المنطقة بـ"Kilbion" وتقع في الوادي الواقع بين مدينتي Kolose ونيقية Nikia وهي سهلية يحيطها صاغر "سغريس" من جهة والجبل من الجهة الثانية.

Theophanes. op.cit.vol: 1 .p. 462.Ramsay.op.cit.p.114.

٤٠. ابن العديم، المصدر السابق، ملزمة ١٠، ورقة ٣٩٩.

Theophanes .op.cit.vol:1.p.462..

أما الفرق العسكرية البيزنطية "الطغما" فهي فرق الجيش النظامي المركزية المرابطة بالعاصمة. ينظر: قدامة، المصدر السابق، ١٨٩.

٤١. نقلا عن فوزي، المرجع السابق، ٢١١.

٤٢. المصدر السابق، ٩/ ٣٤٧.

٤٣. الطبري، المصدر السابق، ٩/٣٤٧، ابن العديم، المصدر السابق، ملزمة ١٠، ورقة ٤٠٠، ويشير ابن العبري، على أن الروم البيزنطيين استدركوا الجيش العربي، فأقاموا سداً باتجاه العرب في نهر سغرس "صاغر" فأصبح العرب يحصرهم الجبل من جانب والنهر من الجانب الآخر، فتضايقوا وطلبوا الصلح. ابن العبري، أبو الفرج جمال الدين: تاريخ الزمان، نقله إلى العربية الأب إسحق أرملة، بيروت، دار الشرق، ١٩٩١، ١٢. أما رأي ثيوفانس فمطابق لرأي ابن العبري. Theophanes . op.cit. vol: 1.p.463.

٤٤. ابن العديم، المصدر السابق، ملزمة ١٠، ورقة ٤٠٠، وقد حقق سامي الدهان كتاب ابن العديم المعروف: زبدة الحلب في تاريخ حلب، المعهد الفرنسي، دمشق ١٩٥١، وهو غير البغية.

45. Theophanes . op. cit. vol: 1 .p. 462.

٤٦. ابن العديم، المصدر السابق، ملزمة ١٠، ورقة ٤٠٠.

٤٧. هما من أهل الديانة والفضل والعلم والرأي ومن شيوخ أهل الثغر ومن عقلاء الرجال. ابن العديم، المصدر السابق، ملزمة ١٠، ورقة ٤٠٠.

٤٨. سالم البرنسي: مولى بني العباس، وكان والي المصيصة ومن المجاهدين أيام الخليفة المهدي، وجاهد مدة طويلة ضد الروم البيزنطيين، وحضر فداء ١٨٩هـ. المسعودي، المصدر السابق، ١٧٧. ابن العديم، المصدر السابق، ملزمة ١٠، ورقة ٤٠٠.

٤٩. ابن العديم، المصدر السابق، ملزمة ١٠، ورقة ٤٠٠.

٥٠. ن. م. والملزمة والورقة.

51. Theophanes . op. cit. vol: 1.p.463.

٥٢. ابن العديم، المصدر السابق، ملزمة ١٠، ورقة ٤٠٠.

53. Op. cit. vol : 1 .p. 403.

٥٤. الطبري، المصدر السابق، ٩/٣٤٧، ابن العديم، المصدر السابق، ملزمة ١٠، ورقة ٤٠١. Ramsay, op.cit. p. 159

٥٥. الطبري، المصدر السابق، ٩/٣٤٦.

Ostrogosky. G. The History of Byzantine State (Oxford 1982).p.182

٥٥. المصدر السابق، ٩/ ٣٤٧، ويحدد عدد القتلى من الروم

البيزنطيين بأربع وخمسين ألف رجل.

٥٦. وعن طازاد الأرمني ينظر:

Trtile. I.A. " Tatzate s Flight and Byzantine- Arab peace treaty in 782 " In Byzantion. 47(1977P. 279-300.

57 .Arvites.op. cit. p. 33

٥٨. فوزي. المرجع السابق، ٢١٨.

59. Christophilopolou . op.cit. vol: 2. p. 362-363

٦٠. الطبري. المصدر السابق، ٩/ ٢٤٦.

٦١. ن. م، ٩/ ٢٤٦.

٦٢. ن. م، ٩/ ٢٤٧.

63. Christophilopolou, op. cit. vol: 2. p. 363

٦٤. العدوي، إبراهيم أحمد "قوانين الإصلاح الزراعي في الدولة البيزنطية. أهدافها والثورات المضادة لها" مجلة الآداب والتربية. الكويت. العدد(٣-٤) لسنة ١٩٧٣. ١٦١.

٦٥. الطبري. المصدر السابق، ١٠/ ٢.

٦٦. ن. م، ٩/ ٢٤٧.

67. Christophilopolou. op.cit. vol: 2.p.145

٦٨. الطبري. المصدر السابق، ١٠/ ٨١. ابن الفراء، أبي علي الحسين بن محمد: كتاب رسل الملوك ومن يصلح للرسلة والسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد ١٩٧٢، ٧٨-٧٩.

٦٩. ن. م، ٧٩.

٧٠. الطبري. المصدر السابق، ٩/ ٢٤٦.

٧١. الطبري، المصدر السابق، ٩/ ٢٤٧. ابن العديم، المصدر السابق، ملزمة ١٠، ورقة ٤٠١.

٧٢. الطبري. المصدر السابق، ٩/ ٢٤٧.

٧٣. ن. م، ٩/ ٢٤٧.

٧٤. الطبري. المصدر السابق، ٩/ ٢٤٧.

75. Theophanes . op. cit.p.482

٧٦. الطبري. المصدر السابق، ١٠/ ٩١.

٧٧. ن. م، ٩/ ٢٤٦.

٧٨. ن. م، ٩/ ٢٤٦.

٧٩. البلاذري، المصدر السابق، ١/ ١٩٧ ٢٠٣، ٢٢٦-٢٢٨. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢، مجلد ٢/ ٦٧٠.

٨٠. البلاذري، المصدر السابق، ١/ ١٩٣، وقد قاد هارون الرشيد سبع حملات ضد الروم البيزنطيين، وجند عشرين حملة أخرى برا وبحرا. ينظر: الطبري، المصدر السابق، ج/ ٩، ١٠ في خلافة المهدي وخلافته.

٨١. لم تنفذ بيزنطة هجوما على الثغور حتى سنة ١٦٩ هـ/ ٧٨٦م بسبب الهدنة وعجزها التام ينظر: الطبري، المصدر السابق، ١٠/ ٨٠.

٨٢. عبيد، طه خضر "تحصين المدن الثغرية البرية مع الدولة البيزنطية في العصر العباسي الأول ١٣٢ - ٢١٨ هـ" مجلة أبحاث اليرموك، المجلد(١٨) العدد(١) سنة ٢٠٠٢، ص ١١٥ ١٣٥.

إمارة آل زَجَّاج في جزيرة أوال
وصراعها مع الإمارة القرمطية الثانية
مع تحقيق خطاب أرسله مؤسسها إلى ديوان الخليفة العباسي

محمد محمود خليل
الجيزة – مصر

نسب آل زَجَّاج:

تنسب إمارة آل زَجَّاج إلى الأمير أبي البهلول وهو العوام بن محمد بن يوسف بن الزَجَّاج[1]، وينسب آل زجاج إلى قبيلة عبد القيس التي كانت لها الكثير من الزعامات في بلاد البحرين وهم عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[2].

وقد كان موطنهم الأصلي بتهامة ثم نزحوا إلى بلاد البحرين التي كانت مليئة بقبائل بكر بن وائل وتميم فلما نزل عبد القيس زاحموهم تلك الديار وقاسموهم في المنطقة، ومن قرى عبد القيس في بلاد البحرين: جار، قمادى، جبلة، بيضاء، القليعة، النجوة، وتعرف بنجوة بنى فياض، ريمان، دبيرة، دارا، النبطاء، وسوار، وكلها تقع ببلاد البحرين[3].

كما تتكون قبيلة عبد القيس من فروع متعددة وأفخاذ شتى ومنها بنو عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو التي اتخذت من العيون والأحساء، وهجر مقراً لها[4]. كما نزل بعضهم في جزيرة شفار التي تقع بين قطر وأوال وتوجه البعض منهم إلى الظهران والجار[5]، ومنهم أيضاً بنو جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو وقد استقروا في المناطق الساحلية وكانت لهم رئاسة القطيف قبل أن يأخذها القرمطي أبو سعيد منهم حيث كان زعيمهم علي بن سمار بن مسلم[6] بن بني جذيمة، فلما غلبهم أبو سعيد التجؤوا إلى الزارة وتحصنوا بها فتعقبهم أبو سعيد القرمطي وأشعل فيهم النار ومنهم من استطاع أن يهرب إلى جزيرة أوال[7].

ومن عبد القيس أيضاً بنو محارب بن عمرو بن ربيعة الذين استقروا في العقير والقطيف وهجر وكانت هجر سوق لهم وهم ساداتها[8].

ومن عبد القيس بنو مالك التي كان يرأسها عند قدوم أبو سعيد الترمطي، العريان إبراهيم بن الزخاف ابن الهيثم الربعي، الذي كان أميراً على جواثا[9].

والنسبة لقبيلة عبد القيس، عبدي أو عبقسي أو عبد قيسي[10].

التعريف الجغرافي بـ أوال:

أوال بفتح أولها وهي جزيرة في الخليج العربي بناحية البحرين، مستطيلة الشكل بها قرى ومدن كثيرة أشهرها المنامة وهي تعرف الآن باسم البحرين وقد سميت أوال على اسم صنم كانت تعبده قبيلة بكر بن وائل. وتشتهر الجزيرة بمصايد اللؤلؤ والنخيل والموز والجوز والأنهار والكثير من البساتين[11].

ويذكر الإدريسي أن أوال ستة أميال طولاً وستة أميال عرضاً[12] إلا أن هناك من خالف ذلك الرأي حيث تذكر بعض المصادر أن طول الجزيرة خمسة عشر فرسخاً وعرضها عشرة أميال[13]. إلا أن الأحسائي يذكر أن طولها ثمانون ميلاً وعرضها تسعة أميال[14] ويضيف لنا: البكري في كتابه الممالك والمسالك أن أوال جزيرة بينها وبين الساحل مجرى يوم. وهي كثيرة النخل والموز والجوز والإترنك والأشجار والزرع والأنهار. وهي جزيرة طويلة مسيرة ستة عشر يوماً. وإن أكثر أهلها يماميون من أهل اليمامة ومن أهل البحرين. وإليها نجا من أفلت من هجر عند محنتهم مع القرمطي - يقصد أبو سعيد الجنابي لعنه الله - وبين أوال ومدينة هجر اثنا عشر فرسخاً في البر وعشرة فراسخ في البحر[15].

ونستنتج من كلام البكري أن بجزيرة أوال جبهة معارضة لحكم القرامطة من أهل السنة وهم الذين استطاعوا الفرار من محرقة أبي سعيد لأهل هجر. إذاً فمن المؤكد أنهم ليسوا على مذهبه أو أتباعه أو أصحاب المصالح المشتركة مع القرامطة أمثال عامر بن صعصعة وبطونها من كلاب والجريش وعقيل[16].

ويؤكد ذلك الكلام غرس النعمة محمد بن هلال الصابئ في حديثة عن أبي حفص الريحاني أحد المتفقهين في حديث القرامطة حيث يقول: أن بأوال مائة وثلاثون قرية، منها قرية تشتمل على مائة وثلاثين مسجداً، تسمى تستر[17]، وهم يخطبون قديماً لبني العباس[18]، والقرامطة من بلدهم في بلد يعرف بالقطيف على ساحل البحر وجميع السواد إلى الأحساء لا يخطب فيها لأحد ولا يصلى فيها جمعة ولا جماعة[19].

ويتحدث ابن حوقل عن أوال فيقول: هي جزيرة كان لأبي سعيد الحسن بن بهرام ولولده سليمان بها الضريبة العظيمة على المراكب المجتازة بهم، وإلى وقتنا هذا هي لمخلفيهما ونسلهما[20].

ونفهم من كلام ابن حوقل أن أوال كانت تخضع سياسياً لأبي سعيد الجنابي وأولاده. ونفهم من غرس النعمة أن أهلها ليسوا خاضعين دينياً ولا مذهبياً إلى القرامطة[21] ثم يضيف المسعودي معلومات مهمة أخرى فيقول: إن جزيرة أوال فيها بنو معن وبنو مسمار وخلائق كثيرة من العرب[22].

ظهور الإمارات العربية في البحرين:

بعد أن استطاع الأصفر التغلبي أن يقضي

إمارة آل زجاج في جزيرة أوال وصراعها مع الإمارة القرمطية الثانية مع تحقيق خطاب أرسله مؤسسها إلى ديوان الخليفة العباسي

تماماً على الدولة القرمطية الأولى في الأحساء سنة ٣٩٨هـ ويقضي على إسحاق وجعفر زعيما القرامطة. أسس هو وأولاده من بعده دولة قوية استطاعت أن تسيطر على بلاد البحرين والتنراء من اليمامة وعمان وتخضع طرق وقوافل الحجيج لسلطانها. كما أنها أعدت الجيوش لغزو بلاد الروم، وهاجمت بني عقيل في الجزيرة الفراتية إلا إمارة بني ثعلب كغيرها من الإمارات والدول ضعفت وحل بها الخراب ولا سيما بعد موت زعيمها الثالث أحمد بن الحسين الأصفر سنة ٤٣٩هـ حيث تنازع أبناؤه من بعده على الحكم وتشتت كلمتهم.

فدخل القائد القرمطي أحمد بن مسعر وعبد الله الحداني (أبو سعيد القرمطي) في حلف مع قبيلتين من قبائل اليمن، وهما قبيلة عتيك وقبيلة حدان القحطانيتان، مكونين حلفاً استطاع أن يخضع الأحساء والقطيف وأوال وبعض قرى بلاد البحرين، وجعلوا مركز حكمهم في الأحساء، وولوا على أوال رجلا يدعى محمد بن يوسف الزجاج من أجل تحصيل الخراج والضرائب والمكوس إلى جانب والديهم ابن عرهم ثم أقروا على القطيف يحيى بن عياش الجذمي[٢٣].

عندما ضعف أمر القرامطة قامت في بلاد البحرين ثلاث إمارات في زمن متقارب. وكان لكل إمارة دور في القضاء على النفوذ القرمطي في ذلك الإقليم. وكان لكل إمارة أيضاً دور في القضاء على الإمارات الأخرى[٢٤].

كانت الإمارة الأولى لأبي البهلول من آل الزجاج على جزيرة أوال . والإمارة الثانية ليحيى بن عياش الجذمي على مدينة القطيف، والإمارة الثالثة لعبد الله بن علي العيوني على مدينة الأحساء[٢٥].

إمارة بني الزجاج في جزيرة أوال :

الأحداث التي سبقتها وأدت إلى ظهورها :

تمكن أبو البهلول وهو العوام بن محمد بن يوسف ابن الزجاج، وهو من قبيلة عبد القيس صاحبة السلطة والنفوذ في بلاد البحرين، من هزيمة القرامطة والاستيلاء على جزيرة أوال منذ سنة ٥٤٨هـ/١٠٠٦م[٢٦]. وكان أبو بهلول ضامناً لخراج جزيرة أوال من قبل القرامطة، وله أخ يسمى أبو الوليد بن مسلم وهو خطيب بليغ من أهل الدين والفقه على المذهب الحنفي(٢٧). استطاع أبو بهلول إقناع والي القرامطة على أوال، وهو جعفر بن أبي محمد بن عرهم من إقناع القرامطة بالسماح له في بناء مسجد (جامع) تقام فيه الصلاة يوم الجمعة(٢٨) بهدف تشجيع التجار السنيين على زيارة المدينة.

وبالفعل سمح القرامطة بإنشاء ذلك الجامع مقابل مبلغ دفعه أبو بهلول يقدر بـ ثلاثة آلاف دينار[٢٩]، وبعد أن انتهى أبو بهلول من بناء المسجد صعد أخوه الوليد علي بن الزجاج، المنبر وخطب للخليفة العباسي في بغداد القائم بأمر الله ٥٤٨هـ/١٠٠٦م[٣٠]. وصلى الجمعة مما أغضب بعض السكان الذين على مذهب القرامطة الشيعي، فاعترضوا على ذلك زاعمين: أن ما فعله الوليد في ذلك اليوم هو بدعة قد أحدثها بنو الزجاج بالحيلة والخداع. وتكاتفوا على أن يمنعوا تلك البدعة وألا يصعد الوليد إلى المنبر مرة أخرى ولا يصلي الجمعة في ذلك المسجد[٣١].

وبالفعل توجه أنصار القرامطة إلى أبي بهلول وأخيه ليمنعاهما من الخطبة وصلاة الجمعة. فكان رد أبي بهلول "ما بذلنا ولا سلمنا أموالنا إلا لهذا

مقالات

الأمر. ولأجل هذا الدين قصدنا ولاستجلاب العجم إلينا وحبهم في معاملتنا. فإن كرهتموه فردوا علينا ما أخذتموه منا ونحن نمسك عما قصدنا. وإن نقصت به معاملتنا ونقصت به فائدتنا"[٣٢]. ثم كتب أبو بهلول إلى القرامطة مثل ذلك فجاء الرد مخيباً لآمال أنصار القرامطة ومفرحاً لأهل السنة وآل زجاج. حيث رد القرامطة بعدم التعرض لأبي بهلول وقومه في مذهبهم وفي خطبتهم[٣٣].

وقد أدى ذلك الرد إلى زيادة نفوذ أبي بهلول في الجزيرة وتعاظم قوته: لأن أكثر سكان تلك النواحي اعتنقوا المذهب السني ووافقوا على ما فعل آل الزجاج في تلك الإصلاحات الدينية[٣٤].

لكن لم يلبث أن اعترض أنصار الشيعة القرامطة في الجزيرة مرة أخرى على خطبة أبي الوليد وأخبروه أن ما كان يخطب له (ويقصدون الخليفة العباسي) قد بطل[٣٥] وصارت خطبة العراق للمستنصر بالله الفاطمي حاكم مصر، ولكن أبا الوليد امتنع عن ذلك ولم يخطب للمستنصر الفاطمي[٣٦] وسرعان ما بعث أبو بهلول هدية عظيمة إلى القرامطة وطلب منهم ألا يتدخلوا فيما يفعل هو وأخوه. وألا يتدخلوا في عادتهم ولا فيما يخطب له[٣٧]. فرجع جواب القرامطة ليزيد في مكانة أبي بهلول أكثر مما سبق وليزيد في سلطته حيث جاء في جوابهم "بألا يغير لأبي البهلول رسم ولا ينسخ له شرط وليخطب أخوه متى شاء ووقتما يحب"[٣٨].

استمر نفوذ أبي بهلول في الازدياد وسيادته في النمو أكثر من ذي قبل. إلى أن أمر زعماء القرامطة واليهم على جزيرة أوال ابن عرهم بزيادة الضرائب. ولحسن سياسة ابن عرهم والي القرامطة على الجزيرة، جمع كبراء الجزيرة وأعيانها وأخبرهم بالأمر واتفقوا على عدم دفع الضرائب الزائدة[٣٩].

وكتب ابن عرهم إلى القرامطة باضطراب القوم عليه وأنه لم يتمكن من مخاشنتهم فكف عنهم، وأنه لا يستطيع أن يأخذ الضرائب بالقوة. ثم كتب خطاباً إلى القرامطة قال لهم فيه: "والأمر إليكم في ذلك"[٤٠].

وأحس القرامطة أن ابن عرهم متواطئ مع أهل أوال عليهم، فأرسلوا إليه والياً آخر وعزل ابن عرهم، ثم قبض الوالي الجديد على أصحاب الأموال وصادرها واستعمل في ذلك أشنع الطرق مما جعل القوم ينفرون منه ويتحينون له الفرص[٤١].

انتصار أبي بهلول على القرامطة وإقامة إمارة آل الزجاج:

لم يقف أبو بهلول مستسلماً أمام تلك الأحداث، بل جمع أهله وعشيرته وأقاربه ومن يثق بهم من الوجهاء والأعيان، وعرفهم بما ورد إليه نتيجة امتناعهم عن دفع الضرائب المفروضة عليهم، وما نجم عن ذلك من عزل ابن عرهم وما عليه الوالي الجديد من سياسة تعسفية وما فعله ذلك الوالي من مصادرة للأملاك.

وأخبرهم أبو بهلول بأنه ينوي مقاومة ذلك الوالي الجديد فاستجاب له القوم، وعاهدوه على السمع والطاعة له. فأخبرهم أبو بهلول بضرورة دخول أبي القاسم بن أبي العريان في ذلك الأمر معهم[٤٢].

وكان أبو القاسم بن أبي العريان من أصحاب الوجاهة والرياسة في أوال، وتوجه إليه أبو بهلول

وحكى له مثل ما حكى إلى أصحابه وقال له أيضاً: "هؤلاء القوم قد حضروا وسمعوا لي وأطاعوا وأنا لا أصلح لذلك إلا أن تدخل فيه معي فنكون معاً يداً بيد. فإن فعلت تعاضدنا وتساعدنا وحمينا أنفسنا وأموالنا" فتعاهد أبو العريان على التناصر وعدم السمع والطاعة للقرامطة إلا بعد إعادة ابن عرهم إلى ولاية أوال[٤٣].

وقد اجتمع لأبي بهلول وأبي العريان نحو ثلاثين ألف رجل مؤيدين لهم من أهل أوال. وعندما سمع الوالي الجديد بذلك الأمر انزعج وقرر التخلص من أبي بهلول وأنصاره، ولكن أبا بهلول باغته وفاجأه فجرت معركة بينهم وسقط الكثير من أنصار والي القرامطة الجديد، الذي أجبر على الهرب إلى الأحساء مقر حكم القرامطة[٤٤].

وكتب أبو بهلول إلى القرامطة: (بأننا لا نعود إلى الطاعة ولا نرجع عن المخالفة إلا بعد رد ابن عرهم إلينا وولايته علينا)، ولكن رد القرامطة جاء مخيباً لآمال أبي بهلول وأنصاره حيث توعدهم القرامطة بإرسال جيش لتأديبهم وإرغامهم على الطاعة[٤٥].

لم يستطع القرامطة أن يواجهوا أبا بهلول بدون استعداد جيد، وذلك لضعفهم حيث أرسل وزير القرامطة عبد الله بن سنبر أحد أبنائه إلى بلاد عمان لجلب الأسلحة والأموال منها[٤٦] وكانت بلاد عمان تابعة للقرامطة[٤٧]. ولكن لم تأت الرياح بما تشتهي السفن. فقد علم أبو بهلول بذلك الخبر فمكث لابن عبد الله بن سنبر أثناء عودته من عمان فاغتاله ومن معه من الرجال "الذين بلغوا أربعين رجلاً"[٤٨] ثم استولى أبو بهلول وابن العريان ورجالهم على ما كان مع القرامطة من مال وسلاح "فبلغت جملة ما استولوا عليه خمسة آلاف دينار وثلاثة آلاف رمح"[٤٩].

عندما علم القرامطة بالخبر وجدوا أنهم لن يستطيعوا مجابهة أبي بهلول مواجهة صريحة نظراً لضعفهم. فعمدوا إلى حيلة لإضعاف صفوف المقاومة فاستطاع ابن سنبر مكاتبة أبي العريان واستمالته لصفه نظير توليه جزيرة أوال ومنحه أموالاً طائلة مقابل التخلي عن مناصرة أبي بهلول[٥٠].

وبالفعل استجاب ابن أبي العريان لعرض ابن سنبر وأشار عليه بإرسال حملة عسكرية إلى الجزيرة وأنه سوف يبطش بأبي بهلول عند مجيء الحملة إلى جزيرة أوال، ثم جمع أبو العريان قومه وأخبرهم بالحال الذي وصلوا إليه ثم أضاف "وليس لنا بالقرامطة من قدرة في إزالة ملكهم حيلة. ويجب أن ندبر أمرنا بغير ما دبرنا ونعجل بتلافي ما فرطنا فيه"[٥١].

فأجابوه "الأمر لك ونحن معك". وبذلك اتفق الجميع على نقض العهد المبرم بينهم وبين أبي بهلول وجماعته[٥٢].

ووصل الخبر إلى أبي بهلول فجمع أهله ومؤيديه وأخبرهم بالأمر ثم قال لهم: "مالنا قدرة بابن أبي العريان إلا بوجه لطيف لأنه أقوى منا جانباً وأكثر رجالاً" فأمر أبو بهلول رجاله باغتيال ابن أبي العريان خفية دون علم رجال أبي العريان وعشيرته. وقال لهم أبو بهلول وإلا تفعلوا فهو آكلنا ومتقرب بنا للقرامطة[٥٣].

لذلك لجأ أبو بهلول إلى حيلة حيث عمد إلى أحد أبناء عمومة ابن أبي العريان واتفق معه على قتل ابن أبي العريان غيلة. وظل أبو بهلول وذلك

الرجل يتحينان الفرصة حتى تمكنا من قتل ابن أبي العريان وهو يغتسل بعين تسمى "بوزيدان"[٥٤]. وبذلك تخلص أبو بهلول من أكبر عائق في إقامة دولته على جزيرة أوال[٥٥].

وحين طالت غيبة ابن أبي العريان عن أهله وأصحابه جدوا في البحث عنه فوجدوه مقتولاً فاتهموا أبا بهلول بقتله. فأقسم لهم. واستضافهم وأكرمهم فطابت نفوسهم وتناسوا ما جرى لصاحبهم[٥٦].

وعندما وصل الخبر لوزير القرامطة عبد الله بن سنبر. سار بنفسه "على رأس أسطول مكون من مائة وثمانين سفينة" بها أعداد كثيرة من القرامطة إلى جانب حلفائهم من عامر ربيعه مع خيولهم التي قاربت على خمسمائة فرس من أجل الانتقام لحليفه ابن أبي العريان[٥٧].

استعد أبو البهلول لتلك الحملة استعداداً جيداً وحث أهله على المقاومة، فجهز جيشاً كثيفاً مكوناً من مائة سفينة ولكن أثناء إعداده لذلك الجيش وقع أبو بهلول من على فرسه فكسرت ساقه. وحاول أخوه أبو الوليد إقناعه بالرجوع عن المعركة فلم يفعل. وأمر أبو بهلول برفع الأعلام وضرب الأبواق والطبول، فلما سمعت خيل القرامطة أصوات الأبواق والطبول نفرت لأنها خيل بدوية غير مدربة جيداً. وغرقت بذلك السبب أعداد كبيرة من السفن ووقع جيش القرامطة في الخليج العربي وهرب ابن سنبر إلى الساحل[٥٨].

وبذلك استولى أبو بهلول على بقية السفن "وأخذ منهم نحو مائتي فرس والكثير من الأسلحة. واستسلم من كان في تلك السفن من رجال وأقسموا إلى أبي بهلول أن ابن سنبر أخذهم قهراً لا اختياراً. ثم ظفر أبو بهلول بأربعين رجلاً من رجال القرامطة فقتلهم"[٥٩]. وقد سميت المعركة باسم المكان الذي حدثت فيه المعركة وهو "كسكوس أوال"[٦٠].

هجوم أبي البهلول على معاقل القرامطة:

وبعد أن انجلت المعركة عن هزيمة القرامطة واستتباب الحكم لأبي بهلول على جزيرة أوال[٦١]. قلد أبو بهلول أخاه أبا الوليد الوزارة وأخذ يشن الغارات على كل نواحي الأحساء من أجل اقتلاع جذور القرامطة، وكان له حصن يعرف بحصن المحصنة بالقرب من الأحساء وذلك لتمكين نفوذه وحكمه في جزيرة أوال، ومن أجل التوسع على حساب القرامطة في بلاد البحرين. ومن بين تلك الغارات التي شنها أبو بهلول على القرامطة حملة قادها على ميناء العقير، التابع للقرامطة فدمره عن آخره[٦٢] وقطع عنهم الموارد الغذائية والتجارية التي كانت تأتيهم من ذلك الميناء عن طريق التجارة في الخليج العربي. ثم جمع أبو البهلول جنوده وتوجه ناحية القطيف وتعرف أيضاً بالخط وكان بالقطيف وزير القرامطة ابن سنبر. وكان من جملة وزرائهم وقد احتمى الوزير ابن سنبر بعدد كبير من الأعراب جعلهم بينه وبين أبي البهلول حتى تحميه من سيوف جند أوال إلا أن أبا البهلول استطاع أن يهزم هؤلاء الأعراب لكن ابن سنبر استطاع أن يفلت من تلك المعركة بنفسه وعدد من جنوده بعد هزيمة الأعراب[٦٣].

كان أبو بهلول كغيره من الحكام الإقليمين الجدد يفتقرون إلى سند شرعي يدعم حكمهم. فأرسل أبو بهلول إلى أبي منصور يوسف صاحب ديوان الخليفة العباسي في بغداد يطلب منه المدد

والتأييد لكي يستمد القوة والشرعية اللازمة لدحر القرامطة وإقامة دولته[٦٤].

نسخة كتاب أبي البهلول إلى ديوان الخلافة

بسم الله الرحمن الرحيم

أطال الله تعالى بقاء الشيخ الأجل الأوحد. وأدام تمكينه ورفعته، وعلوه وقدرته وبسطته. وحرس أيامه ونعمته. وكبت عدوه وخذل حسدته[٦٥].

من المستقر بجزيرة أوال[٦٦]. لسبع بقين من ذي القعدة[٦٧]. والسلامة مستدرة الأخلاف والنعمة مستقر الائتلاف ببركته وبيمن طائره. والحمد لله حمداً يرضيه. ويستمد المزيد من مواهبه ويقتضيه، والصلاة الدائمة على نبيه محمد المصطفى وعترته الطاهرين.

ولا يخلو ناقل علم وخبر وحامل فهم وأثر. من المعرفة بمن أجاب داعي الله وأطاع رسول الله ﷺ، واتخذ طاعته شعاره وتلا فيها لذات الله أخباره، وكانت ممن صفت سريرته، وخلصت لله ولرسوله ﷺ طويته، وهاجر من وطنه إليه. وقدم من مستقره ومسكنه عليه، مع الفئة الهجرية. والفتية القطرية من آل عبد القيس[٦٨]، ذوي الحفيظة والحمية والنفوس العزيزة الأبية. قطعوا إليه المفاوز والقفاز. وواصلوا نحوه سير الليل بالنهار. له طائعين. ولأمره تابعين. ولدينه راضين. وللإسلام قابلين، وباعوا أنفسهم لله تعالى بين يديه مجاهدين، ولثوابه محتسبين. ولجزائه يوم الدين راجين. ثم نصروا من بعده الخلفاء الراشدين. والأئمة المهديين. ولم يزالوا بالدعوة العباسية قائلين ثبت الله أركانها. وقرن بالخلود سلطانها. ولدعاتها مجيبين. ولكلمتها معلين. طوى على ذلك الأعمار منهم السلف بعد السلف[٦٩]. وأخذ بحميد آثرها منهم الخلف بعد الخلف. حتى ظهر ذلك الملعون الصابئ. أبو سعيد الجنابي[٧٠]. فشهر الدعوة القرمطية. وبدل الشريعة الحنيفية واستغوى من شايعه واستهوى الذي أطاعه وبايعه. ومال بهم عن الطريقة الإسلامية بالزخاريف الكاذبة المتمرتحية. واشتدت بالفئة الباغية شوكته. وكثرت في الفرقة المسلمة فتنته. وفشت فيهم نقمته. فقتل الأبطال. واستباح الأموال. وخرب المساجد. وعطل المنابر والمشاهد. وبدل القرآن، ومال به عن طريقه في البيان والبرهان. وحمله داعيه من الكفر والطغيان على أن جمع العدد الجم من الحجاج والمصاحف التي كانوا يتلون فيها بموضع من جانب بالأحساء يعرف بالرمادة إلى الآن. فأضرم فيها وفيهم النار. ولم يكن لهم منه ومن تعذيبه أنصار[٧١].

ثم أخذ مأخذه ولده المعروف بأبي طاهر وقصد مقصده[٧٢]. وبلغ من الكفر غايته وأمده فسار إلى البلاد وأوسع فيها غاية العبث والعناد حتى هجم على بيت الله الحرام. وقتل به سائر المجاورين ومن يتسمى بالإسلام وسلب الكعبة نفيس ما عليها واستخرج منها ذخائرها التي كانت تجمعها وتحويها واقتلع الحجر الأسود مجاهراً بالكفر والعناد وأراد أن ينصبه في كعبة بناها لنفسه في جانب القطيف المعروف بأرض الخط. فكان كلما أثبته في ركن منها في نهاره. وظن أنه قد أخذ مستقره وقراره أصبح في اليوم

الثاني مباعدا عنها[٧٣].

ثم إنه حجب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى في هذه الأقطار للشهادة بربوبيته ووحدانيته، والإقرار له بذلك، وأوهم من والاه من حضدته حزب الشيطان، وتابعه من أولي الغي والطغيان، أنه هو الله المدبر، والخالق المصور والمقتدر، لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون[٧٤].

وسيرتهم أعني القرامطة في الفجور وتعاطي المنكر أكثر من أن أحد أقلها قدرا وأن أبلغ منها عشراً. وهم على هذه السنة المشؤومة جادين، وبها آخذين والاستهانة بها آخذين[٧٥] والمسلم بين أيديهم يقاسي الامتحان والذل والاستهان، ولم يبق بالبحرين من ينطق بالدين، ويتمسك بعرى الحق المبين، صابرا على كثرة الأذى يسأل الله تعالى إماطة البلا، غير هذه الجزيرة المعروفة بأوال[٧٦]، يدفعون طامي شرهم، وداعي أذاهم وضرهم، بالتي هي احسن وإن لم يكن في ذلك نيلاً يستهون؟ وكانت الأيام تنطوي وتمضي، والسنون تندرج وتنقضي، والقرمطي في قوة من مملكته، وشدة من سلطنته متمكنا من أغراضه وطلبته، نحو مئة وأربعين سنة، منذ ملك هذه الجزيرة بفرعنته[٧٧] أمناً في ذلك كله من مقاوم يزاحمه ومضاد يضادده، وكلما رأى رأسا ذا حال وجاه ومال يتوسم فيه إمارة الشهامة ويدل على سمته الصرامة والزعامة، قتله وبالهلاك بدره وعاجله حتى لان حبل دولتهم واضطرب ووهي ركن مملكتهم، وكثرت منهم الأطماع في الأرواح والأموال، واستصفاء الأملاك والأحوال[٧٨].

وكنت أرصد الوقت الذي جاء حينه أغمز قناتهم، وأقرع عند أوانه صفاتهم، فنهضت متعصباً للدولة العباسية، والدعوة الهاشمية - أدامها الله مادام الديموم، وأزهرت النجوم - منتصراً لدين الله تعالى، ومعيداً ما طمس من شرعة رسول الله ﷺ[٧٩].

وبعثت إلى من بهذه الجزيرة المعمورة من ولد عبد القيس أعزهم الله على التوازر والتظاهر والتناصر في ذات الله، وطلباً لما عند الله وما عند الله خير للأبرار، فأقبلوا نحوي داعين، ولقولي مطيعين، وإلى ندائي مبادرين، فطردنا من كان عندنا من ولاة القرامطة بعد خذلهم ومن يقول بقولهم، ويتمذهب بمذهبهم ولم يبق بهذه الجزيرة - حماها الله تعالى- ناظر يلي أمرها ولا أمر ولا ناه يدبرها[٨٠].

وتصور من بها أن لابد لهم من زعيم يلي أمرهم، ويسدد لما فيه استقامتهم وصلاح أمورهم، وقد تحققوا أنني أنهضهم بالأكفاء وبالأعباء، وأقومهم طريقة إلى تهذيب الآراء، وأكثرهم طلاقة وأوفرهم ديانة، وعفافة، وأعرفهم بمصادر الترتيب، وأبصرهم بموارد التصعيد والتصويب[٨١].

فاجتمع رأيهم على ترقيتي درجة الإمارة ورتبتها وتقليدي أمور المحكمة وكلفتها فامتنعت من قبولها، ونأيت عنها، فأكثروا ترددهم إلي وعقدوا خناصرهم على ما التزمتها بعد عهود إليهم عهدتها، وعقود وثيقة عليهم عقدتها أنهم يبذلون الأرواح في سبيل الله ومجاهدة القرامطة أعداء الله[٨٢].

مستشعرين طاعة الدولة العباسية والكلمة

المباركة الهاشمية مدة أعمارهم ومنتهي أجالهم. وتكون طريقتهم الطاعة ومذهبهم السنة والجماعة. مذهب الإمام أبي حنيفة به يعرفون وعليه يحيون ويموتون مستبصراً فيما اعتمدته وتوخيته وعليه صحة نيتي ومحض عقيدتي طويته. مستعيناً بالله تعالى. وواثقاً منه بحسن المعونة على ما أولانيه وجميل المقابلة فما أنالنيه[٨٣].

فتحولت إلى دار الإمارة ومكان الإيالة والأصالة. وأقيم لمولانا الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين أطال الله بقاه وأعلى كلمته، وثبت دولته في المسجد الجامع[٨٤] رسم الخطبة على العادة المعروفة ثم لي بعده[٨٥]. إذ لا جامع في هذه الأقطار كلها مع عرضها وطولها، يذكر فيه اسم الله إلا هو وتقام الصلوات في سواه[٨٦].

وقد تجردت لمناصبة القرامطة خذلهم الله ومحاربتهم في ذات الله فعمدت إلى طرف من أطراف مملكتهم يعرف بـ العقير وهو دهليز الأحساء ومصب الخيرات منه إليها. وكثرة الانتفاعات التي جل الاعتماد عليها. فخربته وبالحضيض الأسفل ألحقته[٨٧].

وقطعت المادة منه عنهم وضيقت فجاج ما كان يتسع لهم وما عليهم، وحميت موارد ارتفاعات دورها وعدوت بالمدد الأوفى والعدد الأكفى والكماة الأنجاد. والحماة الأمجاد إلى ناحية الخط وتعرف بـ القطيف[٨٨]، وقد حصل فيها صنم من أصنامهم وهو من بعض وزرائهم يعرف بابن سنبر خذله الله وخذل أشياعه وأباد أنصاره وأتباعه[٨٩] فقتلت عدة وافية من رجاله وقد استعد بخيل كن للأعراب يجعلها بيني وبينه كالحجاب. وهي حواليه تحميه من أن تخضد شوكته وتجتث أصيلته. وقد اجتهدت في اجتذاب مراكب كان قد أعدها للعبور فيها إلينا والانصباب بها علينا. ولم يبلغ ما تمناه فينا أبداً إن شاء الله فمانع عنها بهذه الخيل ودافع بها دونها[٩٠].

ولو كان لأهل هذه الجزيرة حماها الله مكنة أو في أيديهم من المال فسحة لأكنفت من جهتهم ما أرضى من الأعراب وسددت بذلك بيننا وبينهم الأبواب ونزلت القرامطة بالهوادي والأعالي القوادم والخوافي لأنهم بهم يطيرون وبمكانهم يغترون، وعن بابهم لا يفترون. بل جهلوا ما فيها من الارتفاعات وبغتة ساكنيها وقاطنيها وقت الإدراك[٩١].

ولو قيض الله برحمته لنا مرتباً يرتبنا ومساعداً يساعدنا بمال ينفقه لوجه الله سبحانه وتعالى. أو زكاة يصرفها إلينا رغبة فيما عند الله لحططت بها أقدار هذه الكفرة وأمت بقوته آثار القرامطة الفجرة. ولأرضيت الأعراب المطيفين بهم، والمتفرقين حول بابهم. ولسرت إلى الأحساء بالأحشاد والرجال. والصناديد والأبطال. ولملكتها واحتويتها بلا منازلة ولا قتال. وكان ذلك أقرب زلفة إلى الله تعالى، وأفضل عنده. فيما توصل به أجنحة مجاهدي الروم[٩٢].

فبالله الذي لا إله إلا هو يميناً برة وقسماً حقاً لجهاد القرامطة وقتالهم أفضل من قتال من سواهم. وإن رشقاً واحداً يرمى به في وجوههم،

وسهماً مرسلاً يصل إلى رجل من عديدهم ليوزن بسبعين سهماً يرمى في الهند والروم لأنهم من ذوي الدين المذموم. وفيهم تقدم القول شعر.

وحرموا الصلوات الخمس في هجر

والكفر ينزل والإيمان يرتحل

آخر غيره:

وغير حرام أن يباح لمعشر

أغاروا على البيت الحرام حريم

فهل طائفة أحق بالمساعدة وأولى بالمرافدة والمعاونة والمماكنة بالزكوات والأموال المعدة للمثوبات من هذه الطائفة المرابطة لهؤلاء القرامطة.

وقد تحمل الأموال الجمة إلى الرباطات وسائل الثغور[92]. يطلب بها وجه الله تعالى. والنصر على عدوه، وهذا والله هو الثغر الأعظم، ومساعفته بما فوق الممكنة أو قدرتها أثر وأجسم. وما أنفق فيه الفرد من الدراهم أصاب به عند الله الفائدة وأجل المغنم.

وقد أكدت عند الله النذور إن ساعدني على ما أنويه المقدور. وكفيت هؤلاء الأعراب واقتدرت لهم على الإرضاء والاستجلاب وملكت بتوفيق الله وعزته الأحساء ووطئت أرضها واحتويت طولها وعرضها وخربت قصور القرامطة التي أسست على الصراح[94]. وعمروها بطاعة الشيطان في الإمساء والإصباح واستبدلت بها جوامع ومنابر. وابتنيت بها مشاهد منابر. وشيدتها بذكر الله تعالى وأوضحت للحاج إلى بيت الله الحرام السبيل وأقمت لهم على ذلك أكرم شاهد ودليل. وأظهرت. الشريعة الإسلامية وأعليت منارها وأوضحت في الأيام والأنام أنوارها. وصرفت الاهتمام إلى افتتاح البلاد التي يظهرني الله عليها. ويوصلني بركة طاعة سيدنا ومولانا الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين ثبت الله دعوته وأعلى كلمته إليها وكنت للدولة العباسية ثبتها الله والدعوة النبوية أدامها الله عبداً مطيعاً. وخادماً مذعناً سميعاً وقصدت بسعودها كثيف جنودها وخافق بنودها الشراة الخوارج بأرض عمان[95] ومردة حزب الشيطان الداعين إلى إمام منهم نصبوه وأخذوا مأخذه وأطاعوه واتبعوه ولم يغادروا بعده إماماً إلا كفروه واطرحوه ونبذوه. فأقتل بمشيئة الله وعونه محاربهم وأزيلهم عن مراتبهم وأزعجهم عن جوانبهم حتى ينيئوا إلى طاعة سيدنا ومولانا الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين أدام الله أيامه وأنفذ في الورى أحكامه. ويأخذوا سنتها ويسلكوا سبيلها.

ولازال العبد يتسلى الجهاد في طاعته. وباذل الجهد لإشادة دعوة دولته حتى ينفذ أجلي المكتوب وينتطع نياط نفسي وتنسي المعدود المحسوب.

وقد أنهيت هذه الأحوال المتجددة والأسباب الحادثة إلى حضرة سيدنا الأجل السيد الأوحد أدام الله بسطته[96] وهي من البشارة السارة للقلوب التاضية لإرادة المحبوب ليأخذ حظه من الابتهاج بها والاجتذال بمكانها لاسيما فيما سهله الله تعالى بلطفه في أيام سيدنا ومولانا الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين أطال الله في العز الدائم بقاه ونصر جنده ولواه وكبت حسدته وعداه.

وقد مضت لهذه الدولة القرمطية المشؤومة مئة

واحدى وسبعون سنة على عهد من سلف من الأئمة وولاة العهد من الخلفاء المتقدمة[٩٧] ولم يبق أحد من الملوك الماضية إلا رام مملكة من ممالك هؤلاء القرامطة فعز عليه مطلبه وقد مكنني الله تعالى من بعض مملكتهم ولو يتطول علي بالمساعدة والموازرة والمرافدة لرأيت من ذلك المقام الأشرف، والدين النبوي المعظم نور الله بإنفاذه إلى سائر القرى من مواضع الإسلام بالمبادرة إلينا والاجتماع لنصرتنا وصلة جناحنا من جهة ترجع إلى حال وسلاح أو عدد بالمساعدة لنا وما يتفق من الرجال ويتسهل من المال لوقع الاستظهار به والقوة بمكانه لبلغت المأمول وأدركت السؤل بعد أن لا يكون علينا طاعة ملتزمة إلا لسيدنا ومولانا الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين أطال الله بقاه ونصر لواه دون من سواه من ولاة عهده وقائدي جنده[٩٨].

وقد أنهيت هذه الجملة التي أنا لابسها ومباشرها وممارسها إلى حضرته، أدام الله علوها لينعم أعلى الله شأنه بالوقوف عليها والإنعام بإنهائها إلى هذا المقام الأشرف النبوي نوره الله وعظمه. وتشريفي بالجواب الذي أدفع به عني صدمة النوائب وأكتشف بمكانه فورة الحوادث، وأتقدم بشرفه في الأنام وأتيمن بيمنه بين الخاص والعام.

وقد شافهت الشيخ الجليل أبا يعلى ظاهر بن علي الرحبي[٩٩] - أدام الله تأييده وسلمه لما يريده بعالي حضرته وعند المنزلة بسامي مدته- لمشاهدته بهذا المكان ما شاهده من مخالصتي وحسن طاعتي ولرأيه دام عالياً في استماعه واستيفاء تشريفي بالجواب عنه بما يهز عطفي ويرفع طرفي واستنجادي بالأوامر النامية والمراسم العالية التي أنتهي إليها وأبتهج بالسعي فيها من يد القدرة والجلال إن شاء الله تعالى.

وقد تجدد بعد الفراغ من الخدمة ما أنهيت على وجه الاختصار؛ وذلك أن الملعون ابن سنبر خذله الله جمع رجاله وحفدته وأشياعه وفرقته في العدد الكثير والجم الغفير وشحن بهم الدوانيق والمراكب وسار بهم يريد قتالي وهلاك رجالي. فاستقبلتهم بجيوش الله ذوي الدين وصحة اليقين. وهجمت عليهم في البحر فقتلت منهم أكثرهم وغرقت أوفرهم وغنم الأصحاب - نصرهم الله - ما كان عندهم من عدة وسلاح وخير. وأفلت هو من تحت القبضة هارباً بنفسه، وأتى القتل والأسر على وجوه جنده ورؤساء رجاله لعنهم الله[١٠٠].

وطالعت بذلك لينعم بالوقوف عليه ويؤدي بصائب الرأي العالي إمدادي بما أسير به وبقوته إلى الأحساء بمشيئة الله.

وهو حسبي ونعم الوكيل وصلواته على خير خلقه محمد ﷺ[١٠١].

لكن ابن عياش الذي ثار على القرامطة في القطيف وأعلن نفسه أميراً عليها. لم يمهل أبا بهلول في انتظار رد العباسيين حيث عاجله يحيى بن عياش بالقضاء عليه والاستيلاء على جزيرة أوال وضمها لحكمه.

وهناك رأي آخر ذكره مؤرخ مجهول أن الفرس عبرت إلى جزيرة أوال فأخذتها من أبي بهلول، حتى فتحها الشريف بن الحسن بن عياش منهم وبقيت أوال تحت حكم العياش حتى دخلها العيونيون[١٠٢].

الحواشي

(١). سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، جـ١٢، ص ٢٢٩- ٢٣٠.

(٢). القلقشندي: صبح الأعشى، جـ ١، ص ٣٣٧؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٢، ص ٣٢٩؛ ابن دريد: الاشتقاق، ص ١٩٧؛ ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص ٥٨٢- ٥٨٤

(٣). عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب، جـ٢، ص ٧٢٦- ٧٢٧

(٤). البكري: معجم ما استعجم، جـ ١، ص ٨٢؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٢٩٥

(٥). محمد محمود خليل: إقليم بلاد البحرين في ظل حكم الدويلات العربية، ص ١٨

(٦). المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٣٤٠.

(٧). المؤلف نفسه: مروج الذهب، جـ ١، ص ١١٠؛ البكري: معجم ما استعجم، جـ١، ص ٨١؛

الحميري: الروض المعطار، ص ٦٣؛ الأحساني: تحفة المستفيد، جـ ١، ص ٨٥- ٨٦.

(٨). الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٧٩؛ ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص ٥٨٣- ٥٨٤؛ ابن حزم: جمهرة أنساب

العرب، ص ٢٩٥.

(٩). المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٣٤٠؛ محمد محمود خليل: إقليم بلاد البحرين، ص ١٩.

(١٠). السمعاني: الأنساب، جـ ١ص ٣٥٦؛ عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب، جـ٢، ص ٧٢٦-٧٢٧.

(١١). ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ ١، ص ٢٧٤؛ عبد الحق البغدادي: مراصد الإطلاع، جـ ١، ص ١٢٨؛ ابن سعيد المغربي: الجغرافيا، ص ١٣١؛ الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٨٠؛ ناصر خسرو: سفر نامة، ص ١٤٤.

(١٢). ويضيف الإدريسي أن جزيرة أوال جزيرة حسنة بها مدينة كبيرة تسمى البحرين وهي عامرة، حسنة، خصبة كثيرة الزروع والنخل، وفيها عيون ماء كثيرة ومياهها عذبة وفي هذه الجزيرة رؤساء الغواصين في البحر ساكنون بهذه المدينة والتجار يقصدون إليها من جميع الأقطار بالأموال الكثيرة لشراء اللؤلؤ الإدريسي: نزهة المشتاق، ق ٣ ج٦ ص ٣٨٧- ٣٩٠.

(١٣). ابن سعيد: المصدر السابق، ص١٣١.

(١٤). الأحساني: تحفة المستفيد، جـ ١، ص ٥.

(١٥). البكري: جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك، تحقيق عبد الله يوسف الغنيم، ص ٣٩؛ الحميري: الروض المعطار، ص٦٣.

(١٦). البكري: المصدر نفسه، ص ٣٩؛ تاريخ أخبار القرامطة، ص ١٣.

(١٧). من أهم مدن جزيرة أوال تستر، الرفاع، البديع، الحد، حالة أبي طاهر، البسيتين، الدير، ريا، سماهيج، قلالي، حالة نعيم، عراد، أم الشجر، أم الغزل، الزلاق، جو، حدد، المالكية، أزركان، راجع الأحساني: تحفة المستفيد، جـ١، ص ٥.

(١٨). غرس النعمة: ذيل تاريخ أخبار القرامطة، ص٨٣-٨٤.

(١٩). غرس النعمة: المصدر نفسه، ص ٨٤

(٢٠). ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٢٢.

(٢١). غرس النعمة: ذيل تاريخ أخبار القرامطة، ص ٨٣-٨٤.

(٢٢). المسعودي: مروج الذهب، جـ ١، ص١٠٧-١١٢، والمعروف أن بنو مسمار هم من بني جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار من بني عبد القيس وكان رئيسهم علي بن مسمار بن مسلم، راجع الأحساني: تحفة المستفيد، جـ١، ص ٨٥-٨٦.

(٢٣). ناصر الخيري: قلائد النحرين، ص ١٢٨-١٣٠؛ محمد علي التاجر: عقد اللآل في تاريخ أوال، ص ٨٥.

(24). Ali Aba, Hussain, The Caramites of Bahrain, Al Watheeka, Number 1, First year 1982, P 12-15.

(٢٥). ناصر الخيري: قلائد النحرين في تاريخ البحرين، ص ١٣٠- ١٣١.

(٢٦). ابن المقرب: الديوان (المبارك)، ص١٢؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، جـ١٢، ص٢٢٩- ٢٣٠؛ النبهاني: التحفة النبهانية، ص ٥١؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، جـ٤، ص٢٦.

(٢٧). محمد علي التاجر: عقد اللآل في تاريخ أوال، ص٨٨-٩٠؛ الأحساني: تحفه المستفيد، جـ ١ ص ٥٧-٥٨؛ دائرة

إمارة آل زجاج في جزيرة أوال وصراعها مع الإمارة القرمطية الثانية مع تحقيق خطاب أرسله مؤسسها إلى ديوان الخليفة العباسي

المعارف الإسلامية (مادة البحرين)، دار الشعب، القاهرة (ب ت)، جـ ٤ ص ٣١٩.

(٢٨). ابن المقرب: الديوان (الرضوية)، ص٦٢٤: طلب أبو بهلول من والي القرامطة بناء المسجد لأن التجار قد استاؤوا من عدم وجود مسجد يؤدون فيه الصلاة، الأمر الذي جعلهم ينصرفون عن الجزيرة، وكان القرامطة قد هدموا المساجد في المناطق التي كانت واقعة تحت أيديهم حتى يستطيعوا أن ينشروا بدعهم وضلالتهم: سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، جـ١٢، ص٢٢٩-٢٣٠: ابن المقرب: الديوان (الهند)، ص٦٤٤.

(٢٩). غرس النعمة: ذيل تاريخ أخبار القرامطة، ص٨١-٨٢: انظر أيضاً حمد الجاسر: من تاريخ أوال، مجلة العرب، عدد رمضان وشوال سنة ١٤٠١هـ، ص ١٦٣.

(٣٠). هو القائم بأمر الله أبو جعفر بن عبد الله الخليفة بن القادر بأمر الله وهو الخليفة العباسي السادس والعشرين من خلفاء بني العباس تولى عام ٤٣٣هـ/١٠٣١م. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٤١٧-٤٢٢: انظر أيضاً علي أبي حسين: قرامطة البحرين، مجلة الوثيقة، العدد الأول، البحرين، رمضان ١٤١٠هـ/١٩٨٢م، ص١٦١.

(٣١). غرس النعمة: ذيل تاريخ أخبار القرامطة، ص٨١-٨٣: الأحسائي: تحفه المستفيد، جـ١ ص ٥٨: النبهاني: التحفة النبهانية، ص ٥١

(٣٢). مؤلف مجهول: المخطوطة التيمورية، ص٢٥٩-٣٦٠: دائرة المعارف الإسلامية: جـ٤٥ ص ٣١٩: حمد الجاسر، من تاريخ جزيرة أوال، ص ١٦٣.

(٣٣). سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، جـ١٢، ص٢٢٩-٢٣٠: انظر أيضاً أحمد موسى الخطيب: الشاعر علي بن المقرب العيوني، ص ١٠٤.

(٣٤). غرس النعمة: ذيل تاريخ أخبار القرامطة، ص ٨١-٨٣: الأحسائي: تحفه المستفيد، جـ١ من ٥٨-٥٩: انظر أيضاً علي أبا حسين: قرامطة البحرين، ص ١٦٩.

(٣٥). لأن الخليفة العباسي قد عزل على يد أحد القواد الأتراك المعروف بالبساسيري الذي قدم على بغداد عام ٤٦٦هـ القائم بأمر الله وجعل الخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله واستمرت الخطبة نحو عام للخليفة الفاطمي إلى أن لقي البساسيري مصرعه على يد طغرلبك السلجوقي الذي أعاد الخليفة العباسي إلى السلطة: ابن خلدون: تاريخ، جـ ٣، ص ٤٦٣.

(٣٦). هو الخليفة المستنصر بالله بن الظاهر بن الحاكم بأمر الله بن العزيز لدين الله بن المعز لدين الله بن المنصور بالله بن القائم بأمر الله بن عبيد الله المهدي ولد عام ٤٢٠هـ/١٠٢٩م وتولى الحكم صغيراً عام ٤٢٧هـ/١٠٣٥م وتوفي عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م وهو ثامن الخلفاء الفاطميين. النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد محمد أمين ومحمد حلمي محمد، مركز تحقيق التراث الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، جـ ٢٨ ص ٢٠٩: انظر أيضاً محمد محمود خليل: الاغتيالات السياسية في مصر في عصر الدولة الفاطمية، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠٠١م، ص ٢٢٨.

(٣٧). سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، جـ١٢، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٣٨). غرس النعمة: ذيل تاريخ أخبار القرامطة، ص٨١-٨٣: انظر أيضاً علي أبا حسين: قرامطة البحرين، ص ١٦٩.

(٣٩). الأحسائي: تحفه المستفيد، جـ ١ ص ٥٩: انظر أيضاً حمد الجاسر: من تاريخ جزيرة أوال، ص١٦٢.

(٤٠). سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، جـ١٢، ص٢٢٩-٢٣٠: انظر أيضاً حمد الجاسر: المرجع نفسه، ص ١٦٢.

(٤١). ابن المقرب: الديوان (المبارك)، ص ١٢: النبهاني التحفه النبهانية، ص ٥١.

(٤٢). ابن المقرب: الديوان (الهند)، ص ٤٤٤.

(٤٣). غرس النعمة: ذيل تاريخ أخبار القرامطة، ص٨١-٨٣: انظر أيضاً أحمد موسى الخطيب: علي ابن المقرب العيوني، ص ١٠٤.

(٤٤). سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، جـ١٢، ص٢٢٩-٢٣٠: انظر أيضاً حمد الجاسر: من تاريخ جزيرة أوال، ص ١٦٣

(٤٥). ابن المقرب: الديون (الهند)، ص ٤٤٤: انظر أيضاً علي أبا حسين: قرامطة البحرين، ص ١٦٩.

(٤٦). مؤلف مجهول: المخطوطة التيمورية، ص٢٥٩-٣٦٠: انظر أيضاً عبد الرحمن بن عثمان الملا: تاريخ هجر، جـ ٣، ص ١٤٢.

(٤٧). المعولي: قصص وأخبار جرت في عمان، ص ٦٣:

ناصر الخيري: قلائد النحرين. ص ١٢٨-١٣٠.

(٤٨). غرس النعمة: ذيل تاريخ أخبار القرامطة. ص٨١-٨٣: انظر أيضاً عبد الرحمن الملا: المرجع نفسه. ص ١٤٢.

(٤٩). سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان. جـ١٢. ص٢٢٩-٢٣٠: انظر أيضاً علي أبا حسين: قرامطة البحرين. ص ١٦٩.

(٥٠). محمد علي التاجر: عقد الآل. ص٨٨-٩٠: حمد الجاسر: من تاريخ جزيرة أوال. ص ١٦٤.

(٥١). غرس النعمة: ذيل تاريخ أخبار القرامطة. ص ٨٢.

(٥٢). الأحسائي: تحفه المستفيد. جـ ١ ص ٥٩.

(٥٣). سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان. جـ١٢. ص٢٢٩-٢٣٠.

(٥٤). يذكر الإدريسي أن جزيرة أوال بها مدينة تسمى البحرين وهي عامرة حسنة بها عيون ماء كثيرة. مياهها عذبة. منها عين تسمى بو زيدان. راجع الإدريسي: نزهة المشتاق. ق٣ ج٦ ص٣٨٧

(٥٥). غرس النعمة. ذيل تاريخ أخبار القرامطة. ص٨١-٨٣: انظر أيضاً عبد الرحمن الملا. تاريخ هجر. ص ١٤٣.

(٥٦). مؤلف مجهول: المخطوطة التيمورية. ص٣٥٩-٣٦٠: انظر أيضاً حمد الجاسر: من تاريخ جزيرة أوال. ص ١٦٥.

(٥٧). ابن المقرب الديوان (المبارك). ص١٣: المؤلف نفسه: الديوان (الهند). ص٤٤٤.

(٥٨). ناصر الخيري: قلائد النحرين. ص١٣١-١٣٢: النبهان: التحفه النبهانية. ص ٥١.

(٥٩). محمد علي التاجر: عقد اللآل في تاريخ أوال. ص٨٨-٩٠. أحمد موسى الخطيب: الشاعر علي بن المقرب العيوني. ص ١٠٤.

(٦٠). كان قائد جيش القرامطة على جزيرة أوال أحد العيونيين يدعى بشر بن منلح. حيث كان العيونيون أحد العشائر التي كانت تخدم القرامطة وكان القرامطة يستعينون بهم في الخفارة وحراسة مصالحهم وفي قتال أعدائهم: ابن المقرب: الديوان (المبارك). ص١٣: محمد علي العصفور: تاريخ البحرين (الدخائر). ص٢٥٦.

(61) Ali Aba Hussain, The Caramites of Bahrain, P. 12-15

(٦٢). أورد أبو البهلول في خطابه لديوان الخلافة العباسية أنه ذهب لطرف من أطراف مملكة القرامطة يعرف بالعتير وهو دهليز الأحساء ومصب الخيرات منها إليه وكثرة الانتاعات التي جل الاعتماد عليها فخربته وبالخصيص الأسفل ألحقته. ابن مقرب الديوان (نسخة برلين) الخطاب. ص :غرس النعمة: ذيل تاريخ أخبار القرامطة. ص٨١-٨٣: النبهاني: التحفه النبهاني. ص٥١.

(٦٣). ابن مقرب: الديوان (نسخة برلين) الخطاب. ص: حمد الجاسر. من تاريخ جزيرة أوال. ص١٦٩-١٧٠.

(٦٤). ابن الجوزي: مرآة الزمان. جـ ١٢ ص ٢٢٩-٢٣٠: ناصر الخيري: قلائد النحرين. ص١٣٢.

(٦٥). هو عبد الملك بن محمد بن يوسف. أبو المنصور الملقب بالشيخ الأجل ولد سنة ٣٩٥هـ. كان أوحد أهل زمانه في فعل المعروف والقيام بأمور العلم والنصرة لأهل السنة والقمع لأهل البدع. توفي سنة ٤٦٠هـ يوم الثلاثاء ودفن يوم الأربعاء ١٤ محرم وصلى عليه أكثر من مائة ألف رجل سوى النساء وفي ذلك اليوم تعطلت الأسواق في بغداد. ابن الجوزي: المنتظم. جـ٩ ص ٤٧٣.

(٦٦). هو أبو البهلول الذي استطاع أن يمهد لنفسه الحكم داخل جزيرة أوال دون منافس. ابن مقرب: الديوان. جـ٢ ص ١١٩١ - ١١٩٢.

(٦٧). سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م. راجع سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان. جـ١٢ ص ٢٢٩- ٢٣٠.

(٦٨). حيث ينسب أبو البهلول وقومه إلى قبيلة عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن ربيعة بن نزار بن سعد بن عدنان. راجع سبط ابن الجوزي: المصدر نفسه. جـ١٢ ص ٢٢٩- ٢٣٠: القلقشندي: صبح الأعشى. جـ١ ص٣٢٧: النويري: نهاية الأرب جـ٢ ص ٣٢٩.

(٦٩). من المعروف أن الخلافة العباسية فقدت السيادة عن بلاد البحرين منذ ظهور الدولة القرمطية سنة ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م ثم حل بنو ثعلب مكان القرامطة في حكم بلاد البحرين ولم تستطع الخلافة العباسية إحكام قبضتها على البلاد حتى وقت كتابة أبي البهلول الخطاب لديوان الخلافة. راجع ابن خلدون: العبر. جـ٤ ص١٠٨: محمد علي التاجر: عقد اللآل في تاريخ أوال ص٨٤-٨٥.

(٧٠). ينسب أبو سعيد بن بهرام الجنابي لبلد اسمها جنابة ببلاد فارس. استطاع أن يجمع عدداً من الاعراب

والقبائل حتى قوي أمره فقتل من حوله من أهل القرى ببلاد البحرين وذلك سنة ٢٨٦هـ. راجع الطبري: تاريخ الرسل والملوك. جـ١٠ ص ٧١؛ ابن الأثير: الكامل. جـ٦ ص ٣٦٣.

(٧١). قصد أبو البهلول بتلك الجملة المحرقة التي فعلها القرمطي في قبيلة عبد القيس في مدينة هجر حين قام أبو سعيد بحصار هجر مدة طويلة، حتى سقطت فخربها وأحرق أهلها ولم ينج منهم إلا فرقة صغيرة استطاعت الهروب إلى جزيرة أوال وسيراف وذلك سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م، راجع البكري. معجم ما استعجم. جـ٤ ص ٦٨؛ ثابت بن سنان. تاريخ أخبار القرامطة. ص١٢.

(٧٢). تولى أبو طاهر حكم القرامطة بعد أن أقال أخيه سعيد من الحكم سنة ٣٠٥هـ على الرغم من أن عمره وقتها لم يتجاوز السادسة عشر وذلك لسياسة الموادعة واللين التي اتبعها سعيد مع الخلافة العباسية وأهل البحرين، وجاءت مباركة الخلافة الفاطمية لحكم أبي طاهر نظراً لسياسته العنيفة مع المسلمين والخلافة العباسية والبلاد المجاورة لبلاد البحرين. راجع مسكويه: تجارب الأمم. جـ١ ص ١٢١؛ الأصفهاني: تاريخ سني الملوك. ص١٥٣؛ من محمد الخليفة: من سواد الكوفة إلى البحرين. ص٢٦٩- ٢٧٣.

(٧٣). حول هجوم أبي طاهر على مكة وما فعله بالحجيج وأخذه للحجر الأسود إلى الأحساء. راجع ابن الأثير: الكامل جـ٨ ص ١٧٢- ١٧٣؛ عريب بن سعد: الصلة ص١٣٦- ١٣٧؛ ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية ٢٦٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة. جـ٣ ص٢٢٠؛ ناصر خسرو: سفر نامة. ص ٩٤؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي. جـ ١ ص ٣٦١؛ ابن الجوزي: المنتظم جـ٦. ص٩٤.

(٧٤). حول عقيدة القرامطة المخالفة للإسلام وعقيدة أهل السنة والجماعة راجع الهمداني: تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد. ص ١٩٠- ١٩١.

(٧٥). يقصد أبو البهلول من تلك الجملة هو أن الدولة القرمطية الثانية التي أقيمت بعد إمارة بني ثعلب في بلاد البحرين استمرت على نفس منهاج القرامطة الأوائل في محاربة الإسلام. راجع محمد علي العصفور: منتخبات من تاريخ البحرين. ص ٣٥٧. ناصر الحيري. قلائد النحرين في تاريخ البحرين. ص١٢٧- ١٢٩.

(٧٦). ذكر محمد بن هلال الصابئ في تاريخه عن أحد المتفقهة في مذهب القرامطة وهو أبو حفص الريحاني أن جزيرة أوال بها. عدد كبير من القرى منها قرية تشتمل وحدها على مائة وثلاثين مسجداً وهم يخطبون قديماً لبني العباس. وذلك يدل على تمسك بعض قرى أوال وأهلها بمذهب أهل السنة والجماعة رغم الحكم القرمطي لهم. راجع غرس النعمة: ذيل تاريخ أخبار القرامطة ص٨٣- ٨٤.

(٧٧). يذكر أبو البهلول في تلك العبارة أن أبا طاهر القرمطي ملك جزيرة أوال سنة ٣١٨هـ وذلك لأن أبا البهلول كتب الخطاب عام ٤٥٨هـ وذكر أبو البهلول أنه مضى على ملك أبي طاهر ١٤٠سنة نطرحهم من ٤٥٨سنة تكون النتيجة هي سنة ٣١٨هـ أي بعد استباحته لمكة المكرمة بعام واحد؛ ابن مقرب: الديوان (نسخة برلين) الخطاب. ص٤.

(٧٨). حدث أول انقسام في البيت القرمطي سنة ٣٣٢هـ أثر وفاة أبي طاهر القرمطي وظل يعمهم التخاصم والاضطراب حتى ظهر الأصفر الثعلبي سنة ٣٧٨هـ وحاصرهم بالإحساء، ثم قضى على دولتهم نهائياً سنة ٣٩٨هـ. راجع المسعودي. التنبيه والإشراف. ص ٣٩١؛ ابن خلدون: العبر ص٤، ص١٠٧- ١٠٨؛ النبهاني: التحفة النبهانية جـ١ ص ٤٩-٥٠.

(٧٩). حول دعوة أبي البهلول للخلافة العباسية. راجع ابن مقرب: الديوان جـ ٢، ص ٩٣٥.

(٨٠). بعد أن انحاز ابن أبي العريان لقوات أبي البهلول زحفوا إلى والي القرامطة الجديد فقتلوا جماعة من أصحابه فهرب الوالي إلى الأحساء. راجع غرس النعمة: ذيل تاريخ أخبار القرامطة. ص ٨٣.

(٨١). عند علم بنو الزجاج بنية القرامطة في مصادره أهل البلد ولوا عليهم أبا البهلول وكانوا ثلاثين ألفاً؛ لأنه كان من أهل الدينومظهراً للسنن ومن أعيان بني الزجاج. راجع غرس النعمة. المصدر نفسه. ص٨٢.

(٨٢). يذكر شارح ديوان ابن مقرب أن أبا البهلول جمع أهله وعشيرته وأقاربه ومن أنس ووثق به من متقدمي البلد وعرضهم ما ورد في معناهم. فلما عرفوه وحالفوا. عاهدهم بأن يستمعوا له ويطيعوا. راجع ابن مقرب: الديوان جـ٢ ص ٩٢٧.

(٨٣). أظهر أبو البهلول مذهبه الحنفي من خلال تلك العبارة وهو المذهب الرسمي لحاضرة الخلافة كذلك السلاطين السلاجقة لأن نشأتهم الدينية كانت على المذهب الحنفي. راجع محمود عرفة محمود: الأحوال السياسية والدينية في بلاد العراق والمشرق الإسلامي في عهد الخليفة القائم بأمر الله ص٥٦.

(٨٤). هو المسجد الذي بناه أبو البهلول وعشيرته بعد أن أعطى للقرامطة ثلاثة الاف دينار حتى يمكنوهم من بناء ذلك المسجد من أجل الصلاة وإقامة خطبة الجمعة. غرس النعمة: ذيل تاريخ أخبار القرامطة، ص ٨١.

(٨٥). أقام أبو البهلول خطبة الجمعة في المسجد الجامع ثم دعا لنفسه بعد الخليفة القائم بأمر الله العباسي قبل عام ٤٥٠هـ أي قبل أن تظهر فتنة البساسيري ويخرج الخليفة القائم من بغداد ويخطب فيها للخليفة الفاطمي المستنصر بالله. راجع ابن مقرب الديوان جـ٢. ص ٩٣٥-٩٣٦.

(٨٦). ذكر ناصر خسرو في رحلته سنة ٤٤٣هـ تقريبا عندما كان في بلاد البحرين أنه لا يوجد في البلاد كلها جامع تقام فيه الصلاة وخطبة الجمعة بسبب مذهب القرامطة ومحاربتهم للدين. ماعدا مسجد واحد في الأحساء أقامه رجل فارسي اسمه علي ابن أحمد وهو مسلم غني كان يتعهد الحجاج الذين يبلغون الأحساء. أقام ذلك الرجل المسجد على نفقته الخاصة مثله مثل أبي البهلول عندما بنى مسجد أوال على نفقته الخاصة. راجع ناصر خسرو: سفر نامة، ص١٩٦.

(٨٧). العقير هي قرية على شاطئ البحر بحذاء الأحساء وهي معروفة حتى الان بذلك الاسم ويذكر عبد القادر الأحساني إنها حتى عام ١٣٦٥هـ كانت ميناء الأحساء حيث يرد عليها السفن التجارية ثم استغني عنها الأن بميناء الدمام. راجع عبد القادر الأحساني: تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، جـ١ ص٢١.

(٨٨). القطيف بفتح أوله وكسر ثانيه ويقال أن أصل الكلمة جاء من القطع أي قطع العنب ونحوه. وهي من أعظم مدن إقليم بلاد البحرين وتقع على ساحل الخليج في الشمال الشرقي لمدينة الأحساء ويوجد بالقطيف مغاصات اللؤلؤ وتعد من أهم المراكز التجارية في الخليج كما يحيط بها منطقة زراعية يكثر بها النخيل والزراع وعيون الماء ويغلب على سكانها عقيدة التشيع لآل البيت. راجع أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٩٩؛ شيخ الربوة: نخبة الدهر، ص٢٢٠؛ ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٧٨؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٩٣؛ البكري: معجم ما استعجم، جـ١ ص ١٠٨٤.

(٨٩). بنو سنبر انضموا للدعوة القرمطية في مهدها ببلاد البحرين حين تحالفوا مع أبي سعيد القرمطي بزعامة الحسين بن سنبر وعلي بن سنبر وحمدان بن سنبر. وقد استطاعوا اقتسام جزء من الرياسة في الدولة القرمطية حين أصبحوا وزراء تلك الدولة عندما يموت أحدهم يتولى اخر من ال سنبر مكانه وهكذا. راجع المقريزي: اتعاظ الحنفا، جـ١، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٩٠). يقصد أبو البهلول بالأعراب هم قبيل عوف بن عامر وعامر ربيعة وعدد من بطون الأعراب الأخرى مثل قيس وقبات وقد كانت تلك الأعراب تدور في فلك القرامطة وتخدم مصالحهم وتحارب في حروبهم نظير مبلغ من المال يدفع إليهم سنوياً أو حسب الاتفاق. كما كانت تحمي تجارة القرامطة في بلاد البحرين كما أن بعض بطون عبد القيس مثل العيونيين دخلت في خدمة القرامطة ومنهم بشر بن منلح العيوني. راجع ابن مقرب: الديوان، جـ٢، ص ٩٠٩.

(٩١). أراد أبو البهلول أن يأخذ مبلغاً من المال من ديوان الخلافة ويعطيه للأعراب حتى يكفوا من حول القرامطة لأن الأعراب كان القرامطة يستخدمونهم كحائل أو ستار بينهم وبين أعدائها مثل أبي البهلول. أما كلمة الهوادي فتعني المصالحة والموادعة والرجوع إلى الحق. والأعالي تعني ظهر عليها، أو غلب عليها، فهرهم. أما القوادم فتعني الخيل المعدة لوقت الحاجة إليها. ويقال أن هذه الخيل قود فلان القائد. أما الخوافي فتعني غلبته بما يخوف وكنت أشد خوفاً منه أو بمعنى القتال والقتل. راجع ابن منظور: لسان العرب، جـ٢ص ١٢٩١-١٢٩٢، جـ٥، ص ٣٠٩٢، جـ٦، ص ٤٧١٨-٤٧٢٠.

(٩٢). أراد أبو البهلول المساعدة من ديوان الخلافة بالمال من أجل السيطرة على الأحساء معقل القرامطة وهنا تظهر رغبة أبي البهلول في ضم بلاد البحرين كاملة إلى مملكته بعد أن سيطر على أوال ثم هاجم القطيف. لكن ناصر خسرو عندما زار الأحساء سنة ٤٤٣هـ وهو وقت ليس بالبعيد بين كتابة أبي البهلول لديوان الخلافة عام

٤٥٨هـ. قال ناصر خسرو: وجد بالأحساء عشرون ألف محارب وهو رقم ضخم لايمكن تغافله راجع ناصر خسرو: سفر نامة، ص ١٩٥.

(٩٣). الثغر هو موضع المخافة من فروج البلدان أي المناطق التي يمكن للعدو الدخول منها إلى بلاد المسلمين. راجع أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص٨٤.

(٩٤). الصراح هو كل بناء عالي وجمعه صروح. أبي بكر الرازي: المصدر نفسه، ص ٣٦٠.

(٩٥). يرغب أبي البهلول مما سبق أن يفتح بلاد البحرين ويرجعها لأحضان الخلافة ثم يجهز الجيوش لإعادة بلاد عمان الأخرى، وبعد أن استولى عليها الأباضية الخوارج وكونوا فيها إمامة وخاصة في نزوى وبهلا أي عمان الداخل. راجع المعولي: قصص وأخبار جرت في عمان، ص١-٦٣.

(٩٦). يقصد هنا صاحب الديوان أبو المنصور يوسف. راجع ابن الجوزي: المنتظم، جـ ٩، ص ٤٧٣.

(٩٧). بالفعل كان قد مر على تلك الدولة القرمطية ١٧١ عاماً لأن القرامطة سيطروا كلياً على هجر والقطيف وسائر بلدان بلاد البحرين سنة ٢٨٧هـ فإذا جمعنا ٢٨٧هـ + ١٧١سنة سيكون المجموعة هو٤٥٨هـ وهو تاريخ الرسالة التي بعثها أبو البهلول لديوان الخلافة راجع المسعودي: مروج الذهب، جـ ٣، ص ١٩١؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ١٠، ص ٧١؛ ابن الأثير: الكامل جـ ٦، ص٣٩٧؛ ثابت بن سنان: تاريخ ابن لعبون، ص٩٣-٩٤. وحول الرسالة التي أرسلت للديوان، راجع غرس النعمة: ذيل تاريخ أخبار القرامطة، ص ٨١-٨٢.

(٩٨). يذكر أبو البهلول لصاحب الديوان بما حقق من نجاح من انتزاع جزيرة أوال من يد القرامطة التي لم تستطع جيوش الخلافة العباسية من هزيمتها أو الإطاحة بها. كما يرجو أن تأمر الخلافة العباسية ولاة الأقاليم أن يمدوا أبا البهلول بالمال والسلاح والعتاد والرجال حتى يستطيع تدمير الدولة القرمطية في بلاد البحرين نهائياً ورفع شعار أهل السنة والجماعة بها. والخطبة للخليفة القائم بأمر الله على منابر البحرين، راجع ابن مقرب. الديوان (نسخة برلين) الخطاب، ص١٠.

(٩٩). لم أجد لذلك الشيخ ترجمة في كتب التراجم والرحبي منسوبة إلى رحبة بن زرعة بن سبأ الأصغر بن كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب. وهم بطن منهم أبو أسماء الرحبي. راجع الحازمي: عجالة المبتدئ وفضالة المنتهي في النسب، ص ١٠٢-١٠٣.

(١٠٠). حول تلك المعركة راجع غرس النعمة: ذيل تاريخ أخبار القرامطة، ص ٨٣؛ ابن مقرب: الديوان، جـ ٣، ص٩٢٩.

(١٠١). انتهى نص الخطاب. راجع ابن مقرب: الديوان (نسخة برلين) الخطاب، ص١٠.

(١٠٢). مؤلف مجهول: المخطوطة التيمورية، ص ٣٦٠؛ ابن المقرب: الديوان (الرضوية)، ص ٣٤٤؛ ناصر الخيري: قلائدالنحرين، ص١٣٢؛ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء، دار اليمامة، الرياض ١٩٨٣، جـ١، ص٥٨.

متطلبات الأستاذ الجامعي في عصر المعرفة

أ. د. أسامة عبد المجيد العاني
جامعة بغداد - العراق

مقدمة

أكثر من نصف عقد مضى على مطلع القرن الواحد والعشرين، وكل يوم تتزايد الاكتشافات المذهلة التي حققتها ثورة المعلومات والتي نقلت الأرض من عصر الصناعة والخدمات إلى عصر المعرفة و المعلومات، ذلك العصر الذي استطاعت فيه المعلومة أن تفرض نفسها كأهم سلعة في سلع الإنتاج، تتقدم على حجم إنتاجها الأمم أو تتراجع.

إن اللحاق بعصر المعرفة ليست المهمة اليسيرة بل إنها مسؤولية عظيمة تقع على عاتق الأمة أجمعها إذا ما أرادت أن تلحق بالركب العلمي، وإلا فإنها مرشحة لأن تبقى في أسفل السلم سامحة لنفسها أن تهمش أو أن تبقى قابعة في تخلفها وانحسارها عن مجرى التغيير العالمي.

إن المهمة صعبة ولكنها غير مستحيلة، فقد انطلقت الدول العربية من خلال مشروع واحد مع دول أخرى ماثلتها في حجم دخلها القومي أو مواردها المتعددة إلا أنها استطاعت أن تفلت من قيود التخلف واستطاعت أن تخط لنفسها طريقا يمكن أن تضمن فيه مكانها في عصر المعرفة.

إن مراجعة الذات وصدق النية والإرادة يجب أن يتوافرا ويتزامنا مع الخطط الموضوعة أو التي يراد لها أن توضع حتى لا تبقى تلك الخطط حبرا على ورق.

وأدوات التنفيذ عديدة وواسعة إلا أن أهمها التعليم بكل مراحله العامة والجامعة مرحلة البلورة التي فيها يتم صنع التوجه بصورة خاصة، وما بعد ذلك ضرب من خيال. لنتذكر أن (تقرير: أمة تحتضر) ركز على التعليم، فحري بنا أن نتبع ذلك فإن في قصصهم عبرة.

ونواة الجامعة ومقدم حركتها وعنوان نهوضها هو عضو هيئة التدريس فيها فهو اللاعب الأساس في معترك الجامعة.

يهدف البحث إلى استعراض أبرز متطلبات

الأستاذ الجامعي في عصر المعرفة.

ولتحقيق هدف البحث فقد تم تقسيمه إلى أربعة مباحث، تطرق الأول إلى ملامح ومستلزمات مجتمع المعرفة، في حين تناول الثاني: واقع التعليم الجامعي العربي، وتناول الثالث: واقع الأستاذ الجامعي العربي، في حين سلط الرابع الضوء على: مستقبل الأستاذ الجامعي العربي في نطاق مجتمع المعرفة.

المبحث الأول

مجتمع المعرفة - المفهوم - أبرز الملامح- المستلزمات

يتفق العلماء على مرور العالم بتحولات كبيرة تهدف إلى قيام مجتمع جديد اصطلح عليه بمجتمع المعرفة، والذي بدأت ملامحه تظهر في العقد الأخير من القرن العشرين. ولإيضاح ذلك فإننا سنحدد أولا المفهوم ومن ثم النشأة وبالتالي تحديد أبرز الملامح.

المعرفة وإشكالية المفهوم:

تختلف وجهات نظر المعرفين لمادة المعرفة وذلك باختلاف تخصصاتهم أو البيئة التي ينتمون إليها.

فقد عرفها بعضهم من الوجهة الاقتصادية مركزين على مدخلات جديدة ومخرجات الإنتاج على كونها (رأس مال فكري وقيمة مضافة، ولا تعد كذلك إلا إذا اكتشفت واستثمرت ومن ثم تحولت إلى قيمة لخلق الثروة من خلال التطبيق (Davenport & Drusak) و (Reid) و (Vail) و(ستيتورت)[1]. فالمدخل هنا رأس المال الفكري الجديد.

وتوسعت مجلة النادي العربي للمعلومات في إجابتها للتساؤل عن ماهية المعرفة، فضمنت تعريفها الجانب الاقتصادي أيضا مركزة على عناصر الإنتاج الجديدة وتحول المعرفة إلى سلعة وسرعة شيوع هذه السلعة، فذكرت أنه خلافا للعمل ورأس المال، تعتبر المعرفة سلعة عامة فعندما يتم اكتشافها وتعميمها تصبح مشاركتها مع مزيد من المستخدمين مجانية، كما أن الذي ينتج المعرفة يجد أنه من الصعب منع الآخرين من استخدامها، وتؤمن بعض الوسائل مثل براءات الاختراع وحقوق الملكية الفكرية والعلاقات التجارية حماية لمنتج المعرفة.[2]

أما الجمعية الأمريكية للتدريب والتطوير فقد عرفت المفردة من حيث التركيز على الكينية وتناولت المفهوم بصيغة (معرفة- كيف) (Now-How) و(معرفة لماذا) (Know- Why) اعتبرتها إحدى الموجودات الأساسية للمؤسسة الأكثر أهمية من الموجودات المادية.

ويرى آخرون بأن المعرفة هي أحد مفاتيح القوة وذلك في مؤسسات الأعمال اليوم وهي المفتاح لحل المشاكل الغامضة.[3]

وعرفت وصفيا بأنها (كل شيء ضمني أو ظاهري يستحضره الأفراد لأداء أعمالهم بإتقان أو لاتخاذ قرارات صائبة).[4]

مما تقدم نعتقد بأن التعريف المناسب للمعرفة هو (كونها عنصر جديد من عناصر الإنتاج يشتمل على الرأسمال الفكري وبالأخص - المعلومة- باعتبارها أداة فاعلة في صنع القيمة وزيادة الناتج القومي. لذا فإنها تمثل أحد مفاتيح قوة هذا العصر والحل لمعضلاته).

ويمكن تمييز عدة أنواع من المعرفة هي:[5]

- معرفة - ماذا (Know- what) وتعبر عن المعرفة حول الحقائق التي يمكن ترميزها.
- معرفة- لماذا (Know- Why) وهي معرفة

العالم الطبيعي والمجتمع والعقل الإنساني، أي إنها معرفة حول المبادئ والقوانين.

- معرفة - كيف (Know- How) وهي المهارات القابلة لتنفيذ مهمة معينة بنجاح.
- معرفة - من (Know- Who) وتشير إلى عالم العلاقات الاجتماعية وهي المعلومات حول من يعرف ماذا أو من يعرف كيفية ماذا.

نشأة مجتمع المعرفة وخصائصه:

مر العالم بتحولات عديدة أدت إلى تغير طبيعة مجتمعه وبالتالي تغير الوصف الملائم لذلك التحول، وقد تتفاوت الحقب الزمنية التي استغرقتها انتقال المجتمع من صنفة إلى أخرى، ففي الوقت الذي استغرقه انتقال المجتمع من الزراعي إلى الصناعي عشرات القرون من الزمن، انخفضت المدة الزمنية التي استلزمها الانتقال إلى مجتمع الخدمات لتستغرق عقودا من الزمن، وكان لثورة المعلومات والاتصالات آثارها السريعة كي يتم التحول إلى مجتمع جديد برزت ملامحه مع أواخر القرن المنصرم، اتفق على تسميته بعصر المعرفة.

حصل الانفجار المعلوماتي الذي أخذ بالاتساع مع نهاية القرن العشرين وظهور تطبيقاته المختلفة في شبكة الانترنت وثورة المعلومات وتغير مفهوم الإنتاج لصالح الإنتاج المعرفي التكنولوجي وفي سهولة الوصول إلى المعلومات والمعارف، وفي تطوير الصناعات التقليدية وزيادة فعاليتها وإنتاجيتها، وفي تحديث العلوم والأبحاث وتطبيقاتها في مختلف مجالات الحياة، من الطب إلى الزراعة، وفي بلورة مفاهيم ومعايير الجودة في الخدمات وتقديم معظمها عبر الشبكات، من الحكومة الإلكترونية إلى التعليم الإلكتروني إلى الاستشفاء و الإدارة[٦].

إن هذه التحولات أثرت على المجتمع وجعلته ينطبع بصفات يمكن تبيان أبرزها بالآتي:

١. مع إن الاقتصاد الكلاسيكي عد قوة العمل أحد عناصر الإنتاج الأساسية، إلا أن مجتمع المعرفة أكسب هذا العنصر تميزا خاصا حتى بات الإنسان وقدرته الفكرية والعقلية جوهر العملية الاقتصادية، ويأتي تميز القوى العاملة من خلال[٧]:

أ- القدرة على التقاط المعلومات وتحويلها لأي معرفة قابلة للاستخدام.

ب- القدرة على التكيف والتعلم بسرعة، وامتلاك المهارات اللازمة لذلك.

ج- إتقان التعامل مع تقنية المعلومات والتقنية المعتمدة على الحاسب وتطبيقاتها في مجال العمل.

د- القدرة على التعاون والعمل ضمن الفريق، وإتقان مهارات الاتصال اللفظية والكتابية والافتراضية.

هـ- إتقان أكثر من لغة حتى يمكن العمل في بيئة عمل عالمية.

و- إتقان العمل خارج حدود الزمان والمكان والقدرة على إدارة العمل سواء أكان ذلك في بيئات عمل تقليدية أم بيئات افتراضية.

٢. تنامي دور المعلومات في الحياة الاقتصادية والمجتمعية ويتمثل ذلك في: [٨]

أ- أصبحت المعلومات موردا اقتصاديا، وباتت الشركات والمؤسسات حريصة على استخدام المعلومات والانتفاع منها في زيادة كفاءتها، وفي تنمية التجديد والابتكار من أجل تحسين وضعها التنافسي من خلال تطوير البضائع

والخدمات التي تقدمها.

ب- شيوع ظاهرة استخدام المعلومات ما بين الجماهير. فهم يستخدمونها بشكل مكثف في أنشطتهم كمستهلكين. وهم يستخدمونها أيضا لممارسة حقوقهم ومسؤولياتهم. هذا فضلا عن إنشاء نظم المعلومات التي تعمل على إتاحة التعليم والثقافة لكل أفراد المجتمع.

ج- أضاف علماء الاقتصاد منذ الستينات إلى القطاعات الاقتصادية التقليدية (زراعة، صناعة، خدمات) قطاعا رابعا وهو قطاع المعلومات، حيث أصبح إنتاج المعلومات وتجهيزها وتوزيعها نشاطاً اقتصاديا رئيسيا في العديد من دول العالم.

٣. تغيرات في السوق متعلقة بالزبون تمثلت بانتقال السلطة (Shift of Power) من البائع إلى المستهلك [٩]، فالتنافس العالمي والإنترنت أدت إلى سرعة الوصول إلى المعلومات، مكنت المستهلكين من فرض خصوصية متطلباتهم. مما أدى إلى شيوع ما يسمى بالتكيف الموسع لموافقة رغبات الزبائن (Mass Customization)، الذي يبحث عن إنتاج أشياء جيدة وخدمات مصممة خصيصا لاحتياجات ورغبات خاصة لأنواع من المستهلكين. كل ذلك فرض أن يكون الموجه للسوق وصاحب القرار هو المستهلك وليس البائع.

٤. هيمنة العولمة والتنافس العالمي في عالم مترابط ومتشابك، فلقد أضحى العالم بفضل هذه الظاهرة التي شملت حركة وتدفق رؤوس الأموال والمعلومات سوقا واحدة وحلبة مشتركة للتنافس.

إن الاقتصاد الذي سيسود في القرن الواحد والعشرين هو الاقتصاد المعرفي [١٠] ويوضح جاليبرت إن العلاقة بين اقتصاد الخدمات الذي يشهد نموا كبيرا واقتصاد المعرفة تأتي من إن نوع العمل الذي يؤدى في القطاع الخدمي يعد مخرجا معرفيا. أما أبرز الاختلافات التي حدثت في اقتصاد المعرفة عن الاقتصاد الصناعي فقد استعرضت في الشكل (١).

يرى أحد الباحثين أن لاقتصاد المعرفة مستلزمات أساسية أبرزها [١١]:

١. إعادة هيكلة الإنفاق العام وترشيده وإجراء زيادة حاسمة في الإنفاق المخصص لتعزيز المعرفة ابتداءً من المدرسة الابتدائية إلى التعليم الجامعي مع توجيه اهتمام مركز للبحث العلمي، وتجدر الإشارة هنا إلى أن إنفاق الولايات المتحدة في ميدان البحث العلمي والابتكارات يزيد على إنفاق الدول المتقدمة مجتمعة، مما يساهم في جعل الاقتصاد الأمريكي الأكثر تطورا وديناميكية في العالم (بلغ إنفاق الدول الغربية في هذا المجال ٣٦٠ مليار دولار عام ٢٠٠٠ كانت حصة الولايات المتحدة منها ١٨٠ مليار دولار).

٢. العمل على خلق وتطوير رأس المال البشري بنوعية عالية. وعلى الدولة خلق المناخ المناسب للمعرفة. فالمعرفة اليوم ليست ترفا فكريا. بل أصبحت أهم عنصر من عناصر الإنتاج.

٣. إدراك المستثمرين والشركات أهمية اقتصاد المعرفة. والملاحظ أن الشركات العالمية الكبرى، تساهم في تمويل جزء من تعليم العاملين لديها ورفع مستوى تدريبهم وكفاءتهم وتخصص جزءاً مهما من استثماراتها للبحث العلمي والابتكار...الخ.

شكل (١)

مقارنة بين اقتصاد المعرفة واقتصاد الصناعة(*)

اقتصاد عصر الصناعة	عنصر المقارنة	اقتصاد عصر المعرفة
إقليمي	الانتشار	عالمي
• ثنائية قيمة المنفعة وقيمة التبادل • أصول تحتفظ بقيمتها وإن لم تستبدل	مفهوم القيمة	• رباعية ممثلة في هذه الثنائية مضافا إليها القيمة الرمزية وقيمة المعلومات. • أصول تفقد قيمتها إن لم تستخدم
• ملكية مادية يسهل حصرها وتوثيقها وحمايتها. • رأس المال المادي وسطوة أصحاب رؤوس الأموال	مفهوم الملكية	• ملكية فكرية يصعب تحديدها وحمايتها • رأس المال الذهني وسطوة الرأسماليين الذهنيين.
• الندرة وقلة العرض تزيد من القيمة • التركيز على جانب العرض	العرض والطلب	الوفرة وكثرة العرض تزيد من القيمة. • التركيز على تنمية الطلب
• اقتصاد قائم على طور الإنتاج • نضوب الموارد المادية مع زيادة الاستهلاك • المستهلك لصيق بالمنتج	علاقة المنتج بالمستهلك	• اقتصاد قائم على طور (إعادة الإنتاج) • نماء الموارد المعرفية مع زيادة الاستهلاك. • الاستهلاك عن بعد. • الخدمات تقدم للمستخدم في موقعه.
• على أساس القائم بالفعل • السعة الإنتاجية • مقومات التوسع (خطوط إنتاج ومنافذ بيع)	تقويم الأداء الاقتصادي	• على أساس المحتمل والممكن • الطاقة المعرفية الكامنة • البنية التحتية (شبكات المعلومات)
• إدارة مركزية هرمية • إنتاج جماهيري • زيادة القدرة التنافسية	نمط الإدارة والتنظيم	• شبكية ديناميكية • تنظيمات افتراضية • إنتاج لا كتلي • التنافس مع التعاون

التحولات في العالم سريعة والتغيرات الطارئة عليه خطيرة والتعلق بالأوهام والتعلل بالأسباب سيبقي صاحبها في غياهب الجهل والظلام والتخلف والتهميش. إن كل ذلك يحتم على مجتمعنا رؤساء ومرؤوسين أن يتخذوا خطوات عملية جادة للحاق بالركب الذي مضى. فخطواته سريعة وكل يوم تأخير تجعل الفاصل بيننا أبعد. ولعل واحدة من هذه الخطوات الأساسية هي الاهتمام بالتعليم وإعادة النظر في كل صغيرة وكبيرة فيه.

المبحث الثاني

واقع التعليم الجامعي العربي:

تتزامن مع التغيرات السريعة والخطيرة في مجتمع المعرفة وتغير الأليات والمفاهيم والاقتصاد سرعة التهميش الذي قد تترتب من جرائه. ما لم تتخذ خطوات عملية مدروسة وبالوقت المناسب للحاق بالركب العالمي. ويتفق الباحثون على الدور الذي يقع على مجمل العملية التعليمية باعتبارها مصنع إعداد جيل المعرفة الذي يتطلب إعادة النظر بالعملية التعليمية بوجه عام والجامعية منه بوجه خاص.

الجامعة في أي مجتمع مؤسس. لا تعمل في عزلة عنه فهي مصنع التغيير والتطوير فمدخلات المجتمع إليها داخلة ومخرجات الجامعة تؤدي فعلها في المجتمع على شكل عالم أو معلم أو طبيب أو أي شيء آخر. الجامعة طموح الشباب للالتحاق بها لبناء مستقبلهم، والجامعة مستودع الخبرات والعقليات التي راكمتها السنون لكي تسهم في بناء وتكوين المفاهيم وإعداد الملكات اللازمة لصنع المجتمع المنشود. فمتطلبات سوق العمل تصنع في الجامعة والارتقاء بالبحث والتطوير تجرى فيها. إن هذه الدلالات الموجزة تنم عن عمق وخطر المسؤولية التي تقع على عاتق الجامعة للانتقال إلى مجتمع المعرفة.

ولا يمكن إنكار أن الجامعات العربية قد ساهمت في الارتقاء بمجتمعنا العربي وصنعت العلماء وخرجت الملكات المؤهلة التي استطاعت أن تدير دفة البلد للاستمرار في نهوضه وتطوره، واستطاع العلماء العرب أن يتركوا بصمات على جدران العلوم ولو بشكل محدود، إلا أن واقع اليوم يختلف كليا عن الأمس. حتى إنك تذهل وتعجز عن إيجاد صنات مشابهة لمجتمع المعرفة عن المجتمع الذي سبقه. بل إن عقارب الساعة مضت بسرعة فائقة. يصعب على جامعاتنا في مستواها القائم أن تؤدي دورها المنشود في تحمل المسؤولية الملقاة على كاهلها.

لقد نمت أعداد الجامعات العربية في عقد التسعينات بأكثر من ٧٪ سنويا. وأعداد المعاهد التقنية بحوالي ٥٪. وأعداد هيئة التدريس في الجامعات بحوالي ٨.٥٪ سنويا. ولكن التنمية العربية لا تقترب في معدلاتها السنوية من ذلك التوسع. بل يشك في استهداف هذه العلاقة الارتباطية أصلا في الوطن العربي[١١].

ولوحظ أن عدد الجامعات العربية في تسارع بشكل مستمر خلال النصف الأخير من القرن العشرين حيث كان مجموعها لا يتعدى أصابع اليد في بدايته ثم قفز إلى (١٧٠) جامعة بها ما يقارب (٦) مليون و (٢٠٠) ألف طالب عام ٢٠٠٠[١٢].

لقد شخص مشروع الاستراتيجية العربية لتطوير التعليم العالي والمقدم من قبل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أسباب عدم فاعلية

منظومة التعليم العربي[١٤] بالاتي:

• تدني نسب الملتحقين بالتعليم العالي:

إذ لا يستوعب التعليم العالي أكثر من زهاء ١٥٪ من الشريحة العمرية المقابلة، وتنخفض النسبة عند الإناث إلى ١٢٪ على المستوى العربي. وإذا ما كانت نسبة الالتحاق بالتعليم العالي في مصر هي ١٨٪ فإنها في إسرائيل أكثر من ٤١٪ وفي الدول المتقدمة أكثر من ٦٠٪.

• أخطاء في أساليب القبول في الجامعات وفي تقويم الدارسين.

• تبعية للعالم الخارجي في الهموم البحثية وفي الأمثلة والتطبيقات وفي المادة التعليمية.

• تراجع مستوى الأساتذة والمدربين والمادة التعليمية.

• هيمنة الدولة والحكومات، مع عدم توافر محاسبة مجتمعية.

• ضعف التمويل والإمكانيات.

• تدني مستوى الحرية الأكاديمية للأساتذة.

• ضعف في مستوى وجودة عناصر مدخلات المنظومة.

• فجوة بين نتاج التعليم وسوق العمل، وكم تعليمي بلا كيف، وتلقين دون تحصيل، يؤكد ذلك تراجع مواقع البلدان العربية عند الأخذ بالاعتبار نوعية الناتج التعليمي[١٥].

وتتضح صورة التقويم بمقارنة عدد من المؤشرات لاسرائيل مع مجمل الوطن العربي، فإسرائيل تحتل المركز السادس عشر بنصيبها من إجمالي علوم العالم، حسب التقرير الأوربي حول مؤشرات العلوم والثقافة، وهي تمثل مقارنة بالوطن العربي[١٦]:

١٨ مثلا منه في نسبة ما ينفق على البحث والتطوير من الناتج المحلي الإجمالي.

٦،٧ مثلا منه في نسبة الإنتاجية لكل فرد من قوة العمل.

٦ مثلا منه في نسبة العاملين بالبحث والتطوير إلى مجمل قوة العمل.

١٦٧ مثلا منه في براءات الاختراع (الأمريكية والأوربية) للفرد من العاملين بالبحث و التطوير.

١٢،٣ مثلا منه في النشر العلمي للفرد من العاملين بالبحث والتطوير.

أضف إلى ذلك عدداً من المؤشرات التي تدل على الفجوة الرقمية بين الطرفين: (١٧)

• عدد من المالكين للكومبيوتر في إسرائيل ٤٧ لكل مائة فرد، بينما يبلغ هذا العدد (٤) لكل مائة في عالمنا العربي.

• فيما يخص النشر العلمي يبلغ ١١،٧ بحثا لكل عشرة آلاف في إسرائيل، بينما يبلغ هذا المعدل (ثلث) بحث لكل عشرة آلاف شخص عربي.

• يبلغ عدد الكتب المترجمة إلى العبرية سنويا (١٠٠) كتاب لكل مليون إسرائيلي في حين يبلغ عددها (٣) كتب لكل مليون عربي.

• عدد مستخدمي الانترنت في إسرائيل ٢٧٦،٦ لكل (١٠٠٠) شخص عام ٢٠٠١ مقابل ١٥،٦ لكل ١٠٠٠ شخص عربي[١٨].

وينطبق على أقطار الوطن العربي ما ينطبق على بلدان أخرى في العالم النامي. أي إن الحكومات في هذه الدول تجد صعوبات سياسية حقة في إصلاح الجامعات. وفي توفير الأساتذة والمدربين الجيدين وتوفير إمكانيات مالية كافية. وفي تشجيع القطاع الخاص للاستثمار على توفير فرص عمل[١٩].

لقد تعددت مصادر تمويل التعليم العالي في مختلف بلدان العالم. وبالرغم من ذلك ظل التمويل الحكومي يمثل الجزء الأكبر من مصادر التمويل العالي بالإضافة إلى مصادر تمويل أخرى كالمنح والهبات والأجور الدراسية ومصادر أخرى تمويلية ناتجة من البحوث والخدمات التي تقدمها الجامعة للمجتمع وغيرها.

جدول (١) نماذج لمصادر التمويل العالي في أقطار مختلفة بالنسبة المئوية٪

الدولة	تمويل حكومي	أجور دراسية	منح وهبات	أموال وقف	إيرادات البحوث	أخرى
الولايات المتحدة	٧٢	١٨	٣	٢	-	٥
فرنسا	٨٨.٩	-	٢.٢	-	٨.٩	-
ايطاليا	٤٣.٢	-	٥٢	-	-	٤
اليونان	٩٢	-	-	-	٦	٢
جامعة عين شمس (مصر)	٩٧	٠.٣	-	٠.٥	١.٢	-
الجامعة الأردنية	٣٨.٦	٢٤.٤	١٠.٢	٠.٤	١.٤	٢٥
جامعة قطر	٪١٠٠					
جامعة القدس (فلسطين)	٦٠	٢٥	٥	٨	٢	٢
جامعة غزة	-	٥١	٢	٣٩	٤	٢

فعلى الرغم من كل دعوات الخصخصة وتخفيف الأعباء عن الكاهل الحكومي، يلاحظ من الجدول (١) إن المصدر الرئيسي للتمويل في العالم المتقدم هو القطاع الحكومي، ويشير الجدول أيضا إلى أن الجامعات الفرنسية واليونانية قد استفادت من تقديم بعض الخدمات الاستشارية في سوق العمل.

ومع إن الحال يتكرر مع وضع التعليم في الوطن العربي حيث يعد الإنفاق الحكومي الممول الرئيسي للتعليم فيه، إلا أن هناك بعض الحالات التي تستفيد من خلالها الجامعات العربية في تمويل جزء من موازنة بعض الجامعات العربية عن طريق دفع الطلبة لأجور دراسية وأجور تسجيل، حيث تصل نسبة مساهمة أجور التسجيل في الأردن بحدود (٥٠٪) جدول (١).

يحقق التمويل الحكومي جملة من الفوائد التي تنعكس إيجابا في تحسين وتطوير أداء الجامعات من خلال تعميق استقلالية الجامعات العربية وإتاحة الفرصة المتكافئة لأبناء المجتمع خصوصا ذوي الدخل المحدود في الدخول إلى الجامعات العربية[١٠].

إلا أن هذا لا يمنع من أن تأخذ الجامعات العربية بمفهوم الجامعات المنتجة التي يعني (زيادة التفاعل مع المجتمع من خلال مجموعة من النشاطات المضافة لدورها الأساسي، تحقق من خلالها موارد إضافية لها). إن هذه النشاطات لا تتعارض ودور الجامعة بالتعليم، ولكنها تعمق من مشاركة الجامعة في عملية التطور الاجتماعي و الاقتصادي للمجتمع ومتابعة إنجازات الثورة العلمية والتقنية التي يشهدها العالم المعاصر[١١].

لا يمكن أن ينحصر دور الجامعة في عصر المعرفة في دورها الكلاسيكي المتمثل في توفير الملاكات ذات المستوى العالي لأجهزة الدولة وحسب، بل يجب أن تتعداه للانخراط وفق خطة استراتيجية لإعادة تأهيل الاقتصاد و النمو الصناعي.

في ضوء هذه التحولات، ينبغي أن تتمحور مهام الجامعة نحو العمل على تمكين الطالب للوصول إلى درجة الكفاءة في تخصصه وإعداده لمهن المستقبل. وانسجاما مع ذلك لابد من إرساء قواعد ثقافة التكنولوجيا في كافة مستويات التعليم العالي، والقضاء على العقلية الاتكالية وترسيخ روح المبادرة والبحث العلمي.

وكما ذكر آنفا، فإن مهمة الجامعة في هذا العصر المساهمة وبشكل فاعل في تطور المعرفة ويتم ذلك عن طريق توجيه البحث العلمي بشكل فاعل ومدروس لتحقيق ذلك الهدف.

وفي عصر المعرفة، فلن يكون هنالك شخص قادر على معرفة كل شيء وفعل كل شيء ما لم يستمر في تعلمه ومتابعته لتخصصه كي يساهم بشكل فعال للانخراط في حيز الحياة العملية. إن التعليم المستمر يعد المصدر الأساس لصنع المهارة وكذلك لتطويرها، ووحدها الجامعة تستطيع أن تبلور ذلك من خلال عمل برامج مدروسة في مجال كل تخصص لمواكبة التطورات الحاصلة في كل التخصصات من خلال البحث والمتابعة وتفعيل العلاقة مع مختلف الأنشطة الاقتصادية.

إن الانفتاح الذي يحققه مجتمع المعرفة يجعل انتقال الثقافات والمعلومات رحبا واسعا، دون حاجة

إلى استئذان أو طلب رخصة للنفاذ إلى أي مكان، هذه الأمور تحتم أن تأخذ الجامعة على عاتقها صياغة شخصية الطالب بحيث يكون منفتحا على الثقافات العالمية دون الإضرار بالثقافة والحضارة الوطنية. إن إيجاد الموازنة بين الانعزال والتقوقع وبين الانخراط وغياب الهوية ممكن وينبغي أن يكون من صلب اهتمام السياسات التربوية والعلمية للجامعات العربية.

وتبقى الجامعات هي محور تغيير وتفعيل المجتمع ويقع على عاتقها مسؤولية عدم استبعاد أو تهميش أي فئة من فئاتها لما لذلك من آثار سلبية ووخيمة قد تلحق الضرر بالمجتمع ككل. إن صنع الفرد الملائم لمجتمع المعرفة يحتم شمول كل أطياف المجتمع ويمكن فعل ذلك عن طريق نشر التعليم العالي في كل البقاع أو فتح فروع للجامعات في الأماكن النائية على أن يكون مستوى الجودة والأداء عاليا في تلك الفروع أو الجامعات.

إن النجاح في المهام المذكورة والملقاة على عاتق الجامعات العربية يتطلب الآتي:[٢٢]

- إحصاء للحاجيات التي يعبر عنها الفاعلون الاقتصاديون والاجتماعيون، والمؤسسات العمومية للبحث، والمقاولات الكبرى والجمعيات المهنية.
- إعلاء قيمة البحث من خلال النشر الواسع لنتائجها.
- إعادة توجيه الدور الذي ينبغي أن تلعبه المؤسسات بالقطر إلى موقعها الاستراتيجي في الاقتصاد الوطني.
- ربط مختلف الشركات في إطار شبكة، عن طريق فتح أبواب نشر المعارف التقنية والعلمية الموجهة نحو الصناعة.
- إشراك الجامعة في هياكل الدولة المكلفة بإعداد السياسات العلمية والتكنولوجية.
- وضع إجراءات تحفيزية، مالية وضريبية، بالنسبة للشراكات المبتكرة، والتي قد توفر ميزانية جيدة للبحث والتنمية.

المبحث الثالث

واقع الأستاذ الجامعي في الوطن العربي

ثلاثيات متداخلة

ينحصر جوهر عملية التعليم في ثلاثية شائعة تمثل (الأستاذ، الكتاب، الطالب) فالهدف هو الطالب، والكتاب هو الوسيلة والأستاذ هو المنفذ أو المستخدم لهذه الوسيلة. ويرى الدكتور علي السيد الشخيبي أن هنالك ثلاثية أخرى يندرج ضمنها الأستاذ الجامعي وأطلق عليها تسمية المثلث البشري في الجامعة، حيث ضمنها ثلاثة أضلاع اشتملت على (الطالب والأستاذ والإدارة)[٢٣].

ويستنتج من الثلاثيتين، أن الطالب هو المحور المستهدف في العملية التعليمية، وأن الأستاذ يمثل الأساس في العمل الجامعي. فهو عماد المنظومة، كونه المصدر للعلم والمعرفة والمثال الذي يسعى الطلبة للاقتداء به. فهو مفتاح التغيير والتقدم ليس على مستوى المحور المستهدف (الطالب) حسب، بل على مستوى المجتمع.

ومن خلال هاتين الثلاثيتين فإن هنالك تداخل في الأولى من حيث (الأستاذ و الكتاب) فهو قد يكون مؤلف الكتاب أو قد ألفه أستاذ آخر، وهو الذي يضفي على الكتاب أهميته من خلال عرضه

وتقديمه وتطويره. أما المثلث البشري فيلاحظ وجود تداخل آخر يتمثل في (الأستاذ والإدارة) فالمعروف أن الإدارة الجامعية أو على الأغلب رأس هذه الإدارة تتمثل في أساتذة جامعيين.

مما تقدم، تبين أهمية الدور الذي يضطلع به الأستاذ الجامعي في عملية التعليم والإدارة والتأليف والتغيير ونشر الوعي والمساهمة في بناء أسس المعرفة لا على المستوى الجامعي فحسب بل على المستوى المجتمعي ككل.

ولو حاولنا قليلاً، النظر إلى الجامعات العالمية أمثال (أكسفورد)، هارفراد MIT والسوربون وغيرها من تلك الأسماء الرنانة) وبحثنا في سبب شهرتها وشغلها لمثل هذه المكانة المرموقة لوجدنا أن السبب الرئيس لذلك هو المكانة التي يتمتع بها أساتذتها وعلماؤها من حيث دورهم في العلوم والمساهمة في أداء مهام معنية أسهمت بفاعلية في خدمة وتطوير المجتمع.

أرقام ودلالات

يعتبر أعضاء هيئة التدريس والعاملين في قطاع التعليم العالي من أهم المتغيرات في معادلة النوعية والجودة، إذ يتوقف تقويم المستوى النوعي للمؤسسة على نوعية هذا المتغير ودوره في مدخلات العملية التعليمية.

وفقاً لمشروع الاستراتيجية العربية لتطوير التعليم العالي، فقد تفاوتت نسبة حملة الدكتوراة بين أعضاء هيئة التدريس كثيراً من قطر عربي لأخر. وقد انخفضت هذه النسبة منذ عام ١٩٩١ في ثلثي الدول العربية. وفقا للمعايير العالمية فإن حاملي الدكتوراه في الجامعة يجب ألا تقل عن (٨٠٪) من مجموع أعضاء هيئة التدريس، ويزداد هذا المؤشر جودة كلما اقتربت تلك النسبة من (١٠٠٪).

شكلت نسبة حملة الدكتوراة منذ عام ١٩٩٦ في الكويت (١٠٠٪) فقط، وكانت نسبة حملة الدكتوراه أكثر من (٨٠٪) في أربع دول عربية، وأقل من (٥٠٪) في خمس دول عربية، وهي غير مقبولة عالمياً. والملاحظ أن نسبة حملة الدكتوراه في الفروع العلمية والتقانة خلال التسعينيات أعلى قليلاً من مثيلاتها في العلوم الإنسانية والاجتماعية[٤].

ومن المؤشرات الأخرى لوضع الملاك التدريسي في الجامعات العربية، فمن الملاحظ ارتفاع نسبة الحاصلين على درجة الماجستير إلى مجموع أعضاء هيئة التدريس حيث بلغت (٤٠٪) في أواخر التسعينيات، وهذه النسبة غير مقبولة وفقا للمعايير العالمية والتي تتراوح ما بين (١٥-٢٠٪) في تخصصات العلوم والتقانة، ولا يعتبر حملة الماجستير في الجامعات الرصينة من ضمن أعضاء هيئة التدريس، ويكلفون عادة بأعمال المختبر وتعليم اللغات والأعمال الميدانية وورش العمل لهذا أشار المؤتمر الإقليمي العربي حول التعليم العالي والذي انعقد في بيروت عام ١٩٩٨ إلى أنه ينبغي على الحكومات والمؤسسات التعليمية أن تعتمد الاستراتيجيات الملائمة في اختيار أعضاء هيئة التدريس، وإعدادهم ومواصلة تنمية مهاراتهم المهنية.

وهناك عوامل أخرى تساهم في انخفاض كفاءة الهيئة التدريسية في مؤسسات التعليم العالي العربية مثل النسبة العالية للطلاب والمدرسين التي قد تصل إلى (١٥٢) طالباً لكل عضو هيئة تدريس،

وإلى الأوضاع المتدنية اجتماعياً واقتصادياً لهذه الفئة، والأعباء التدريسية الكبيرة، وعدم خضوع غالبية أعضاء الهيئة العاملين في التخصصات غير التربوية، في أغلب الأحيان، لأي دورة تدريبية لرفع مهاراتهم المهنية وخاصة في الجوانب التربوية[٢٥].

ويشير التقرير المذكور أن ظروف عمل أعضاء هيئة التدريس في التعليم العالي ((محبطة)) إلى درجة كبيرة، كالعوامل المتصلة بالمناخ العلمي، والعوامل العامة: كالثقافة العامة للمجتمع وتقديره للعلم والعلماء، والأحوال الاجتماعية والسياسية، وفرص النمو الأكاديمي... إلخ. ولهذا كان من المنتظر ألا يهتم عدد كبير من أعضاء هيئة التدريس بتدريسهم أو ببحوثهم.

في الوقت ذاته، أشارت معظم الدراسات إلى أن عدداً كبيراً من المكتبات الجامعية عاجزة عن توفير المراجع الحديثة والدوريات والتسهيلات الإلكترونية من معلومات ونشر واتصالات وغيرها، وتفتقر المعامل إلى التجهيزات الحديثة، وتنقصها قطع الغيار واحتياطيات المواد المستهلكة، ويعوزها التخطيط والتنسيق مع المعامل الأخرى.

ويضيف تقرير مشروع الاستراتيجية العربية إلى أنه بالرغم من التطورات الكبيرة التي حدثت في مجال المعلومات والمعلوماتية، فإن جميع العاملين في قطاع التعليم العالي العربي لم يستفيدوا من الفرص التي تتيحها هذه التطورات، سواء أكان ذلك في تغيير أنماط التعليم والتعلم أم في الاستخدام المكثف لتقانة المعلومات في الإدارة والتسيير فلا زالت الهيئات التدريسية تستخدم أنماطاً تقليدية تعتمد على الحفظ والتلقين والكتاب الجامعي، ولا زالت الإدارة الجامعية حبيسة البيروقراطية التقليدية.

وفيما يخص علم الاقتصاد، على سبيل المثال، يذكر الدكتور عاطف قبرصي، أن هذا العلم يدرس بشكل سيء حالياً، وهو بحاجة إلى أن يدرس بصورة مختلفة عما هو عليه اليوم، كذلك يشير إلى أن علماء الاقتصاد والذين يجمعون ما بين التدريس وتقديم المشورة قليلون، وهناك هوة واسعة بين هذين النشاطين، وهذه الهوة غير سليمة، فالاستشارة تعني لعالم الاقتصاد ما يعنيه المختبر للمتخصص بعلوم الطبيعة. إن مشكلة التدريس الجامعي في مجال علم الاقتصاد في المنطقة تكمن في كونها متأخرة من (١٠- ٢٠) سنة عما هي عليه الحال في العالم المتقدم[٢٦].

من جهة أخرى فإن نظم التقويم المستخدمة في عمليات التعيين والترقية عقيمة النفع وتعتمد بالأساس على المؤهل الأكاديمي التخصصي مع إعطاء أهمية ثانوية لمعايير مهمة كالخبرة، والكفاءة والأبحاث والدراسات الأصلية بالإضافة إلى الجوانب الشخصية والنفسية للعاملين في قطاع التعليم العالي[٢٧].

وتبقى إشكاليات الحرية الأكاديمية بالنسبة لأعضاء هيئة التدريس واستقلالية التعليم العالي في الوطن العربي معضلة، وتؤدي في غالب الأحيان إلى إحباط كبير ينعكس سلباً على أداء هذه الفئات ومن ثم على نوعية التعليم وكفاءة أدائه.

البحث العلمي في الجامعات العربية

من المعروف إن غالبية جهد البحث العلمي يقع على عاتق الجامعات والمعاهد العلمية ولا يمثل ذلك خاصية لجامعة دون أخرى، بل إن المكانة للجامعة

تكتسب من نوعية البحوث المنجزة والإسهامات البحثية للملاك التدريسي لهذه الجامعة أو تلك.

وقد أشرت إلى واقع البحث العلمي في الجامعات العربية عدداً من المؤشرات السلبية تمثلت في الآتي[١٨]:

- بحوث أكاديمية دون منتجات استثمارية
- ترقية أكاديمية دون ارتقاء علمي
- نشر علمي ضامر لا يرى معظمه النور إلا من خلال المنافذ المحلية تهرباً من غربلة الترشيح العلمي، ومن جهة أخرى نتاج مكدس على الرفوف يلتقط الأتربة وما أكثر ما فيه من نقل وتكرار، وتشبه بالعلم، وتزيينه أحيانا.
- غيبة المشاريع البحثية المشتركة بين البلدان العربية وعزوف شبه تام عن المشاركة في الموارد سواء أكان على المستوى البشري أم المادي أم المعلوماتي.

لعل من أبرز أسباب ذلك:

- سياسات علمية تفتقد إلى الواقعية.
- ضعف الموارد الحكومية المخصصة للإنتاج العلمي، وعزوف القطاع الخاص عن الاستثمار في مجالاته.
- ضعف الطلب على إنتاج العلم، ومحدودية النشاط الابتكاري، وتدني تمويل البحث العلمي من قبل القطاعات الإنتاجية والخدمية.

فقد انفق الوطن العربي على البحوث والتطوير ٠.٢٪ من إجمالي ناتجه المحلي، أي ما يعادل سبع المتوسط العالمي (١.٤٪).

- عدم مواكبة المؤسسات الأكاديمية لحركة تطور العلم وإغفاله للعلوم الأساسية وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن جامعاتنا العربية تسعى حاليا إلى نشر استخدام تكنولوجيا المعلومات بين طلابها ومعلميها إلا أنها لم تتم بأي جهد جاد لدراسة تأثير تكنولوجيا المعلومات في تطور العلم وانعكاسات ذلك على مضمون القرارات ومناهج التدريس.

وهناك صفة قد تكون غالبة تنطبق على طبيعة البحوث في الجامعات العربية وهي كونها بحوث نظرية سيما في قطاع (العلوم الاجتماعية) وتأتي استجابة لمتطلبات الترقيات العلمية ولا تمثل جزءا من خطة بحثية إنمائية تهدف إلى تطوير اقتصاد البلد و قطاعات الإنتاج فيه.

إن غياب الخطة الوطنية العلمية للبحث العلمي، جعل جهود البحث مشتتة وأحيانا بعيدة عن استجابات واقع المجتمع العربي. في الوقت الذي تشير فيه المعلومات إلى أن الخطة الوطنية لتنشيط البحث العلمي والتطوير في (إسرائيل) وضعتها لجنة استشارية مؤلفة من (١٣٠٠) باحث إسرائيلي في مجالات مختلفة، اشتملت خطة العمل فيها على (٤٥٠) بنداً، كذلك توضع خطة بحثية لكل خمس سنوات في كل من اليابان وماليزيا.

ومع ما تم ذكره من ضعف الإنفاق الحكومي على البحث العلمي، يلاحظ أن هذا الانفاق لا يمثل إنفاقا فعلياً على البحث والتطوير، وإنما يمثل في غالبيته أجوراً ورواتب، فعلى سبيل المثال كانت حصة الرواتب ٩٨٪ من ميزانية الجامعات اللبنانية فيها، اقتصرت نسبة البحث والتطوير على ٢٪ فقط، بينما تبلغ النسبة المخصصة

متطلبات الأستاذ الجامعي في عصر المعرفة

للبحث العلمي لميزانية الحكومة في الجامعات الإسرائيلية ٦،٣٠٪[٢٦].

إن عرض الحقيقة قد يؤلم ولكنه هو الحافز لمعرفة الواقع وبالتالي محاولة إيجاد الحلول التي يمكن أن تنهض بالأستاذ محور العملية التعليمية في مجتمع المعرفة وغيره.

المبحث الرابع

مستقبل الأستاذ الجامعي العربي في ضوء احتياجات مجتمع المعرفة

يتنامى الإقبال على الجامعات في مجتمع المعرفة باعتبارها المصدر الأساس لصنع وتطوير المعرفة وتنمية القدرات والموارد البشرية ذات التخصصات المختلفة. ويبقى عضو الهيئة التدريسية في الجامعة النواة للتفاعل والحركة والإبداع، بل إن دوره سيتنامى في عصر المعرفة عما كان عليه في المجتمع الصناعي والخدمي وهنا يتحتم عليه تطوير قدراته ليواكب سرعة تقادم المعرفة.

ذلك، لأن كم وكيف المعرفة يتزايد في كل لحظة، فقد أكد بعض المفكرين إن المعلومات العلمية تزداد ١٣٪ سنوياً، أي أنها تتضاعف كل سبع سنوات، وأن هذه النسبة سترتفع إلى حوالي ٤٠٪ بسبب الخطط المعلوماتية الدقيقة وزيادة إعداد العلماء وفروع المعرفة والجامعات ومراكز البحوث[٢٠].

وفي هذا المنحى، لم يعد التدريسي المصدر الوحيد للمعلومات في الجامعات وخاصة الافتراضية (جامعات مجتمع المعرفة) منها، حيث التعليم عن بعد والتعليم الإلكتروني،

إن ذلك يتطلب بلا شك، نوعية في الملاكات، يكون بمكانها التعامل مع التطورات التقنية مع حاجاتها لإتقان اللغات الأجنبية. ربما يجد العديد من مختبراتنا ومعاملنا في جامعاتنا تغص بأجهزة الحاسوب ولكن المطلوب مع ذلك توفير الأستاذ والطالب الراغبين في الانتقال إلى مجتمع المعرفة.

يترتب على تعامل جامعات مجتمع المعرفة مع تقنيات المعلوماتية تنمية مؤهلات الملاك التدريسي على الاستخدام الكفء للتقنيات التعليمية، فضلاً عن مؤهلاته التربوية من مقالات ودوريات ومستخلصات وقواعد بيانات وأطاريح وفهارس. يأتي ذلك لأن تقنيات التعليم الإلكتروني وفرت فرصاً كبيرة لتطوير البيئة التعليمية من خلال فرص الاتصال والنقل بين المشاركين[٢١].

سمات التدريسي في مجتمع المعرفة :

مع تنوع أساليب تقويم عضو هيئة التدريس إلا أن نتائج معظم الدراسات التي أجريت بهذا الخصوص قد اتفقت على عدد من الخصائص والمقومات التي يجب أن تتوافر في عضو هيئة التدريس في المجتمع المعاصر ومنها[٢٢]:

١. سمات شخصية ومن أهمها: الاقتداء بالقيم الدينية في سلوكه داخل الجامعة وخارجها، التواضع في معاملة الطلاب والزملاء وجميع العاملين بالجامعة وخارجها، الاتزان الانفعالي وعدم التسرع والتهور في المواقف المشكلة، الامتثال لأخلاقيات المهنة، الثقة بالنفس، الدافعية للعمل وإنجاز المهام وحسن المظهر، الأمانة والصدق وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الذاتية.

أي إننا نجمل ذلك بقول المتنبي (كاد المعلم أن يكون رسولا).

٢. سمات مهنية وأكاديمية منها: الثراء في مادة التخصص، الثقافة العلمية في بعض المجالات العلمية الأخرى، المهارة في التدريس، العدالة والموضوعية في تقويم أداء الطلبة، المهارة في البحث العلمي، الالتزام بمواعيد العمل والمحافظة على النظام، الالتزام بساعات الإرشاد الأكاديمي، التفاعل الايجابي مع الطلاب، مناقشة الطلبة دون إحراجهم، الإخلاص في التدريس والبحث العلمي، الاستخدام الجيد لوسائل وتكنولوجيا التعليم في التدريس، إثارة حماس الطلاب ودافعيتهم للتعلم والمشاركة في الانشطة الجامعية، الصداقة مع طلابه، اتباع أساليب التدريس الشيق، الإعداد الجيد للمحاضرات وتشجيع الطلاب على ممارسة التفكير العلمي والتفكير الناقد والتفكير الإبداعي.

الأدوار الجديدة (الأستاذ- الجامعة) في عصر المعرفة:

استجابة لدرجة التغير في البيئة المحيطة وتطور التكنلوجيا كان إلزاما أن يمر دور التدريسي بتطورات وفقا للمرحلة التي يمر بها، فقد تطورت أدوار التدريسي عبر العصور، لتبدأ بـ (دوره كملقن وحاشي للمعلومات بالذهن، إلى دوره كشارح للمعلومات ثم دوره كمستخدم للوسائل التعليمية وبعدها ليكون مخططا للعملية التعليمية برمتها[٣٣]. وانسجاماً مع عصر اقتصاد المعرفة، الذي بات فيه المستهلك هو المتحكم في السوق بدلاً من المنتج أو البائع كما كان في عصري (الصناعة والخدمات).

فقد أضحى الطالب محط اهتمام جامعة المعرفة وباتت تحرص على تلبية كل متطلباته رغبة منها في استيعاب أكبر عدد من الطلبة، وكمحصلة لذلك فقد أضحى الطالب حكماً لنوع وجودة التدريس، وبات على عضو الهيئة التدريسية أن يكون مواكباً لكل تطورات العصر في مجال تخصصه وكل ما يتعلق بتخصصه.

إن على عضو الهيئة التدريسية في الجامعة المعاصرة، إن يدرك بأن مهامه في حالة تغيير إذ إن دوره قد تحول إلى موجه ومعلق ومنير ومركز إشعاع Animator لطلبته، أكثر من كونه مصدراً رئيساً للمعلومات Information Provider، يأتي ذلك لأن طلبة مجتمع المعرفة أصبحوا قادرين على الوصول إلى المعرفة والمعلومات المطلوبة منذ مراحل التعليم العام[٣٤].

لذا ينبغي الانتقال من وضع كان فيه دور الأستاذ مركزياً إلى عمل الفريق الذي يستدعي أكثر فأكثر أشخاص وكفاءات من خارج الجامعة، فالأستاذ الذي كان بالأمس مؤلفاً ومشخصاً، يصبح كاتب سيناريو ومخرجا مصاحبا لتكوينات، ستكون مركزة ليس على المدرس نفسه بل على المتعلم[٣٥].

في ظل عصر المعرفة والمعلوماتية يلعب التدريسي دوراً يختلف عن أدواره التقليدية إذ بات دوره يتركز على تخطيط العملية التعليمية وتصميمها وإعدادها علاوة على كونه مشرفاً ومديراً وموجهاً ومرشداً ومتوما لها.

ووفقاً لهذه الطريقة يحاول أستاذ الجامعة مساعدة الطلبة ليكونوا معتمدين على أنفسهم نشيطين مبتكرين وصانعي مناقشات ومتعلمين،

ذاتيين بدل أن يكونوا مستقبلي معلومات فهي بذلك تحقق التطورات الحديثة في التعليم المعتمدة والمتركزة على المتعلم وتحقق أسلوب التعليم الذاتي له وللأستاذ الجامعي في عصر الإنترنت والتعلم عن بعد دوراً مرتبطاً بأربعة مجالات واسعة هي: ٣٦

١ - تصميم التعليم

Designing instruction competencies

ويقصد به تصميم المادة الدراسية من قبل عضو هيئة التدريس وتنظيمها و إعدادها سواء أكانت هذه المادة معدة للطالب الذي يدرس في نظام التعليم التقليدي أم التعليم عن بعد.

٢ - توظيف التكنلوجيا

Using Technology Competencies

ويقصد به استخدام تكنولوجيا المعدات والأجهزة بفاعلية عند تقديم التعليم وهناك خمس تقنيات هي (المواد المطبوعة، تكنولوجيا السمعيات، اللوحة الإلكترونية، أقراص الفيديو والحاسوب وشبكة الإنترنت).

٣ - تشجيع تفاعل الطلاب Encouraging students interaction competencies ويقصد به كيفية تشجيع تفاعل الطلاب واكتسابهم المعرفة في العملية التعليمية و تبرز هنا أربع أنواع من التفاعلات (تفاعل المتعلم والمحتوى، تفاعل المتعلم مع المشرف، تفاعل المتعلم مع المتعلم وتفاعل المتعلم مع نفسه).

٤ - تطوير التعليم الذاتي للطلاب Promoting students self regulation Competencies.

ويقصد بالتعليم الذاتي بأنه قدرة المتعلم على (ممارسة) الاستقلال بشكل كبير في تقرير ما هو نافع للتعلم وكيف يقترب من مهمة التعليم.

الاعتقاد السائد في عصر المعرفة، بأن الإعداد للمهنة لم يعد كافياً للاستمرار في المهنة، ومن ثم ضرورة التجديد والترقي، وقدرات هذه المتغيرات إلى ضرورة الاهتمام بالتدريب أثناء المهنة، وبناء على ذلك أصبح التدريب أحد الوظائف الرئيسة للجامعة، ومن ثم فإن من المهام الإضافية لعضو هيئة التدريس أن يكون على وعي ودراية بأهداف التدريب وأشكاله وأساليبه، وكيفية ممارسته سواء أكان بالأسلوب المباشر، أم غير المباشر عن طريق وسائل الاتصال والحاسب الآلي، والحقائب التدريبية، وشبكات الفيديو كونفرانس وكيفية تصميم البرامج التدريبية[٣٧].

من جهة أخرى، ينبغي على جامعات المعرفة توفير المصادر العلمية الكافية الحديثة التي تمكن الطالب من الرجوع إليها عند الحاجة دون الارتكان إلى كتاب منهجي واحد مما ساهم في تخلف العملية التعليمية وقلل من روح التفاعل والمتابعة، وهنا يتحتم على التدريسي العربي في عصر المعرفة مزاولة نشاطه من خلال مجالين، أولها: التأليف، وينبغي أن يكون التأليف مواكباً لكل تطورات العلم الحديث مستنداً على تجارب الواقع العربي وأن تكون الأمثلة في واقع المجتمع العربي وتلبي احتياجاته كي يسهم في تطوير المجتمع وتسهم في انتقاله إلى مجتمع المعرفة. أما المجال الثاني وهو: أن يجد التدريسيون ومن باب الوفاء للغتهم التي يحيون بها ترجمة أمهات

الكتب ومراجعها في تخصصات العلوم إلى اللغة العربية. وليكن بيت الحكمة وفعله الذي فعله في عصر الرشيد والمأمون نبراساً لنا. ولنتذكر أن تقرير التنمية الإنسانية العربي لعام ٢٠٠٢ يشير إلى أن عدد الكتب المترجمة هو أقل من ثلاثة كتب لكل مليون نسمة يجعل المجتمع والطالب متخلفا عن مواكبة العصر ومتابعة تطوراته.

إن مسؤولية الأستاذ الجامعي متشعبة المهام ومتعددة التوجيهات ولا ينبغي أن ينظر إليها في إطار تقليدي محدد. ولعل من أبرز التحولات التي يجب مراعتها من قبل الأستاذ في جامعة المعرفة، هو إشاعته روح التعليم التعاوني بدلاً من التعليم التنافسي. لما لذلك من أثر في شيوع روح الفريق. كذلك فإن هذا النوع من التعليم حسب ما أشارت إليه الدراسات المتخصصة يساعد في رفع مستوى التحصيل العلمي لجميع الطلاب، ويشجعهم على مساعدة بعضهم بعضاً. وزيادة دافعيتهم للتعلم، ونمو اتجاهاتهم الإيجابية. ويسهم في حل الكثير من المشاكل النفسية والاجتماعية للطلبة وكذلك التأخر الدراسي بالإضافة إلى أنه يساعد في سيادة قيم المسؤولية المشتركة بين الطلبة[٣٨].

متطلبات البحث العلمي في عصر المعرفة

ووفقاً لمتطلبات عصر المعرفة، ينبغي أن يراعي الأستاذ متطلبات البحث العلمي لهذا العصر وذلك من خلال التعامل مع موضوعات جديدة في المنهج والتوثيق، ذلك لأننا نستخدم شبكة المعلومات، ولكون علماء العصر يصوغون أنموذجا فكريا هو أكثر علمية وأقل أكاديمية وادعاء للموضوعية. ووفقا لمقررات منظمة التجارة العالمية. فإن هنالك حقوقاً للملكية الفكرية ينبغي حمايتها، ويتحتم على الجامعات وضع قواعد لإشاعة روح الفريق في البحث العلمي على مستوى القسم أو الكلية أو الجامعة وما بين الجامعات العربية وكذلك العالمية.

إن من شان ذلك أن يضفي على البحث العلمي صفة الواقعية والمعاصرة الشمولية ودقة الملاحظة ومعرفة التشعبات المختلفة للعلوم والعلاقة فيما بينها.

ومرة أخرى تبقى مسؤولية الدولة في دعم البحث العلمي وتخصيص موازنات خاصة بعمليات البحث والتطوير من خلال جعل الموازنة متعلقة فعلاً بذلك الموضوع ودون تضمينها لتخصيصات رواتب وأجور العاملين في الجامعات. ولابد من إشاعة عقد شراكة ما بين الجامعات والقطاع الخاص فالحاضنات التكنولوجية وحدائق العلم وغيرها من الانتقالات والقفزات التي حققتها الغرب في مجال العلاقة ما بين الجامعة والقطاع الخاص ينبغي تفعيلها في مجتمعاتنا وجامعاتنا لضمان التحول السليم والحثيث لعصر المعرفة.

إن التدريب ومواكبة التطورات ترفع كفاءة أداء العاملين في مختلف الاختصاصات ولعله من باب إشعار أعضاء هيئات التدريس بمسؤولياتهم إشراكهم في دورات تدريبية للتمرس على منهجية البحث العلمي ومواكبة التطورات الحديثة من حيث تحديد المشكلة وجمع المعلومات وأسلوب البحث وغيرها بما يعزز خدمة البحث العلمي لمتطلبات المجتمع وتسهم في تحقيق التنمية البشرية.

ويتحتم إلزام التدريسي بتقديم عدد محدد

من البحوث النوعية في كل سنة ولا ينبغي إجراء ترقيته على وفق التراكم السنوي. ولا يجب ترقيتهم أو حتى رفع دخولهم من دون إثباتات لنوعية جيدة من الأبحاث الرصينة المحكمة.

أما مجالات البحث العلمي في الاقتصاد، فحبذا لو تطرقت بصورة جدية إلى مشكلات التنمية والتخطيط، خاصة تلك التي تتعلق بالاقتصاديات الريعية واقتصاديات المصادر الطبيعية. كما أن هناك حاجة ماسة إلى دراسة أسواق العمل وتكوين الرأسمال البشري، واقتصاديات المؤسسات والأطر المؤسساتية. هذا وتبقى المشكلة الأساسية في ربط الأبحاث بالقرار السياسي والقرار الصناعي. فمع أهمية البحث الأساسي والأبحاث التجريدية هناك حاجة ماسة إلى ربط الأبحاث والعمل العلمي بالعمل التطبيقي ليستفيد الاقتصاد والمجتمع من إنتاج الفكر والعلم[٣٦].

يتبين لنا أن الأستاذ الجامعي هو قلب التغيير ومحور التحول ومن خلاله ينطلق المجتمع أو يظل قابعاً في دهاليز التخلف والظلام. إن هذه المسؤولية تحتم على الجامعات العربية إعادة النظر في وضع أساتذتها وربما يمكن فعل ذلك من خلال:

١. تفعيل مراكز طرائق التدريس ومراكز تعليم الحاسوب في الجامعات العربية من خلال متابعاتها لأحدث متغيرات أساليب التعليم في العالم المتقدم وإلحاق الأساتذة في هذه الدورات وبشكل دوري مستمر.

٢. التأكيد على عملية التعليم المستمر لأستاذ الجامعة وربما إخضاع معايير الترقية العلمية وجعل من شروط ترقيته انخراطه في دورة أو أكثر على الأقل في مجال تخصصه.

٣. تحسين الوضع المادي وضمان الحرية الفكرية والعلمية وتوفير الحصانة للأستاذ الجامعي.

٤. تفعيل حراك الأستاذ الجامعي ما بين الكليات المتناظرة على مستوى الوطن العربي.

٥. إلزام الأستاذ الجامعي بمتابعة أساليب تطورات التقنيات العلمية وجعلها من وسائله التعليمية وربما قد يكون نطاق الدراسات العليا كخطوة أولى.

٦. توجيه البحوث العلمية لتمثل حاجة فعلية للمجتمع وإحداث شراكة مع القطاع الخاص.

الخاتمة

ليس هناك ما يسمى مستحيلاً. وكل الإنجازات العلمية بدأت بخطوة. إن توفر الإرادة الصادقة لدى السياسي والجامعي والاقتصادي وكل عناصر المجتمع، كفيل بتحقيق عنصر الإشعاع في جامعة ومجتمع المعرفة.

ولا نكون مجافين للحقيقة. إذا ما ذكرنا بأن أبرز مراكز البحث والجامعات العالمية تغص بأساتذة وعلماء العالم الثالث ومنهم الكفاءات العربية.

إن المهمة ليست سهلة ولكنها ضرورية ولابد من تنفيذها والا فإننا سنسمح بتهميشنا وبتردي أوضاعنا وعلى مختلف الأصعدة.

ولنتذكر إن مجتمع المعرفة ليس ((فندقاً ذو خمسة نجوم)) يمنع الفقراء من ارتياده.

الهوامش

هوامش البحث

١. نقلا عن صلاح الدين عواد كريم الكبيسي. إدارة المعرفة وأثرها في الإبداع التنظيمي. أطروحة دكتوراه في إدارة الأعمال. كلية الإدارة والاقتصاد. الجامعة المستنصرية. بغداد. ٢٠٠٢. ص٤٦.

٢. عرين مجلة النادي العربي للمعلومات.
File://A:\Areen%20-%20 Arabian. Htm. 12. Nov.03 ص١

3. Clark. S. (1996) "Complete know lodge is key to solving Business Mysteries" MBJ. December. Vol.26. Issue-29 p.35.

٤. عرين. مصدر سبق ذكره. ص٣.

٥. الكبيسي مصدر سبق ذكره. ص٥٥ : وعرين. مصدر سبق ذكره. ص٣.

٦. ميلاد سعبلي. آليات النهضة في زمن العولمة. شبكة المعلومات السورية القومية الاجتماعية. www.ssnp.info ٢٠٠٢. ص٨.

٧. عصام أحمد فريحات. إعداد القوى العاملة لمجتمع المعرفة. مراكز مصادر التعلم. ٢٠٠٤. ص٤.

٨. محمد فتحي عبد الهادي. أسس مجتمع المعلومات وركائز الاستراتيجية العربية في ظل عالم متغير. دراسات عربية في المكتبة وعلم المعلومات. مجلد ٤. عدد ٣. أيلول.

9. Toffler. A. 1990. Power shift: Knowledge. wealth & Violence at the Edge of 21st century. Network: Bantam Books.

10 Gal breathes Jeremy. (1999) Technology and Education: Current and Future Trends. IT. Journal. Available: text. Virginia edu/ journal.

١١. حواس محمد. اقتصاد المعرفة. الحوار المتمدن. العدد ١٣٩٣ في ٢٠٠٥/١٢/٨ www.rezgar.com .

(*) المصدر: نبيل علي ونادية حجازي. الفجوة الرقمية. رؤية عربية لمجتمع المعرفة. سلسلة عالم المعرفة. العدد (٣١٨) أغسطس/ ٢٠٠٥. الكويت. ص٣٩٩. جدول (١:٧)

١٢. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. إدارة برامج التربية. مشروع الاستراتيجية العربية لتطوير (التعليم العالي) والبحث العلمي في الوطن العربي. دمشق ١٥-١٨/ ك١/٢٠٠٣. ص٤٦.

١٣. علي السيد الشخيبي. الطالب وعضو هيئة التدريس من منظور مجتمع المعرفة. ورقة مقدمة للمؤتمر التاسع للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي. دمشق ١٥-١٨/ك١ / ٢٠٠٣. ص١٨.

١٤. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. إدارة البرامج مشروع الاستراتيجية العربية ... مصدر سبق ذكره. ص٤٠-٤٤.

١٥. نبيل علي. نادية حجازي. الفجوة الرقمية. رؤية عربية لمجتمع المعرفة سلسلة عالم المعرفة. العدد (٣١٨). أغسطس / ٢٠٠٥. الكويت. ص ٢٥١.

١٦. مشروع الاستراتيجية العربية. مصدر سبق ذكره. ص٤٥.

١٧. نبيل علي ونادية حجازي. مصدر سبق ذكره. ص٧٠-٧١

18. UNDP. HDR 2003. Oxford p. 274.

١٩. مشروع الاستراتيجية العربية. مصدر سبق ذكره. ص٤٦.

(**) المصدر: عبد الله الخشاب ومجذاب بدر العناد. تمويل التعليم العالي في الوطن العربي وسبل تعزيزه. جدول (٣) وجدول (٤). مجلة دراسات اقتصادية بيت الحكمة. بغداد. العدد (٣. ٤). السنة الأولى. شتاء ١٩٩٩/ ٢٠٠٠.

٢٠. عبد الإله الخشاب ومجذاب بدر العناد. تمويل التعليم العالي في الوطن العربي وسبل تعزيزه. جدول (٣). (٤) مجلة دراسات اقتصادية. بيت الحكمة. بغداد. العدد (٣. ٤). السنة الأولى (١٩٩٩/ ٢٠٠٠).

٢١. عبد الإله الخشاب. مجذاب بدر العناد. الجامعة المنتجة. الفلسفة والوسائل مجلة اتحاد الجامعات العربية. العدد (٣١). ١٩٩٦. ص ١٨.

٢٢. حنيظل بو طالب جوطي. الجامعة وتطور المعرفة والنمو الاقتصادي. ورقة مقدمة للمؤتمر العلمي التاسع للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي. دمشق. ١٥-١٨/ك١/٢٠٠٣. ص١٠.

٢٣. علي السيد الشخيبي، مصدر سبق ذكره، ص١٧.

٢٤. مشروع الاستراتيجية العربية، مصدر سبق ذكره، ص٧٨.

٢٥. المصدر نفسه، ص٧٩.

٢٦. عاطف قبرصي، أزمات علم الاقتصاد وتقدمه، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٧٢، ك٢/ ٢٠٠١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص (٣٧، ٥٤، ٥٦).

٢٧. مشروع الاستراتيجية العربية، مصدر سبق ذكره، ص٨٠.

٢٨. نبيل علي ونادية حجازي، مصدر سبق ذكره، ص (٢٥١-٢٥٤).

٢٩. عبد الحسن الحسيني، تطوير البرامج التعليمية ودور البحث العلمي المحور الرابع، مؤتمر آلية تطوير البرامج التعليمية، ٢٣/٢/٢٠٠٤ www.higher-edu.gov

٣٠. محمد نبيل نوفل، تأملات في فلسفة التعليم الجامعي، دراسة مقدمة إلى المؤتمر العلمي الثاني (بعض قضايا التعليم الجامعي وتحديات العصر) جامعة البحرين، المنامة (٧-٩) مايو / ١٩٩١، ص ١.

٣١. عبد الإله يوسف الخشاب، خالص حسين الأشعب، محتوى التعليم العالي لمواكبة مجتمع المعرفة، بحث مقدم إلى المؤتمر التاسع للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، دمشق، ١٥-١٨/ك١/٢٠٠٣، ص٢٢.

٣٢. علي السيد الشخيبي، مصدر سبق ذكره، ٢-٢١.

٣٣. أفنان نظير دروزة، النظرية في التدريس وترجمتها عملياً، عمان، الأردن، ٢٠٠٠، ط٣، دار الشروق.

٣٤. عبد الإله يوسف الخشاب، خالص حسين الأشعب، مصدر سبق ذكره، ص٢٨.

٣٥. محمد نجيب عبد الواحد وآصف ذياب، المقومات الأساسية لمجتمع المعرفة، ورقة مقدمة إلى المؤتمر التاسع للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، دمشق، ١٥-١٨/ ك١/ ٢٠٠٣، ص١٢.

٣٦. أفنان نظير دروزة، دور المعلم في عصر الإنترنت والتعليم عن بعد، ورقة مقدمة إلى جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، ١٩٩٩.

٣٧. علي السيد الشخيبي، مصدر سبق ذكره، ص٣٢.

38 Cooper, J.L., (1994) Cooperative Learning Critical Thinking, Teacher Psychology, Vol.22, No.1, PP.7-9.

٣٩. عاطف قبرصي، مصدر سبق ذكره، ص٥٦.

طرائق الإنشاء الهندسي في العمارة العربية الإسلامية في العصر العثماني «حلب أنموذجا»

د. وفاء النعسان
جامعة حلب - سورية

الملخص

يلاحظ الباحث في كتب التراث العلمي العربي أن هناك نقصاً كبيراً في المعلومات الهندسية التي تتحدث عن مواد البناء وطرائق الإنشاء الخاصة بالمباني التراثية، فضلاً عن النقص الكبير في بيان المنهجية التي استخدمت في الدراسة لتحديد السماكات والأبعاد، إذ لا يجد الباحث قاعدة أو قانوناً في الدراسة وتحديد السماكات، بل كان يعتمد التقليد والتجربة والنظرة الحسية، وقد توجد بعض الإشارات الهندسية في متون بعض الكتب التراثية تتضمن وصفاً إنشائياً لمنشآت مهمة لفتت انتباه الرحالة والمؤرخين العرب، بالإضافة إلى المعلومات التي تتحدث عن تفاصيل المكونات الهندسية والمواد الرابطة، وتطوّر أساليب البناء والعناصر الإنشائية الحاملة، كالقباب بأنواعها، والأسقف الأفقية والأعمدة والأكتاف الحجرية والجدران والفتحات كالأقواس والأشكال البارزة والشرفات.

يتضمن هذا البحث دراسة هندسية توثيقية وتحليلية لطرائق استخدامات مواد البناء وتقنيات التنفيذ في مبانٍ تراثية تعود للعمارة العربية الإسلامية خلال العصر العثماني، بُغية تحديد مستوى المعرفة الهندسية لدى المهندسين العرب في مجال المكونات الهندسية والجمل الإنشائية للمباني التراثية. ومن هذا التحليل العلمي أمكن التوصل إلى أن العرب كانوا على دراية عملية ومعرفة علمية بالهندسة الإنشائية، سواء أكان ذلك في مجال البناء أم في طرائق الإنشاء، ويُستدل على ذلك بآثارهم الباقية التي تُظهر الكفاءة الكبيرة التي كانت لدى المهندس العربي والخبرة العملية، والمعرفة المكتسبة المورثة من جيل إلى آخر.

١. مقدمة:

إنّ فعالية البناء هي أولى صنائع العمران الحضري وأقدمها. وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل. وقد دأب الإنسان منذ وجوده على هذه المعمورة إلى تأمين المسكن الذي يؤمن له الحماية والأمن والاستقرار. لذا كان لابدّ له من استخدام مواد البناء المتوفرة حوله. فاستخدم أوراق الأشجار وجذوعها كما استخدم الطين إلى أن وصل إلى استخدام الحجارة التي وجد فيها القوة والمتانة والديمومة، كما وفرت له الحماية الأفضل من العوامل الجوية المحيطة به.

٢. أهمية البحث:

إن لهذا البحث أهمية في أنه يكشف عن جانب من المعرفة في التراث العلمي العربي الإسلامي ضمن سياق العلم الهندسي المعاصر. حيث سيتم رصد المكونات الانشائية، والجمل الإنشائية للمباني التاريخية التي تعود للعمارة العربية الإسلامية خلال العصر العثماني، وقد اخترت أمثلة من مبان تاريخية مختلفة الوظيفة تعود إلى العصر العثماني في مدينة حلب كنماذج لإيضاح الدراسة.

٣. الهدف من البحث:

يهدف البحث إلى ما يلي:

- ❖ تحديد سمات وخصوصية التراث الهندسي الإنشائي العربي في مدينة حلب خلال العصر العثماني. وتحليل الخواص الإنشائية لهذا التراث على ضوء العلم الهندسي المعاصر.
- ❖ التعريف بالقيمة التراثية للمنشآت الهندسية في مدينة حلب خلال العصر العثماني. ومحاولة تسليط الضوء على استخدامات مادة الحجارة في بناء هذه المنشآت.
- ❖ التوثيق الهندسي للعناصر الإنشائية المستخدمة في المباني الحجرية في مدينة حلب خلال العصر العثماني.
- ❖ تحديد مواد البناء المستخدمة في العصر العثماني من خلال دراسة بعض المنشآت الهندسية.
- ❖ دراسة أساليب وتقنيات البناء في الأمثلة المدروسة.

سوف يتم في هذا البحث رصد مواد البناء وطرائق الإنشاء للمباني العربية الإسلامية خلال العصر العثماني في مدينة حلب التي اخترتها أنموذجاً لإيضاح الدراسة من خلال الأمثلة الميدانية.

٤. طرائق الإنشاء الهندسي للعمارة التاريخية في المشرق العربي خلال العصر العثماني:

١.٤. نبذة تاريخية عن عمارة العصر العثماني في المشرق العربي (٩٢٢ - ١٣٣٧هـ / ١٥١٦ - ١٩١٨م):

قامت الدولة العثمانية بعد انتصارها على السلاجقة، وعملت على مد سلطانها من آسيا الصغرى إلى البلقان، وما ورائها من أراضي البلغار والصرب، ووصلوا إلى نهر التونة. ثم استولوا أخيراً على القسطنطينية. واستمرت فتوحاتهم إلى الشرق والغرب، فبسطوا سلطانهم على بلاد الجزيرة.

والشام ومصر. وما لبثوا أن اتخذوا لقب الخلافة الإسلامية. وقد خضعت لهم جزيرة العرب. وامتد نفوذهم إلى شمال إفريقية. وزادت هيبة الدولة العثمانية. وازدهرت الفنون فيها. وكانت العمائر الدينية العثمانية في بداية أمرها حلقة انتقال من الطراز السلجوقي إلى الطراز العثماني. ويبدو ذلك في المساجد التي شيدت في القرن الثامن الهجري (١٤) ميلادي[٥]. وقد حافظت مدينة حلب على عناصر الإنشاء المملوكي[٦].

اتجه التوسع العثماني نحو الشرق الأوسط ودام نصف قرن تقريبا. وذلك من عام (١٥١٦م). بدخول السلطان سليم الأول سورية منتصرا في معركة مرج دابق[٧]. ومنذ عام (١٥١٦م) وبعد اندحار المماليك أمام العثمانيين. أصبحت حلب ولاية تابعة للحكم المركزي في الأستانة. وعاشت عصر الاستقرار عدا بعض التظاهرات الغاضبة كتمرد عام (١٨١٨م)[٨]. وقد شهد العصر العثماني في مدينة حلب تطوراً ملحوظاً في بناء المنشآت الهندسية ممثلة في بناء المساجد والمدارس والأسواق والخانات والحمامات والأحياء السكنية والبيوت الخاصة الجميلة. كما أخذت المباني العثمانية تظهر في مدينة حلب بعد الفتح العثماني لها في مطلع القرن السادس عشر. وقد امتزجت هذه المباني مع التقاليد المحلية في البناء حتى وصل البيت الحلبي إلى قمة رقيه في العصر العثماني. وتشهد على ذلك عشرات المباني التي ما تزال قائمة إلى الآن. ويعزى بقاء بعض البيوت الأثرية في مدينة حلب إلى وجود الحجارة الجيدة الصالحة للبناء.

ولإعطاء دراسة تفصيلية عن طرائق الإنشاء الهندسي في المباني التاريخية الإسلامية في المشرق العربي خلال العصر العثماني. اخترت أمثلة من مدينة حلب كنماذج لإيضاح الدراسة. يبين الشكل (١) مناطق التوسع العمراني في مدينة حلب خلال الفترة العثمانية.

٤-٢- بيت وكيل:

٤-٢-١- نبذة تاريخية:

إن البيت العربي في سورية خلال العصر العثماني. ما هو إلا امتداد لحضارات عدة. كان آخرها الأموية والعباسية[٩].

يقع بيت وكيل في حارة السيسي في حي الجديدة بحلب. ويتميز هذا الحي بالحركة التجارية النشطة بسبب انتشار كثير من المحلات التجارية. إضافة إلى وجود دور سكنية موزعة داخل أزقة الحي. وإن مدخلي الدار يقعان في حارة السيسي المفتوحة من طرفيها والتي تستقطب حركة عابرة كما ذكرنا آنفا. يبين الشكل (٢) الموقع العام لبيت وكيل.

البيت مؤلف من أربعة أقسام تحيط بالصحن المزود ببحرة وأحواض للزهور شيدت في فترات زمنية مختلفة. وأقدم قسم من بيت وكيل هو القاعة الواقعة في شمال غرب البيت. ومن هذه القاعة انتزعت الخشبيات الموجودة فيها. وفي الشمال الشرقي من البيت ينتصب بناء مؤلف من طابقين له شرفة في الطابق العلوي مؤرخة عام (١٨٦٦م). وفي الجنوب الغربي والجنوب الشرقي أبنية حديثة أضيفت إلى البيت الأصلي عندما تحول البيت إلى دار للمسنين. ويمكن التعرف على أساسات

طرائق الإنشاء الهندسي في العمارة العربية الإسلامية في العصر العثماني (حلب أنموذجاً)

إيوان قديم في الجدار الخارجي جنوب شرقي البناء المضاف. يوجد قسم من بناء في شمال غربي البيت يلتصق مباشرة بالقاعة. وهو غير مؤرخ ربما يعود إلى أواخر العهد العثماني. يرقى إليه المرء من صحن صغير بواسطة درج. ويعتقد أنه مشيد مكان بناء أقدم كان يحوي مطبخاً في داخله . والبيت هو عبارة عن دارين متصلتين. إحداهما وهي الغربية أحدث من الأخرى. - وهي محفوظة بشكل جيد وتمتاز ببركتها الجميلة ونقوش إيوانها الصغير وزخرفة خشبية للغرفتين المجاورتين للإيوان. - أما الدار الأخرى فقد جدد بناؤها وكانت إحدى قاعاتها الرئيسة تحتوي على الجدران الخشبية الرائعة والشهيرة التي انتزعت وتم شراؤها من عائلة شكري وكيل عام (١٩١٢م). بواسطة السيدة مارتا كوخ الألمانية التي أرسلتها إلى متحف برلين. حيث تعرض حالياً باسم الغرفة الحلبية في جناح الآثار الإسلامية من متحف برغامون في برلين.

تبين دراسة الجدران الخشبية المذكورة أنه تم صنعها عام (١٠١٢ هـ/ ١٦٠٣م) - وكان مالكها الحاج عيسى بن بدروس. وقام بإبداع نقوشها وزخارفها وتصوير أشخاصها وكتاباتها فنان إيراني. حيث نرى الطراز الفارسي في ملامح وجوه الأشخاص المرسومة بإبداع كبير. كالعذراء مريم أو السيد المسيح وتلاميذه. أو القديس جاورجيوس أو إبراهيم الخليل وسواهم. وكانت الدار تستعمل مأوى للعجزة لطائفة الروم الأرثوذكس وهي حالياً مطعم وفندق صغير للسياح[٧].

٢.٢.٤- الوصف الهندسي:

أ - الفناء الأول: يتم الدخول إلى الدار عن طريق ممر ضيق. يفتح على الفناء الداخلي الأول الذي تتوسطه بركة ماء. ويحتوي على مسرح للمنشدين. وأيضاً درجين للصعود إلى الطابق العلوي. وهذا الفناء حالياً مستخدم كمطعم. يحيط به عدد من الغرف مستخدمة كصالات طعام. تبين الصورة (١) الفناء الذي تحيط به عدد من الغرف وحاليا يستخدم الفناء كصالة للطعام.

ب - الفناء الثاني: وتتصل القاعة ببناء الفندق الذي تتوسطه بركة ماء. ويحيط بالفناء عدد من الغرف في الطابقين الأرضي والأول. ويتضمن الفناء درج للصعود إلى الطابق العلوي. وتتميز واجهات الغرف المطلة على الفناء بغناها بالنقوش والزخارف. كما تمت إضافة بعض العناصر الحديثة الخشبية كالأبواب والنوافذ.

ج - الإيوان: يكون الإيوان غني بالنقوش. يفتح على هذا الفناء. متجه نحو الشمال. وهو يعتبر امتداداً للفراغ الداخلي. ويستعمل كإحدى صالات الطعام. وتتميز واجهات الغرف المطلة على الإيوان بغناها بالنقوش والزخارف التي يأخذ بعضها شكل تاج. تبين الصورة (٢) القوس المدبب يعلو الإيوان في دار وكيل. وتبين الصورة(٣) زخارف الأرابيسك والأشرطة الزخرفية التي على شكل تاج تحيط بالواجهات الداخلية في بيت وكيل.

د - قاعة الاستقبال: تتميز القاعة بقبتها المرتفعة والمقامة على عنق ذي نوافذ. إضافة إلى الفتحات الزجاجية الموزعة على سطح القبة. التي تساهم في دخول الضوء. تبين الصورة (٤) القبة المقامة على الرقبة التي تتخللها النوافذ. كما يبين الشكل (٣) مقطعاً طولياً في القاعة الرئيسية في دار

وكيل. كانت القاعة تنار بواسطة نوافذ مستطيلة في الطابق الأرضي وأربع كوى ضيقة في الطابق العلوي مع كوة صغيرة على شكل نجمة كما كان ينشر النور داخل القاعات عبر قمريات القبة التي تأخذ شكل دوائر ونجوم، وتعتبر قاعة بيت وكيل هي نموذج عن القاعات ذات الأذرع الثلاثة. فحول العتبة تصطف الأذرع الثلاثة المتساوية الحجم والمسقوفة بقباب متصلبة، وكان يوجد في الأصل غرف جانبية خلف الأذرع الثلاثة مسقوفة أيضا بقباب متصلبة يدخل المرء إليها عبر أبواب جانبية. ويعتقد أنه كان لها في الأصل طوابق وسطى. وهي غير موجودة الآن وكان يصل الإنسان إليها إما بواسطة درج خشبي أو مدخل جانبي غير مرئي . وقد أغلق المدخل في الوقت الحاضر. والمتطلع الطولي للبناء من الجهة الشمالية الشرقية - مشبك خشبي مزخرف (مشربية). وتوجد المشربية في الطابق الوسطاني.

أما بالنسبة لأرضية القاعة التي كانت في الأصل مؤلفة من سويتين. فقد تحولت باستثناء أرضية الغرف إلى سوية واحدة توازي في ارتفاعها سوية أرض العتبة. وفي الوقت الذي تحول فيه بيت وكيل إلى دار للمسنين استخدمت القاعة لتكون كنيسة صغيرة. بلاط العتبة رخامي ذي زخارف جميلة وتتألف الأرضية من شرائط مرمرية طويلة متقاطعة ذات لون رمادي فاتح تحصر بينها بلاطات رمادية فاتحة وبلاطات زهرية اللون. بالإضافة إلى مقاطع فسيفسائية صغيرة على شكل نجوم.

هـ - القبو: بما أن مستواه تحت الأرض. فهو مكان مثالي للتوازن الحراري على مدار العام. حيث تستقر الحرارة ضمن حدود الاعتدال. وتستعمل غرف القبو في الفترات الشديدة البرودة. أو الشديدة الحرارة والجفاف. والقبو أيضاً خـزان مشبع بالرطوبة صيفا، يمر فيه هواء الملقف المعتدل ليتشبع بالماء. ولينبثق ثانية عبر أرضية السماوي. يرطبه ويرطب الغرف المحيطة به. كما يعتبر القبو ضمن هذه المواصفات المكان المثالي لحفظ المؤن والماء(٨). وحالياً يستخدم جزء من هذا القبو - كمطبخ. وله درج صغير يوصله بالطابق الأرضي مع المطعم الموجود في الفناء عن طريق ركن تحضير موجود في إحدى زوايا الفناء.

و- المغارة: ساعد على حفرها رخاوة التربة الكلسية التي تتميَّز بها مدينة حلب. ومنها يَصل المرء إلى البئر وإلى الصهريج الخاص بالبيت. وتكون على منسوبين. وتستخدم باراً للمطعم. وفيها سرداب تحت الأرض يصل إلى القلعة. لكنه أغلق حالياً.

٤.٣- جامع العثمانية:

٤.٣.١- نبذة تاريخية:

يعتبر جامع العثمانية من الأبنية الكبرى في مدينة حلب. بناها عثمان باشا الدوركي. وهو من عائلة عسكرية نبيلة. استوطنت حلب منذ عهد أبيه عبد الرحمن باشا والي حلب المتوفى سنة (١٦٩٥)[٩]. ويعتبر جامع ومدرسة العثمانية قمة الفن المعماري في هذه الفترة[١٠].

يقع الجامع داخل محلة باب النصر. حي الفرافرة. بدأ بعمارته عثمان باشا سنة (١١٤١هـ/ ١٧٢٨م). وانتهى سنة (١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م)[١١].

ومؤرّخ ذلك على بابها. وقد سماها عثمان باشا بالمدرسة الرضانية. يبين الشكل (٤) المسقط الأفقي للجامع.

حافظ الجامع على بنائه الأصلي لمتانته. ولم تذكر المراجع أعمال ترميم، كما أنها لم تذكر أنه قد تهدّم منه شيءٌ ثمّ أعيد بناؤه، سوى ما جاء عند الغزي أنّه مرّ عليها عدّة زلازل لم يتصدّع منها شيء سوى زلزلة عام (١٢٣٧هـ /١٨٢١م)[١١]. حيث اندفع منها هلال المئذنة فسقط على قمة القبليّة فخرقها. وقد أُصلح هذا الخرق كما يبدو. وقد جرت في عام (١٩٩٨)م أعمال ترميم لهذا الجامع. تمّ فيها ترميم المئذنة باستبدال بعض الحجارة التالفة وبعض صفائح الرصاص المغلفة للقبة فيها. كما تم ترميم الأسقف حول القبلية من الجهة الغربية.

٤-٣-٢- الوصف الهندسي:

أ - **الصحن**: للجامع ثلاثة مداخل (شرقي - غربي - شمالي) تؤدي إلى الصحن. وصحن الجامع كبير، رُصف بالحجارة الصفراء، فيه بركة كبيرة (١٠×١٠م)، بعمق (٧٥سم) مبنية بحجارة كبيرة مربوطة بصبّة من الرصاص والحديد، ويحيط بها سياج حديدي. تبين الصورة (٦) الصحن الذي تحيط به الأروقة وبداخله بركة الماء في جامع - العثمانية.

ب - **القبليّة**: عبارة عن قاعة كبيرة مربعة جدرانها سميكة. توجد في القبلية (١٠) نوافذ مستطيلة يعلوها نجفة مستقيمة فوقها قوس عاتق مصمت على شكل حدوة الفرس المدبب ذي المراكز الأربعة العثماني. يبين الشكل (٥) مقطعاً في قبلية الجامع. كما يبين الشكل (٦) مقطعاً أفقيا في رقبة القبة في قبلية العثمانية. والشكل (٧) يوضح وضع أحجار البناء في العنصر الداعم في أروقة جامع العثمانية[١٢].

يسقف القبلية قبّة كبيرة نصف كروية قطرها (١٤)م، وسماكتها (٤٠)سم. تستند القبة على رقبة أسطوانية فيها (١٦) نافذة صغيرة يعلو كلاً منها قوس موتور ويتقدّمها شرفة. وقد كُسيَت القبة من الخارج بصفائح من الرصاص بسماكة (٥)مم. ودُعمت الرقبة بأقواس تدعيم خارجيّة هي عبارة عن (٨) دعامات في كل زاوية من زوايا القبلية الأربع دعامتان. كما هو موضح في الصورة (٤). تستند الرقبة إلى جدران سميكة والجدران عبارة عن كتل حجرية ضخمة. وفي كل جدار (٣) نوافذ عدا الجدار القبلي ففيه نافذتان على جانبي المحراب. والانتقال من الشكل المربّع إلى الشكل الدائري يتم عن طريق المثلثات الكروية. بينما يستقف أواوين النوافذ قبوٌ متطاول. في القبلية محراب بسيط ضمن إطار يبرز قليلاً عن الواجهة يعلو تجويفه قوسٌ مدبّب. للقبلية (٤) سدات تقع ضمن تجويف الجدار ويبرز جزءٌ من السدّة فوق الباب فوق ظفرين كبيرين حجريين. وفي كلّ منهما نافذة كبيرة يعلوها قوس موتور. وفي جداري كلّ من السدّة الغربية والشرقية باب.

ج - **الأروقة**: يتقدّم القبليّة رواق ويحيط بالباحة من جهاتها الثلاث الباقية أروقة. يتكون الرواق الشمالي (أمام القبلية) من ثلاثة أقسام يؤدّي الأوسط منها إلى القبليّة. ويرتفع كلٌّ من القسمين الطرفيين فوق مسطبة. ويتقدمه (٣) أقواس مدبّبة ترتكز على (٤) أعمدة مقرنصة كما هو مبين في الصورتين (٨) و(٩). ويسقفه

ثلاث قباب منخفضة مكسية من الخارج بصفائح من الرصاص كما هو مبين في الصورتين (١٠) و(١١). والانتقال من الشكل المربّع إلى الدائري يتم عن طريق المثلثات الكروية كما هو مبين في الصورة (١٢). أمّا الرواقان الشرقي والغربي فينقسم كلٌّ منهما بواسطة أقواس مدبّبة إلى (١١) جزءاً يتقدّمها (١١) قوساً ترتكز على (١١) عموداً وجداراً. يسقف كلاً من الرواقين (١١) قبة منخفضة مكسية بصفائح الرصاص. والانتقال من الشكل المربع إلى الدائري يتم عن طريق مثلثات كروية. ويسقف الدهليز المؤدي إلى المكتبة وصالة الاجتماع في الغرب ثلاثة أقبية متقاطعة من الحجارة المنحوتة ترتكز على أظفار مقرنصة. ويسقف الدهليز الذي يلي الرواق في الجهة الشرقية ثلاثة أقبية متقاطعة. أمّا الرواق الذي يطلّ على الحديقة الخلفية فقد قسم بواسطة أقواس إلى (٦) أقسام يسقف كلاً منها قبّة صغيرة منخفضة. والانتقال من الشكل المربع إلى الدائري يتم عن طريق المثلثات الكروية. قُسِّمَ الرواق الجنوبي بواسطة أقواس مدبّبة إلى (١٣) جزءاً يتقدمها (١٣) قوساً مدبّباً ترتكز على (١٤) عموداً. ويسقفه (١٣) قبّة منخفضة فوق مثلثات كروية.

د - المئذنة: مضلّعة الشكل مبنيّة بحجارة مربوطة بكلاليب من الحديد والرصاص. وتقوم على قاعدة مكعبة. يقدّر ارتفاع بدنها من أرض الجامع حتى الشرفة (٣٠م). وتضمّ (١١٨) درجة. وهناك في أسفل البدن إفريز من الحجر الأسود. فوقه مزررات باللونين الأبيض والأسود. والشرفة مكشوفة تقع فوق ثلاثة صفوف من المقرنصات. ويحيط بها سياج من البرامق الحجرية. ويستمر البدن بقطر أصغر لينتهي في الأعلى بصف من المقرنصات فوقه قبّة مخروطية رصاصية.

هـ - الواجهات:

❖ **الواجهات الخارجية:** جاءت الواجهات الخارجية للجوامع العثمانية بسيطة خالية من الزخارف(١٤). تتألف الواجهة الغربية من مقطع لقوس يحد الجادّة الغربية. يليه (٦) نوافذ يعلو كل منها قوس موتور مزرر تطلّ على الحديقة الخلفية. يلي ذلك جدار مصمت يتدرّج في الارتفاع باتجاه الشمال تبعاً لميل الشارع. ثمّ بوابة المدخل الغربي وهو إيوان على طرفيه مكسلتان مرتفعتان يتقدّمه قوس مدبب كما مبين في الصورة (١٣). وفيه باب كبير يعلوه قوس موتور مزرر ترتفع واجهة البوابة عن باقي الواجهة حولها. ويتوّج الواجهة إفريز يصبح أكثر ارتفاعاً فوق البوابة. أما الواجهة الجنوبية فتتألف من قوس موتور مزرر. يتقدم الجادة الغربية يليه (١٦) نافذة تطلّ على الحديقة الخلفية يعلو كلاً منها قوس موتور مزرر. يليها واجهة المكتب وفيها نافذتان كبيرتان يعلو كلاً منهما قوس موتور مزرر. وفي الأعلى قبّة مكسية بالرصاص فوق رقبة أسطوانية فيها نوافذ. يليها واجهة السبيل وهي عبارة عن فتحة كبيرة يعلوها قوس كبير مدبب، ويتم إلغاء الزاوية في نهاية الواجهة بواسطة مقرنص كبير. كما تتألف الواجهة الشرقية من واجهة السبيل. ويبدأ بالمقرنص الزاوي. ثم قوس كبير مدبب. يليه باب يعلوه قوس موتور مزرر. يليه جدار مصمت يتدرّج بالارتفاع تماشياً مع ميل الشارع. يعلوه إفريز. يليه المدخل الشرقي الذي يتألف من بوابة قليلة العمق ترتفع عن الواجهة حولها. في البوابة باب كبير يعلوه قوس موتور مزرر فوقه لوحة مستطيلة. وقد

طرائق الإنشاء الهندسي في العمارة العربية الإسلامية في العصر العثماني حلب نموذجاً

بنيت البوابة من الحجر الأصفر المنحوت جيداً.

❖ الواجهات الداخلية: تتألف الواجهة الشمالية من واجهة رواق يتقدّمه ثلاثة أقواس مدبّبة ترتكز على أربعة أعمدة مقرنصة كبيرة ومرتفعة فوق مسطبتين على طرفي مدخل القبلية. خلفها واجهة القبلية، وتتألف من مدخل على شكل إيوان صغير يتقدّمه قوس مدبب ويسقفه نصف قبو مربّع فيه باب القبلية ويعلوه قوس موتور مزرر فوقه لوحة كتب فيها نص قرآني مؤرخ بسنة (١١٤٢هـ) وفوق بوابة المدخل نافذة كبيرة مستطيلة يعلوها نجفة مستقيمة فوقها قوس عاتق حدوة الفرس المدبب ذو المراكز الأربعة. فوق الرواق ثلاث قباب نصف كروية خلفها قبّة القبليّة. يلي ذلك في كلا الطرفين واجهة إيوان يتقدمه قوس كبير مدبّب سُدَّ فراغه بمنجور خشبي. وفوق جدار الإيوان الغربي المئذنة. أما الواجهة الجنوبية فتتألف من واجهة رواق فيها (١٣) فتحة يعلو كلا منها قوس مدبب. وخلف الرواق بدءاً من الشرق جدار مصمت فوقه مزولة. يليها جدار يضم فتحات يمكن أن نقسمها إلى (٧) مجموعات تتألف كل منها من نافذة وباب يعلو كلا منهما قوس موتور. يليها قوس مدبب فيه باب دورات المياه ثم مجموعتان تتألف كل منهما من نافذة وباب، ويتوجها في الأعلى (١٣) قبّة نصف كروية مكسوّة بصفائح الرصاص وفي الوسط واجهة المدخل الشمالي، وهي مرتفعة تضم نافذة. كما تتألف الواجهة الشرقية من واجهة رواق فيها (١١) قوساً مدبّباً ترتكز على (١١) عموداً مقرنصاً صغيراً وجداراً. وخلفها واجهة المدخل ويعلوه قوس موتور. يليها شمالاً واجهة (٤) غرف وجنوباً (٥) غرف تضم واجهة كل غرفة نافذة وباباً يعلو كلاً منها قوس موتور.

٤.٤. خان خايـــر بك:

١.٤.٤. نبذة تاريخية:

يقع هذا الخان في مدينة حلب داخل أسوار المدينة القديمة، غرب القلعة، في المنطقة العقارية السابعة، حي الفرافرة (سويقة علي) كما هو موضح في الشكل (٨). ويعتبر هذا الخان من أكثر الخانات شهرة في حلب، بنى هذا الخان الأمير خاير بك بن مال باي بن عبد الله الجركسي الأشرفي عام/ ٩٢٨/هـ(١٥)، وهو آخر الأمراء المماليك بحلب١٦، وأول الولاة العثمانيين على مصر. الذي خان السلطان قانصوه الغوري عندما انحاز إلى معسكر السلطان العثماني سليم الأول في معركة مرج دابق عام / ١٥١٦/ م. وسمي خائن بك. وقد عين فيما بعد والياً للسلطنة العثمانية على مصر. لذلك يعد هذا الخان مخضرماً بين الفترتين العثمانية والمملوكية.

٢.٤.٤. الوصف الهندسي:

أ. المدخل: يقع في الجهة الغربية من الخان. وهو ذو بوابة جميلة عليها كتابات ونقوش غاية في الإبداع. أما واجهة المدخل الخارجية فهي عبارة عن قوس مدبب منفذ بمداميك متناوبة اللونين (الأصفر والأسود) معشقة على جانبي البوابة بعض النوافذ الصغيرة المرتفعة حتى مستوى الطابق العلوي، كما هو موضح في الصورة (١٤). والباب ضخم محاط بقوس مدبب أصغر من القوس المدبب الموجود في البوابة. ويستعمل فارق القطرين لتزيين المدخل. وتمتد حجارة قوس المدخل إلى داخل الخان مشكلة قبوه متقاطعة تتوسطه زخرفة دائرية الشكل. أما مصراعا الباب فتأخذان شكل القوس المدبب.

وهو من الخشب المصفح بالحديد بواسطة مسامير حديدية كبيرة على شكل مسدسات. واحد مصراعي الباب يحتوي على (خوخة) لدخول الأفراد ليلا إلى الخان.

ب - الفناء الداخلي: يلي المدخل، وهو فناء واسع، مستطيل الشكل تقريبا تصل مساحته إلى/ ٨٠٠/م٢ يتوسطه بركة ماء والنباتات والأشجار لتلطيف الحرارة وإعطاء منظر جميل. أما كبر مساحة الفناء تساعد على تأمين النور والهواء للحجرات المحيطة به. كما هو موضح في الصورة (١٥).

أما بالنسبة لأرضيات باحة الخان فقد تم رصفها بالحجارة الكلسية الصفراء بسماكات لا تقل عن١٢سم ومازالت بعض أجزاء من بلاط الباحة على وضعه الحالي وتم ملء الفراغات بمونة مصنوعة من الغضار والكلس.

ج - الرواق: يحيط بالفناء في كلا الطابقين الأرضي والأول. ولقد عانى الرواق في الطابق الأرضي من جشع أصحاب المحلات إلى أن تم ضمه إلى محلاتهم. أما رواق الطابق الأول فما زال محافظا على وضعه كما كان.

د - الإسطبل: نصل إليه بالانتقال من الفناء عبر رواق مسقوف يتمحور مع المدخل إلى فسحة داخلية صغيرة. تتوزع حولها عدد من الحجرات وعلى طابق واحد فقط. كانت فيما مضى تستعمل إسطبلا.

هـ - المسجد: كان يوجد سابقاً في الفناء، سقفه قبو متقاطع، مستند على أربعة ركائز حجرية ضخمة في زواياه الأربعة.

و - الطابق الأول: يتكون من حجرات موزعة حول الفسحة يتقدمها رواق. - كانت تستعمل للنوم، وما زال الطابق الأول محافظا قدر الإمكان على وضعه الأصلي حيث إنه لم يتعرض لتشويهات أو تعديلات كما في الطابق الأرضي.

٣.٤.٤. مواد البناء والجمل الإنشائية المستخدمة في الخان :

أ - الجدران: استخدمت الأحجار المنتظمة في تنفيذ الواجهات الداخلية والخارجية للخان. واستخدمت الأحجار الملونة بالأصفر والابيض والأسود لتزين الواجهات. جدران الخان مبنية من الحجر الكلسي الأبيض المشذب والمنحوت بدقة وعناية - وبسماكات كبيرة نسبياً لا تقل عن /٨٠/ سم. أو من الغضار العادي أو المشوي. ويمتاز الخان بواجهة المدخل من الخارج والداخل والتي تم إنشاؤها من الحجارة الكلسية الصفراء والبازلتية السوداء وبشكل متناوب. أما الزخارف الهندسية والرنوك والكتابات فقد تم نقشها جميعاً على الحجر الكلسي. أما زريقة الجدران فقد كانت عبارة عن زريقة بيضاء مصنوعة من مادة القصرمل. وقد تم قشرها أو سقوطها في كثير من الأماكن واستبدالها بالزريقة الإسمنتية الحديثة وبالأخص داخل المحلات التجارية.

ب - الأسقف: استخدم في تسقيف الفتحات في الخان أنواع مختلفة من الأسقف. فهناك الأقبية المتقاطعة باتجاهين والتي غالبا ما تغطي الفتحات المربعة. ونرى هذه الأسقف في أسقف الأروقة، وأسقف محلات الطابق الأرضي. أما سقف المسجد القديم فهو عبارة عن أقبية متقاطعة تستند على أربع ركائز حجرية. والمسجد

الجديد عبارة عن قبو سريري ذي اتجاه وحيد. كما في الصورتين (١٦) و(١٧).

ج - **الأكشاك**: تبرز في الجزء فوق المدخل من الجهة الداخلية والخارجية وهي عبارة عن صالة ذات سقف خشبي وأعمدة دائرية كما في الصورة (١٨). والإنارة عن طريق نوافذ علوية.

د - **الفتحات**: استخدمت الأقواس الصغيرة لتختيم النوافذ والأبواب. كما استخدمت الجوائز ذات القطعة الحجرية الواحدة لتختيم النوافذ.

هـ - **الأعمدة**: استخدمت الأعمدة الضخمة ذات المقطع المربع بأبعاد ٨٠×٨٠ سم والمبنية باستخدام قطع حجرية صغيرة مترابطة بالمونة الكلسية ونجد هذه الأعمدة على محيط الساحة ومهمتها حمل أروقة الطابق الأرضي والأول كما في الصورة (١٩). وتبين الصورة (٢٠) الأقواس الموتورة التي تشكل فتحات الجدران للخان. كما تبين الصورة (٢١) الأعمدة المربعة المقطع في الطابق الأول للخان.

٥ - النتائج والمناقشة:

كان الهدف من هذا البحث تحديد سمات وخصوصية التراث الهندسي العربي الإسلامي خلال العصر العثماني. وتحليل الخواص الإنشائية لهذا التراث على ضوء العلم الهندسي المعاصر. والتعريف بالقيمة التراثية لها. والتوثيق الهندسي للعناصر الإنشائية المستخدمة. وتحديد مواد البناء ودراسة أساليب وتقنيات البناء المستخدمة في مبان تاريخية عربية إسلامية تعود إلى العصر العثماني. وقد أمكن تحقيق الهدف بوساطة أمثلة لمبان تراثية في مدينة حلب ذكرت في كتب تراثية. وبالرصد المكتبي. وبالمسح الميداني أيضاً أمكن التوصل إلى دراسة وصفية تحليلية ضمن إطار هندسي. وهذه الأمثلة المدروسة في مدينة حلب تعود إلى العصر العثماني.

ويمكن تلخيص نتائج البحث حسب المواضيع التي جرت مناقشتها في الآتي:

❖ تبين من نتائج البحث طابع المعمار العربي المسلم خلال العصر العثماني. وانعكاس بيئته وأفكاره ومعتقداته على أعماله. حيث أسهمت طبيعة المنطقة الجغرافية في تكوين المظهر العام والسمات التفصيلية للمباني التراثية وأساليب البناء.

❖ إن تطور إنشاء المباني التراثية خلال العصر العثماني كان وفقاً لتوافر مواد البناء. وتنوع طرائق الإنشاء. إذ إن المعمار العربي المسلم استفاد من كافة الموارد الطبيعية المتوافرة في المنطقة كمواد أساسية في إنشاء مبانيه. فاستخدم كافة أنواع الحجارة المتوفرة في المنطقة في بناء الأساسات. والأسقف والجدران والعقود والقباب والمآذن. كما استخدم الأخشاب واللبن (الغضار). ومن الطبيعي أن تكون المباني المشيدة بالحجر أكثر بقاء على مر العصور. وأكثر متانة من مباني الخشب واللبن.

❖ بينت نتائج البحث أن البنائين العرب المسلمين خلال العصر العثماني امتازوا ببراعة في الهندسة الإنشائية لا تقل عن براعتهم في الهندسة المعمارية. حيث تبين من خلال التوثيق المكتبي. والرصد الميداني. وجود نماذج من المنشآت التراثية العثمانية تميزت بالدقة في الإنشاء. والمهارة في البناء. واستعمال العناصر الإنشائية إضافة للعناصر الزخرفية التي وظفت لخدمة العمارة الإنشائية. وهذا يدعو إلى التفكير

بإيجاد صلة قوية بين الهندسة الإنشائية، والعمارة التزيينية، والمواءمة بينهما للوصول إلى تكوين متين وجميل ورشيق، وألا يكون العنصر الزخرفي دون فائدة إنشائية، بحيث يكون لكل حركة زخرفية معنى إنشائي، وذلك باستعمال المواد المتوافرة، وتطييعها للتعبير عن الهدف الجمالي والإنشائي المقصود.

❖ تعتبر المنشآت التراثية الإسلامية المشيدة خلال الفترة العثمانية، كنتاج عمل معماري إنشائي ناتج عن العديد من التجارب المعمارية، والفنية التي قام بها المهندسون المسلمون، فالمبنى يجمع بين العناصر الإنشائية العربية والإسلامية بأسلوب إنشائي مميز، حيث استخدموا تصاميم مختلفة في إنشاء هذه المباني: فالمهندس المسلم يضع كل حجر - في تصميم المبنى الإسلامي في المكان الذي ينبغي أن يحتله والذي لا تحدده سوى اعتبارات معيشية وحرارية، واعتبارات تمس العادات والتقاليد، خالقا بذلك منشآت تراثية يطغى دائماً عليها الاستخدام الوظيفي المنطقي الذي يضفي عليها جمالا مختلفا عن الجمال الكلاسيكي.

❖ أبدع المعمار العربي المسلم في العصر العثماني بالزخارف والنقوش في استنباطها وتنوعها، وكان لها تأثيرا مباشرا على النقوش في العمارة الإسلامية في البلاد الإسلامية المجاورة لها.

❖ استخدمت الجوائز الحجرية والخشبية الأفقية المستندة على أعمدة أو جدران المباني التراثية في تغطية الفتحات.

❖ يبدو أن معرفة مقاومة العناصر الإنشائية لدى البنائين المسلمين العرب خلال العصر العثماني قد اعتمد على مبدأ التجربة والخطأ، والحس السليم والمهارة والخبرة، والمعرفة المكتسبة والمورثة من جيل إلى آخر، وهذا مما يفسر انتشار استعمال الأسقف والأقواس والعقود والقباب والجدران والمآذن، والعناصر الزخرفية.

❖ أدّى اختلاط العرب بالشعوب الأخرى نتيجة الفتوحات الإسلامية - إلى مشاهدة الطرز الهندسية المختلفة، فاكتسبوا منها خبرة إنشائية، كالطرز الإنشائية - الموجودة في بلاد الشام والأناضول، وتركية وإيران: فتأثروا بها، وطوروها وأضافوا عليها، فبدأت مبان خاصة بالظهور تحمل طابعا إنشائيا، ولمحات فنية مبتكرة، اعتمد البناؤون المسلمون العرب في ذلك الوقت على الحس السليم، والتحليل المنطقي والخبرة والتجربة في تصميم وتنفيذ المنشآت في مجال مواد البناء وطرائق الإنشاء.

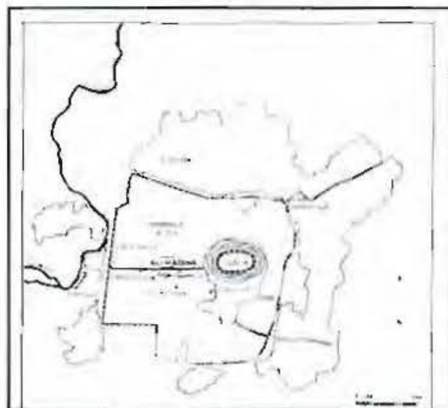
❖ إن المباني التراثية التي ما زالت باقية حتى اليوم تدل على خبرة المصممين والبنائين العرب المسلمين ومهاراتهم. - ومن خلال دراسة المنشآت التراثية العثمانية الموجودة من خلال الأمثلة الواردة في البحث يمكن استنتاج الكفاءة العلمية التي كانت لدى المهندس العربي المسلم.

❖ ومما سبق ومن خلال البحث والرصد لطرائق الإنشاء الهندسي في المنشآت التاريخية العربية الإسلامية في مدينة حلب والتي تعود إلى العصر العثماني نخلص إلى الجدول التالي رقم(١):

جدول رقم (1) يبين دراسة العناصر الإنشائية والمكونات الهندسية للعمارة التاريخية الإسلامية خلال العصر العثماني:

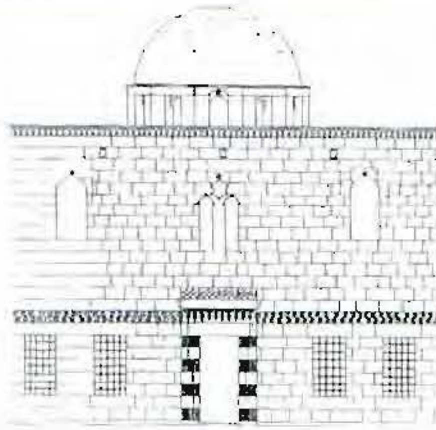
العناصر الانشائية				العصر العثماني
الأسقف	الأسقف المستوية	الأسقف الخشبية		شاع استخدام القطع الخشبية [جذوع وأغصان الأشجار] على نطاق واسع، خاصة في الأبنية البسيطة بالأبعاد الصغيرة نسبيا كغرف المباني السكنية.
		الأسقف البروفيلية		شاع استخدام البروفيلات الفولاذية في بناء الاسقف للمباني التراثية خاصة في الأحياء الانتقالية بين القديم والحديث التي بنيت في العصر العثماني في المشرق العربي على نطاق واسع.
		الأسقف الحجرية		استخدمت الأسقف الحجرية المستوية على نطاق محدود.
	الأسقف المقبية	القبو المتطاول		شاع استخدام القبو المتطاول لتغطية المساحات المستطيلة المستندة على الجدران بشكل واسع.
		الأقبية المتقاطعة		شاع استخدام الأقبية المتقاطعة في معظم المنشآت التراثية على نطاق واسع.
		الأقبية الجمالونية		وجدت الأسقف الجمالونية في بعض المنشآت التراثية العامة .
		القباب	الشكل	أصبحت القباب الكروية الشكل والقبيبات هي العنصر الشائع في التغطية، وحلت محل السقوف الجمالونية أو الأقبية المعقودة.
			الرقبة	غطيت معظم القباب بصفائح الرصاص .
			طريقة الانتقال من الدائرة الى المربع	تمت طريقة الانتقال من الدائرة إلى المربع بواسطة المثلثات الكروية بشكل رئيسي، كما استعمل المثلثان الهرميان والمقلوبان، كما شاع استخدام الحنايا الركنية والمقرنصات على نطاق واسع .
			تغطية القبة	غطيت معظم القباب في المساجد العثمانية بصفائح الرصاص .
الجدران				شاع استخدام الجدران الضخمة المبنية من الحجارة الكلسية (المشذبة و غير المشذبة) من المقالع الحجرية المنتشرة بكثرة حول مدينة حلب بسمكات كبيرة، كما وجدت الجدران القرميدية كما في بلاد ما بين النهرين، كذلك استخدمت الجدران الخشبية في بناء المشربيات (الأكشاك الخشبية) على نطاق واسع خاصة في مباني الأحياء الانتقالية في العصر العثماني.
الفتحات في الجدران				كثر استخدام النوافذ المستطيلة، والمعقودة بكثرة في الفتحات في الجدران.

الدعائم والأعمدة		شاع استخدام الدعائم الضخمة لحمل القباب الكبيرة المركزية. كما تنوعت اشكال مقاطع الأعمدة. فهناك المستطيلة والمربعة اللتان استخدمتا على نطاق واسع، وهناك الأعمدة الدائرية المنتهية بتيجان مقرنصة بأشكال لم تعرف من قبل. وظلت المقرنصات بشكل عام عنصرا لا يستغنى عنه في عقود بوابات المباني العامة واحيانا في زوايا القباب من اجل تامين الانتقال بين المستويات المختلفة. كما شاع استخدام العمود المضلع ذو القنوات الشاقولية.
الأقواس والعقود		استخدم القوس المدبب (المولف من جزاين الراسي مستقيم والسفلي محدب)، والقوس المدبب ذو المراكز الاربعة (عثماني). كما استخدم قوس حدوة الفرس المدبب ذو المراكز الأربعة. إضافة إلى القوس الموتور، والموتور المزرر. والأبلق المتدرج، كما استخدمت النجفة المستقيمة، والعقد المركب. والعقود الركنية، اضافة الى التوامى، والثلاثى والمركب المزدوج والمفصص والعاتق.
المآذن		انتشر استخدام المآذن الرفيعة، الرشيقة، الشاهقة الارتفاع. كما شاع استخدام المآذن الأسطوانية، والمضلعة (8) اضلاع او (16) ضلعا، وغدت المئذنة متعددة الشرفات بشرفة تستند الى قوائم او مقرنصات، الشرفة مغطاة بمظلة خشبية، ثم نهاية مخروطية مصفحة بالرصاص.
مواد البناء	الحجارة	استخدمت الحجارة الكلسية فى المنشات التراثية على نطاق واسع. بينما استخدم الرخام على نطاق محدود. كما استخدمت الحجارة البازلتية والغرانيتية والجيرية والحلان في بعض المنشات التراثية.
	الآجر	استخدم في المناطق التي لم يتوفر فيها الحجارة خاصة بلاد ما بين النهرين. بل توفرت التربة الجيدة لصنع اللبن (القرميد).
	الخشب	استخدم الخشب بكثرة فى بناء الاسقف المستوية. كما استخدم في بناء المشربيات على نطاق واسع.
	الحديد	استخدمت البروفيلات الفولاذية في بناء الاسقف المستوية في بعض المنشات التراثية.
	المواد الرابطة بين الحجارة	استخدمت المونة الكلسية وكانت من اهم المواد الرابطة بين الحجارة، إضافة إلى مادة القصرمل (مخلفات رماد الأفران) . كما استخدمت مونة الجير والرمل والحمرة، استخدم الرابط الحجرى، والكلاليب الحديدية، اضافة الى الرصاص المصهور.
العناصر الزخرفية		استخدمت المزررات باللونين (الابلق) على مداخل المنشات التراثية على نطاق واسع. كما شاع استخدام الاشرطة الكتابية والزخارف الكتابية (النصوص القرانية، النصوص الكتابية). كما استخدمت الزخارف النباتية على نطاق واسع فى معظم المباني التراثية، كذلك استخدمت الزخارف الهندسية وزخارف الارابيسك. كما شاع استخدام اسلوب الزخرفة على العقود. او افاريز مستطيلة، او مربعة على الواجهة. كما شاع استخدام المقرنصات على نطاق واسع في معظم المساجد التراثية، بالاضافة إلى استخدام القاشاني والعجمي والنقوش الجصية والخزف.

	
الشكل (1) مناطق التوسع العمراني خلال الفترة العثمانية في مدينة حلب (من مديرية الآثار والمتاحف بحلب)	الشكل (2) الموقع العام لدار وكيل في حي الجديدة بحلب(من مديرية الآثار والمتاحف بحلب)
	
الصورة(1) الفناء تحيط به الغرف والمستخدم حالياً كصالة طعام في دار وكيل(من عمل الباحثة)	الصورة(2) القوس المدبب بطو الايوان في دار وكيل (من عمل الباحثة)



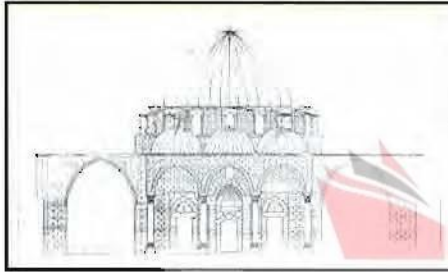
الصورة(3)زخارف الارابيسك والاشرطة الزخرفية التي على شكل تاج تحيط بالواجهات الداخلية في بيت وكيل (من عمل الباحثة)

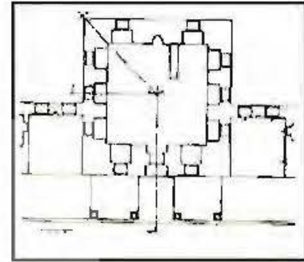




الصورة(4) القبة المتوضعة على الرقبة التي تتخللها النوافذ لقاعة الاستقبال في دار وكيل (من عمل الباحثة)

الشكل (3) مقطع طولي في القاعة الرئيسية في دار وكيل (من مديرية الاثار والمتاحف)





الشكل (4) المسقط الافقي لجامع العثمانية بحلب (نقلا عن سوفاجيه)

الشكل (5) مقطع في قبلية جامع العثمانية(مديرية الاثار والمتاحف)





الصورة (6) الصحن في جامع العثمانية وبداخلها بركة الماء وتحيط به الاروقة (من عمل الباحثة)

الصورة (7) القبة النصف كروية التي تغطي قبلية العثمانية وتستند على الرقبة المدعمة بأقواس التدعيم (من عمل الباحثة).



الصورة (8) الأعمدة المقرنصة في أروقة جامع العثمانية (من عمل الباحثة).



الصورة (9) الأعمدة المقرنصة في أروقة جامع العثمانية (من عمل الباحثة).



الصورة(10) القباب النصف كروية تعلو أروقة العثمانية (من عمل الباحثة)



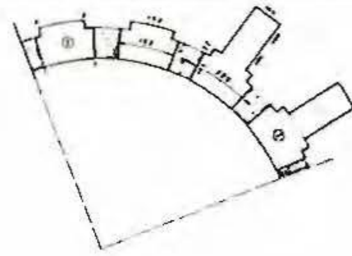
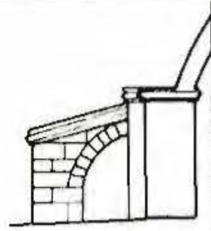
الصورة (11) القباب النصف كروية تعلو أروقة العثمانية (من عمل الباحثة)



الصورة (12) الانتقال بالمثلثات الكروية في أروقة جامع العثمانية (من عمل الباحثة).



الصورة (13) القوس المدبب يعلو احد مداخل العثمانية (من عمل الباحثة).

	
الشكل (6) مقطع افقي في رقبة القبة في قبلية العثمانية	الشكل (7) توضع احجار البناء في العنصر الداعم في اروقة جامع العثمانية
موقع خان خاير بك خان خاير بك — الجامع الاموي قلعة حلب — الشوارع المحدثة	
الشكل (8) مخطط يوضح موقع الخان في حلب القديمة (من مديرية الآثار والمتاحف بحلب بتصرف)	
	
الصورة (14) مدخل خان خاير بك (من عمل الباحثة)	الصورة (15) الفناء الداخلي للخان (من عمل الباحثة)

	
الصورة (16) سقف المسجد العلوي ويظهر فيه القبو السريري (من عمل الباحثة)	الصورة (17) القبو السريري يعلو سقف المسجد في الخان (من عمل الباحثة)
	
الصورة (18) السقف الخشبي يعلو الكشك في الخان (من عمل الباحثة)	الصورة (19) الأعمدة الدائرية الداخلية داخل الكشك في الخان(من عمل الباحثة)
	
الصورة (20) الاقواس الموتورة تشكل فتحات الجدران في الخان(من عمل الباحثة)	الصورة (21) الاعمدة المربعة المقطع في الطابق الاول للخان (من عمل الباحثة)

المصادر والمراجع

١ - الأسدي خير الدين. ١٩٩٠ - أحياء حلب وأسواقها. ط٣. تحقيق عبد الفتاح - قلعجي. دار قتيبة. دمشق. ٦٣٤ - صفحة.

٢ - حجار عبد الله. ١٩٩٠ - معالم حلب الأثرية. منشورات جامعة حلب. وجمعية العاديات بحلب. صفحة ٤٢.

٣ - حريتاني محمود. ٢٠٠٦ - حلب والسلطنة العثمانية. منشورات شعاع للنشر والعلوم بحلب. ٨٨ صفحة.

٤ - الخضر عبد المعطي. ١٩٩٠. تاريخ العمارة. مطبوعات جامعة حلب. الجزء الثالث. ٣٥٦ صفحة.

٥ - ريحاوي عبد القادر. ١٩٧٩ - العمارة العربية الإسلامية وآثارها في سورية. وزارة الثقافة بدمشق. سورية. - ٢٥٣ صفحة.

٦ - زين العابدين محمود. ١٩٩٨ - جولة تاريخية في عمارة البيت العربي والبيت التركي. الطبعة الأولى. مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض. السعودية. ٢٠٥ صفحة.

٧ - سلقيني محي الدين - العمارة البيئية. دار قابس. سورية.

٨ - سوفاجيه - حلب. ص ١٧٢.

٩ - شعث شوقي. ١٩٩١ - حلب تاريخها ومعالمها التاريخية. منشورات جامعة حلب. الطبعة الثانية. ٣٣٦ صفحة.

١٠ - الطباخ محمد راغب. ١٩٨٨. إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء. دار القلم العربي بحلب. ٧ أجزاء. ٣٦٧٨ صفحة.

١١ - طلس - أسعد. ١٩٥٦ - الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب. مديرية الآثار العامة بسورية. ٣٩٠ صفحة.

١٢ - عثمان نجوى. ١٩٩٢. الهندسة الإنشائية في مساجد حلب. منشورات جامعة حلب. معهد التراث. ٦٨٠ صفحة.

١٣ - الغزي كامل. ١٣٤٢هـ - نهر الذهب في تاريخ حلب. المطبعة المارونية بحلب. سورية. ٣ أجزاء. ٢٠١٧ صفحة.

١٤ - غونيلا يوليا. حلب في القرن السابع عشر (البيت الحلبي). ترجمة محمد وحيد خياطة.

١٥ - النعسان وفاء. ١٩٩٩. تحليل العناصر الإنشائية للمباني في التراث العلمي العربي في سورية. رسالة دكتوراه. معهد التراث العلمي العربي بحلب. سورية. - ٣١٥ صفحة.

١٦ - الأسدي خير الدين. ١٩٩٠ - أحياء حلب وأسواقها. ط٣. تحقيق عبد الفتاح قلعجي. دار قتيبة. دمشق. صفحة ٣٤٦.

Constructional Engineering Methods In Arabic Islamic Architecture in Ottoman age

Modules From Aleppo City

Wafaa Alnassan

Department of the History of Applied Science

Institute for the History of Arabic Science

University of Aleppo

Abstract

- The main objective of my research is to apply scientific methods and analyze the structural elements of selected historical Islamic buildings existed in Ottoman age, or described in the old scientific Scottish Literature. This requires observation and analyses of engineering components, such as building materials, bonding materials, and all structural elements.

- In this research the construction elements and its development, such as domes, intersecting vaults, trusses, roofs, columns, walls, wall openings, arch, and open galleries, protruding elements and balconies, has been analyzed and studied carefully.

- As the result of this study, we can conclude that, the Muslim Arabic engineers were equipped with scientific knowledge particularly in constructional engineering methods, building materials, and all structural elements of the historical buildings, to understand their durability until now despite of their age and environmental changes.

Therefore the Muslim Arabic engineers of that age were have highly skilled, and wide practical experiences, so their monuments of buildings could last up to present days, either such as palaces, forts, mosques, tombs, and bazaars. Which indicate that they have inherited their know how and - scientific knowledge from their ancestors and add a lot of developments during their period to bring buildings with specific characteristics of their generation.

كتاب القوافي وعللها
لأبي عثمان المازني (ت 248هـ)

كتبه بخطه: أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد

(ت ٢٨٥هـ)

كتاب القوافي وعللها لأبي عثمان المازني (ت٢٤٨هـ)



تحقيق :

أ. د. حنا بن جميل حداد

جامعة اليرموك - الأردن

تقديم

هذا كتابُ «القوافي وعللها» لأبي عثمان المازني أعلم البصريين بالنحو العربي بعد سيبويه. أقدّمه اليوم لعشاق التراث العربي وليس لي من فضل أدّعيه إلا أنني جردّته من كتاب «الفصوص» لأبي العلاء صاعد بن الحسن اللغوي بعد أن كان جزءاً منه تائهاً في بحره. فقمت بتحريره من قيده وتخليصه مما علق به من الزوائد. فرتبت مادته وأضفت إلى تخريج شواهده بعض المصادر التي لم يتهيأ لمحقق الكتاب الأم الاطلاع عليها. ثم قدّمت له بما يكشف عن علاقته بأبي العباس المبرد وكتابه «القوافي وما اشتقت ألفاظها منه». ولست من بعد. أدّعي أنني صاحب الكشف الأول عن هذا الأثر النفيس. ولكنني أدّعي أنني قدمته للقارئ وعرّفته به بعيداً عن الأثر الذي احتضنه طويلاً وقد كان جزءاً منه. وجعلته مستقلاً بذاته لا ينشغل القارئ عنه بما عداه من الكتاب ليصبح من بعد. أثراً من آثار هذا العالم الفذّ الذي نعرفه جيداً ولكننا لا نعرف الكثير عن آثاره التي تركها. فإن كنتُ قد أفلحت فله عملت وإليه كان السعي. وإلا. فعذري أنني اجتهدت.

والله من وراء القصد

أبو عزام حنا بن جميل حداد

اربد في ٢٢/٨/٢٠٠٨



المدخل:

تُجْمِعُ أكثر المصادر التي ترجمت المازني أو عرفت به[1]، على أن من بين مصنفاته التي وضعها كتاباً في القوافي وعللها، وآخر في العروض. غير أن عوادي الزمن أتت على هذين الكتابين فلم تترك لهما أثراً ولم يصل إلينا منهما - قبل اليوم - نقل واضح، أو عنهما إشارة صريحة، في حين وصل إلينا من المصنفات التي وضعت في موضوعهما على مر العصور عدد[2]. فهل يعني هذا أن الكتابين لم يكونا في الأصل؟ وأنّ نسبتهما للرجل كانت من جهة النحل والادّعاء؟ أم يعني هذا. أن العلماء. كانوا على علم بهما ودراية بما جاء فيهما ولكنهم أعرضوا عنهما استصغاراً لشأنهما وتجاهلاً لواضعهما ؟ لسنا مع هذا ولا ذاك. لأن العلماء الذين ترجموا المازني وصرّحوا بوجود الكتابين بين مصنفاته ونسبتهما الصريحة له، كانوا على استعداد لدفع هذه النسبة لو لم تكن صحيحة. ولا سيما أن التنافس بين العلماء ونقد بعضهم لبعض كان وما زال مشهوداً.

أما الاحتمال بأن العلماء استصغروا شأن واضعهما، فلم يحفلوا به ولا بما وضع. فاحتمال واهٍ. لأن أبا عثمان المازني لم يكن ضلَةً. وشهرته بين العلماء لم تكن خاملة فهو الذي أشهر للناس مع زميله أبي عمر الجرمي كتاب سيبويه[3]. وهو رأس المدرسة البصرية بعد الخليل وسيبويه وهو صاحب المقولة المشهورة:

---

١ - انظر: الفهرست ص ٦٢-٦٣ ونزهة الألباء ص ١٨٢ ووفيات الأعيان ١/ ٢٨٣ وأنباه الرواة ١/ ٢٨٢ ومعجم الأدباء ٢/ ٢٨٨ وتاريخ بغداد ٧/ ٩٣-٩٤ وبغية الوعاة ١/ ٤٦٥.

٢ - نقل إلينا المترجمون وكُتّاب السير أسماء عدد كبير من المصنفات التي وضعها العلماء في العروض والقوافي، وأكثر هذه المصنفات يُعد اليوم في المفقود من تراثنا العلمي والأدبي. غير أن عدداً منها سلم من الضياع فقام أصحاب الهمم العالية من عشاق التراث بتحقيقه ونشره نشراً علمياً صالحاً. ونذكر فيما يلي ما وصل إليه علمنا من هذه الكتب المنشورة في هذا الموضوع وفق أقدمية تحقيقه ونشره.

- ❖ تلقيب القوافي لابن كيسان (ت٢٩٩هـ) حققه ونشره المستشرق وليم رايت ضمن كتاب «جرزة الحاطب وتحفة الطالب» في ليدن سنة ١٨٥٩م، ثم أعاد نشره الدكتور إبراهيم السامرائي في مجلة الجامعة المستنصرية/بغداد. المجلد ٢١. سنة ١٩٧١ معتمداً على النشرة السابقة.
- ❖ الموجز في علم القوافي لابن الأنباري (ت٥٧٧هـ) حققه ونشره عبد الهادي هاشم في المجلد الحادي والثلاثين من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٦م.
- ❖ الكافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي (ت٥٠٢هـ) حققه الحساني حسن عبدالله ونشرته مجلة معهد المخطوطات العربية في الجزء الأول من المجلد الثاني عشر الصادر سنة ١٩٦٦م.
- ❖ القوافي للقاضي أبي يعلى عبد الباقي التنوخي (من علماء القرن الرابع الهجري). حققه وقدم له: عمر الأسعد ومحيي الدين رمضان. بيروت. ١٩٧٠م.
- ❖ القوافي وما اشتقت ألقابها منه لأبي العباس المبرد (ت٢٨٥هـ) حققه الدكتور رمضان عبد التواب ونشرته مطبعة جامعة عين شمس بالقاهرة سنة ١٩٧٢م.
- ❖ القوافي للإمام أبي الحسن الأخفش (ت٢١٥هـ) حققه احمد راتب النفاخ، ونشر في دمشق ١٩٧٤م.
- ❖ مختصر القوافي لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) حققه الدكتور حسن شاذلي فرهود ونشرته دار التراث بالقاهرة سنة ١٩٧٥م.
- ❖ الكافي في علم القوافي ومعه المعيار في أوزان الأشعار لابن السراج الشنتريني (ت٥٥٠هـ) تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية. دمشق ١٩٧٩م.

٣ - انظر: سيبويه إمام النحاة. ص١٣١

«من أراد أن يَصنعَ كتاباً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحِ[٤]». وهي المقولة التي أثارت العلماء واستفزتهم وما زالت. وما كان للمازني أن يجاهر بهذا القول قبل أن يكون قد استوعب قرآن النحو. كما كانوا يطلقون عليه، وأشهر كتاب في تراث النحو العربي. درساً وتدريساً.

ويبقى السؤال. لماذا لم نعثر إذن على أي نقل من هذين الكتابين أو على إيّ إشارة صريحة إليهما في المصنفات التي وضعت بعدهما وألّفت في موضوعهما؟ وقد ظل هذا السؤال قائماً دون جواب حتى تهيأت الأسباب فكان الجواب الشافي. إذ شاءت الأقدار أن يظهر إلى الوجود أثر نادر من تراث العربية هو كتاب «الفصوص» لصاعد بن الحسن اللغوي. وقد كان يظن حتى فترة قريبة أنه من تراث العربية المفقود. وأن يتضمن هذا الأثر النادر كتاب أبي عثمان المازني في القوافي وعللها منقولاً من نسخة عزيزة المنال كتبها لنفسه بخط يده عالم النحو البصري أبو العباس محمد بن يزيد المبرد. فينقل صاحب هذا الأثر «كتاب القوافي» للمازني من نسخة المبرد ويودعه في مصنفه ليحفظه لنا فيما حفظ من النصوص الشعرية والنثرية النادرة الأخرى.

فمنذ أن توثقت صلتنا بالتراث وبدأنا نطلع على كنوزه ونتواصل معه عرفنا أن لأبي العلاء صاعد بن الحسن الربعي اللغوي[٥] (ت ٤١٧هـ) كتاباً وضعه على مثال نوادر أبي علي القالي وسماه «كتاب الفصوص» حظي بالقبول من بعض علماء عصره ورجالاته ورفضه آخرون متهمين صاحبه بالكذب والتزيد، وأنه جاء فيه بالغريب من اللغة الذي لم يسمع من عربي فصيح وأنه ملأه بالأخبار والروايات التي لا سند لها ولا مرجعية. وقد كان شوقنا لرؤية هذا المصنف والاطلاع على ما جاء فيه يزداد كلما طالعنا بعض أخبار الرجل ووقفنا على خلاف العلماء فيه واختلافهم حول كتابه وما تناقلته المصادر عنه. وقد سعينا جاهدين بغية الوقوف على نسخة من «كتاب الفصوص» هذا، في خزائن المخطوطات العربية والأجنبية. وسألنا ذوي الاهتمام والدراية من المهتمين بالتراث العربي وكنوزه إلا أننا لم نحظ بطائل. فقطعنا الأمل. وطوينا صفحة اهتمامنا بالموضوع.

وتكون المفاجأة السارة - ورُبّ صدفة خير من ألف ميعاد - فقد وقع بصري ذات يوم في أحد معارض الكتب التي أقيمت في الأردن على كتاب من القطع الصغير بعنوان «من كتاب الفصوص» لأبي العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي «من منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ضمن سلسلتها «المختار من التراث العربي» فلما قلبت صفحاته وجدته يتضمن نصوصاً شعرية ونثرية. ومختارات من الكتاب الأم قام باختيارها والتقديم لها الأستاذ مظهر الحجي. فوجدت في هذه المختارات علماً غزيراً ومادة لغوية وشعرية ثرّة فتأكد لي أن شغفي بالكتاب ورغبتي في الاطلاع على ما فيه. لهما ما يسوغهما.

---

٤ - نزهة الألباء، ص٦٣.

٥ - انظر في ترجمته: إنباه الرواة ٢/٨٥-٩١ وإشارة التعيين ص ١٤٦ وبغية الوعاة ٢/٧-٩ والبلغة ص٩٧ ووفيات الأعيان ٢/٤٨٨ ومعجم الأدباء ٤/٢٦٦ والفلاكة والمفلوكون ص٧٦.

وأنه «ليس من رأى كمن سمع» كما عرفت أن الكتاب الأم قد نشرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة المغربية سنة ١٩٩٤ بتحقيق الدكتور عبد الوهاب التازي سعود، وأنّ طَبْع الكتاب قد تم بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني ملك المغرب. فسعيت جاهداً للحصول على نسخة من هذا الأثر النادر حتى تحقق لي- بحمد لله- ذلك.

وعندما وصل إليّ الكتاب واطلعت على فهارسه التي رصدت موضوعاته، تأكد لي أنه حقاً من كنوز التراث العربي وأنه من أمهات المصادر العربية التي لا غنى لباحث عنها. وأن محققه - جزاه الله كل خير - قد بذل في تحقيقه جهداً لا يقدره حقّ قدره، إلا من خبر تحقيق النصوص التراثية وسلك دربه المليء بالأشواك، وقديماً قيل:

لا يدرك الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

فقد قام المحقق بضبط نصوصه وتقويم ما انآد منه والتعليق عليه وتصويب الأخطاء التي اقترفها النسّاخ في مخطوطاته ورقّع بالألفاظ الدقيقة والعبارات الصائبة ما وجده متأذياً بالرطوبة والبلل، أو مطموساً بفعل الزمن من المفردات والجمل في بعض جوانبه حتى أقامه على سوقه وقدّمه إلينا بحلة قشيبة وتحقيق علمي لا أكمل ولا أجمل.

ولا أريد في هذه العجالة أن أصنع دراسة نقدية أو عرضاً تسويقياً مروّجاً للكتاب، ولا أن أزينه للقراء، ولكني أريد أن يقف الباحث الذي لا يعرف شيئاً عن هذا الأثر النادر من تراثنا العربي عليه، وأن أشير إلى جوانب مما تضمنه هذا السفر العظيم، لأن كثيراً مما جاء فيه من النصوص النثرية والشعرية لا يعرف الباحثون - وأنا منهم - عنه إلا القليل، وأن كثيراً مما استشهد به الرجل وساقه في كتابه من المقطوعات الشعرية والقصائد الكاملة والأخبار، ليس موجودا فيما بين أيدينا اليوم من مصادر التراث المعتمدة، الأمر الذي جعل من الكشف عن هذا الأثر النادر وتقديمه للقرّاء بحلته الزاهية التي جاء عليها من جهة التحقيق والطباعة والإخراج سبقاً قلّ نظيره وإضافة نوعية للمكتبة العربية ظلت مفتقرة إليها قروناً عدة.

ولعل من أهم ما تضمنه «كتاب النصوص» - في نظرنا - هذا النص الكامل لكتاب القوافي وعللها لأبي عثمان المازني الذي نقله صاحب الكتاب من خط أبي العباس المبرد، والذي نذهب إليه أن المبرد - هو من تلاميذ المازني- كان قد نقل كتاب أستاذه للإفادة منه ثم ادّعاه لنفسه، أو نسبه بعض المريدين له، لأن ما وصل إلينا ملخصا من كتاب القوافي للمبرد ونسبته الصريحة له ينطق بما نذهب إليه ويسنده.

وفيما يلي تعريف بكتاب «القوافي» للمبرد وما نذهب إليه فيه.

كتاب «القوافي وما اشتقت ألقابها منه»

لأبي العباس المبرّد

(المتوفى ٢٨٥هـ)

في العام ١٩٧٢ نشر الدكتور رمضان عبد التواب -رحمه الله- هذا الكتاب محققاً عن نسخة خطية يتيمة وجدها أحد تلاميذه ضمن إحدى المجاميع الخطية في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية وتاريخ نسخها شهر محرم من عام ١١٧١هـ. وقدّمة بقوله: «هذا الكتاب من أقدم الكتب التي وصلت إلينا في علم القوافي. ومؤلفه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (المتوفى سنة ٢٨٥هـ) وقد كنت أظن أن الكتاب مما عدت عليه عوادي الزمن من مكتبة المبرد الضخمة... . ثم يتابع الدكتور رمضان قائلا: «وعندما درست الكتاب تبين لي صحة نسبه إلى المبرد». ثم يسوق أدلته في تأييد صحة هذه النسبة مشيراً إلى أن هذا الكتاب الذي ينشره هو مختصر لكتاب المبرد فيقول: «والكتاب مختصر بالفعل. غير أنه شامل لكثير من قضايا القوافي في الشعر العربي. ولا يهتم المبرد فيه إلا بالتعريف وذكر الشاهد. ثم يستدل مما وجده في كتاب القوافي للتنوخي (من علماء القرن الرابع الهجري) أن المبرد اعتمد في تأليف مختصره هذا على كتاب «الفرّاء» في موضوع القوافي. ثم يختم حديثه قائلاً: غير أننا لا نرى المبرد يصرح بذلك في كتابه. وكتاب الفرّاء ليس بين أيدينا فنقطع برأي في هذه القضية[٦].

وإذا كان الدكتور رمضان عبد التواب -رحمه الله- لم يقطع باعتماد المبرد في تأليف كتابه على كتاب «الفرّاء» فإننا نقطع بأن الرجل قد اعتمد على كتاب آخر لعالم آخر هو المازني الذي نحن بصدد الحديث عن كتابه وتقديمه للفرّاء. بل إن المبرد لم يكتف بهذا الاعتماد فقام بادعائه لنفسه أو لعلّ أحداً نسبه له ثم عرف فيما بعد أنه من مصنفاته. فالذي يطالع كتاب «القوافي» للمبرد ثم يوازنه بما جاء في كتاب القوافي للمازني يجد كتاب المبرد صورة عن كتاب المازني وتلخيصاً لمادته. فالنقل عنه يكاد يكون حرفياً والشواهد التي استشهد بها لا تختلف. والألقاب التي جاءت فيهما للقوافي وعيوبها هي نفسها بترتيبها الذي سبق إليه المازني. وكل ما في كتاب المبرد يعلن أنه من وضع المازني وهو أولى به ممن يدعيه. وهكذا. يعود الحق إلى أهله وسبحان من يهيء الأسباب لرد الحقوق إلى أصحابها.

وقبل أن نتحدث عن كتاب «القوافي وعللها» للمازني. يجدر بنا الحديث عن تراث المازني الذي خلفه من بعده لنقف على مكانة الكتاب بين ما تركه من الآثار.

٦ من مقدمة كتاب القوافي للمبرد. ص ٢٠١.

تراث المازني:

ترك أبو عثمان المازني عدداً من المصنفات في بعض العلوم، غير أن معظم هذه المصنفات لم يكتب لها البقاء فلم يصل إلينا منها إلا كتابان هما:

١ - كتاب التصريف وقد وصل إلينا كاملاً فحقق ونشر.

٢ - كتاب القوافي الذي ننشره اليوم مستقلاً لأول مرة.

ويظهر للمطّلع على أسماء المصنفات التي نسبت لأبي عثمان المازني، أنه لم يكن يقصر اهتمامه على النحو بخاصة، وهو الذي اشتهر بين الناس بـ «النحوي»، ولكنه تعداه إلى غيره من العلوم كاللغة والعروض والتفسير وغير ذلك، وندرج فيما يلي قائمة بأسماء المصنفات التي نسبت إليه في المظان التي ترجمته أو عرَّفَتْ به.

١ - كتاب التصريف، وقد أجمعت مظان[٧] ترجمة الرجل والتعريف به على نسبة هذا الكتاب له، ويبدو من اهتمام القدماء بهذا المصنف أنه أشهر ما ترك المازني من المصنفات، ولهذا حظي عندهم بالعناية والاهتمام، فقام ابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) بمعونة أستاذه أبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) بشرح هذا الكتاب وتبسيطه وحل مشكل قضاياه بمؤلف أطلق عليه اسم «المنصف لكتاب التصريف»، وقد علَّل ابن جنّي سبب اعتنائه بكتاب التصريف هذا ووضع شرح له بقوله[٨]: «لما كان هذا الكتاب الذي شرعت في تفسيره وبسطه من أنفس كتب التصريف وأسدها وأَرْصَنها، عريقاً في الإيجاز والاختصار، عارياً من الحشو والإكثار، متخلصاً من كزازة ألفاظ المتقدمين، مرتفعاً عن تخليط كثير من المتأخرين، قليل الألفاظ، كثير المعاني، عنيت بتفسير مشكله وكشف غامضه والزيادة في شرحه محتسباً ذلك في جنب ثواب الله، ومزكياً به ما وهبه لي من العلم».

وقد قام إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين بتحقيق كتاب المنصف هذا ونشرته إدارة إحياء التراث القديم بوزارة المعارف العمومية المصرية سنة ١٩٥٤م، فجاء في ثلاثة أجزاء كبار خصص الثالث منها للهوامش والتعليقات والفهارس المختلفة للكتاب وأقاليده.

وعلى الرغم من أن المازني كان مشهوراً بين الناس إذ ذاك بالنحوي، إلا أنه لم يؤلف في النحو كتاباً

---

٧ - انظر: نزهة الألباء ص١٨٢، معجم الأدباء ٢/٣٨١، أنباه الرواة ١/٢٨١، البلغة ص٤١، الفهرست ص ٦٢-٦٣، إشارة التعيين ص٦١، بغية الوعاة ١/٤٦٣، وفيات الأعيان ١/٢٨٣، تحفة الأديب ٢/٦٩٥-٧٠٤، تاريخ بغداد ٧/٩٣.

٨ - المنصف شرح تصريف المازني ١/٥.

كبيراً ككتاب سيبويه وهو الذي استوعبه درساً وتدريساً مرات عدة. وما ذاك -في تقديرنا- إلا لأنه كان صاحب المقولة المشهورة[9]: «من أراد أن يصنع كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح».

٢ -كتاب القوافي وعللها: وهو من تراث المازني الذي وصل إلينا وننشره اليوم مستقلاً لأول مرة. وسنتحدث عنه لاحقاً.

٣ - كتاب العروض: ولا نعرف عنه شيئا. وقد ذكره المازني في هذا الكتاب س ص .

٤ - ما تلحن فيه العامة: ويظهر من اسمه أنه من مؤلفات التصحيح اللغوي. ولا نعرف عنه شيئاً.

٥ - كتاب الألف واللام: ولم تذكر المصادر شيئاً عن هذا الكتاب أو موضوعه.

٦ - كتاب في القرآن: وقد وصفته بعض المصادر بأنه «كبير» ولم تزد على هذا. ولسنا نعرف أهو في تفسير القرآن أو بيان إعجازه أو إعرابه أو غير ذلك مما كان يحظى بعناية العلماء واهتماماتهم.

٧ - كتاب علل النحو: وقد وصف بأنه «صغير» ولا يحتاج الكتاب إلى تخمين موضوعه فعنوانه دالٌ عليه.

٨ - كتاب تفاسير كتاب سيبويه: ولم يتحدث عنه أحد. ويبدو من اسمه أنه: يتحدث عن بعض القضايا المشكلة في كتاب سيبويه مما بدا للمازني غموضها وأنها بحاجة إلى شرح وتفسير، فقام بتأليف الكتاب وسمّاه بهذا الاسم.

٩ - كتاب الديباج في جوامع كتاب سيبويه. ولم يوصف عند بعض من ترجم المازني إلا بالقول[10]: «على خلاف كتاب أبي عبيدة». ولا نعرف شيئاً عن كتاب الديباج لأبي عبيدة لنقف على هذا الخلاف بينه وبين كتاب المازني. وقد جاء في تاريخ بغداد[11]: « في البغية. الديباج في جامع كتاب سيبويه يعني كالفهرس لمطالبه» ولم نجد هذا التعليق في «البغية» ولا ندري أهو ساقط من الأصل أم أن الهامش في تاريخ بغداد من تأليف المحقق أو ناسخ الكتاب ؟

تلك كانت أشهر مصنفات المازني وما وصل إلينا منها حتى اليوم. وإنّا على أمل أن تكشف لنا الأيام وجهود الباحثين في المستقبل عن غيرها.

---

٩ - نزهة الألباء ص ٦٢ وبغية الوعاة ١/٤٦٦.

١٠ - انظر: أنباه الرواة ١/٢٨١ والفهرست ص ٦٢-٦٣ ووفيات الأعيان ١/٢٨٣.

١١ - تاريخ بغداد ٧/٩٤ /هامش.

كتاب القوافي وعللها

لأبي عثمان المازني (المتوفى ٢٣٦ أو ٢٤٩هـ)

تقديم:

نقل أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعي اللغوي كتاب القوافي وعللها للمازني من نسخة وجدها بخط أبي العباس محمد بن يزيد المبرد. وإلى هذا يشير بقوله(١٢): قال صاعد: «ضمنت لك في صدر الكتاب ألا أضمّنه إلا منقولاً من خط عالم أو مأخوذاً عن لفظه. ومما يتصل بما تقدم من معاني الشعر علم القوافي. وقد صُنِّف فيه غير كتاب، غير أني وجدت بخط المبرد من هذا الفن كتاباً نقله عن خط المازني وفيه من أسرار علم القوافي ما لم يتضمنه كتاب على وجهه». ثم يقول في نهايته(١٣): «تمّ الكتابُ». هذا ما نقلته من خط المبرد وكتبه هو من خط المازني وكان يلقب « بسهكل ويلقب المبرد حابان وثعلب عوهم».

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن هذه الألقاب التي ذكرها صاعد لكلٍ من المازني والمبرد وثعلب، قد تفرّد بها الرجل لأننا لم نعثر على أي منها في أي مصدر من المصادر التي ترجمت هؤلاء الأعلام أو عرّفت بهم على كثرتها. بيد أن صاعداً لم يكتفِ بما وجده من الكلام في نسخة المبرد ونقله عنه من الحديث عن القوافي وعللها، بل كان يتدخل أحياناً بالتعليق على ما ينقله، أو يضيف إليه ما يراه لازماً للتوضيح والكشف، كما يتضح من قوله: « قال صاعد » في غير ما موضع من الكتاب(١٤). فإذا انتهى من التعليق أو الإضافة عاد إلى متن الكتاب الذي ينقل عنه فيقول(١٥): «رجعنا إلى خط المبرّد» ثم يواصل النقل. وقد تكرر هذا التدخل والاستطراد في أكثر من موضع من الكتاب. ولكننا عندما رحّلنا نص كتاب المازني كما نقله صاعد في كتابه لم نشأ أن نخلط معه ما علّق به صاعد أو استطرد إليه حتى يكون الكتاب خالصاً للمازني لا يشاركه فيه أحد. كما أن صاعداً أضاف إلى كتاب المازني هذا قدر ثلاث صفحات من كتاب آخر في القوافي لمن يدعى «أبو جعفر أحمد بن فوذك(١٦)». فألحقنا هذه الصفحات بكتاب المازني لعلاقة ما تضمنته بمادة الكتاب وموضوعه.

---

١٢ - كتاب الفصوص، ص ١٦٥/٥.

١٣ - المصدر السابق، ص ٢٢١/٥.

١٤ - المصدر السابق ص ١٦٦، ١٧٢، ١٧٧، ١٧٨.

١٥ - المصدر السابق، ص ١٦٦، ١٧٤، ١٧٧، ١٧٨.

١٦ - لم نعثر على ترجمة للرجل أو تعريف به في أي مصدر من المصادر التي اطلعنا عليها، كما لم نعرف اسم كتابه هذا، ولم نجد أحداً من الذين عنوا بالعلل والقوافي يشير إليه.

ومما يلفت النظر في كتاب المازني هذا أن شواهده من الشعر والرجز جاءت على كثرتها غفلاً من النسبة، إذ لم ينسب منها إلا عدداً لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة وهي من رجز العجاج وابنه رؤبة. وهذه الظاهرة في كتاب المازني تؤيدُ ما ذهبنا إليه(١٧) من أن العالم في عصور التدوين الأولى ما كان معنياً باسم قائل الشاهد الشعري الذي يحتج به إن في النحو أو العروض أو في غيرهما أكثر من عنايته بموطن الاستشهاد من البيت الشاهد وهو ما يفسر لنا وجود عدد كبير من الشواهد الشعرية المجهولة القائل في كتاب سيبويه وغيره من علماء العربية من تلك العصور المتقدمة.

وفيما يلي كتاب المازني في القوافي وعللها كما نقله صاعد بن الحسن اللغوي من نسخة أبي العباس محمد بن يزيد المبرد وخط يده.

تقديم:

قال صاعد: ضمنتُ لك في صدر الكتاب ألا أُضمّنه إلا منقولاً من خطّ عالم، أو مأخوذاً عن لفظه. ومما يتصل بما تقدم من معاني الشعر علم القوافي، وقد صنف فيه غير كتاب، غير أني وجدت بخط المبرّد من هذا الفن كتاباً نقله عن خط المازني وفيه من أسرار علم القوافي ما لم يتضمنه كتاب على وجه.



١٧ - اطلب ما نذهب إليه بشكل مفصل في بحثنا الموسوم بـ "إضاءات على جوانب من سيرة سيبويه وكتابه" في كتابنا: "شذرات من النحو واللغة والتراجم".

« هذا كتاب القوافي وعللها »

فالقافية هي حرف الرَّوِيِّ الذي تُبنى عليه القصيدة لا بد من تكريره وذلك قوله[1]: (الطويل)

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ   بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ

فاللام هي حرف الرَّوِيِّ لا بد من تكريره في جميع القصيدة.

فأما ما يلزم القافية من الحروف، فالتأسيس والردف والوصل والخروج، ولا يجتمع التأسيس والردف في قافية، وربما لحقها اثنان من هذه الأربعة أو واحد، ولا يخلو من أن يلحقها الوصلُ، إذا كان الشعر مطلقاً لحقها الألف في النصب، والياء في الجر والواو في الرفع، لأن القافية إذا أُطلِقَت لزمتها إحدى هذه الحركات الثلاث، النصب والرفع والجر، فإن لزمتها إحدى هذه الحركات لزمها أحد هذه الأحرف الثلاثة لأنها توابع للحركات، فالياء تابعة للكسرة، والواو تابعة للضمّة، والألف تابعة للنصبة، فإذا كان حرف القافية مقيداً فلا وصل فيه لأنه ساكن وذلك قولك[2]: (الرمل)

أرِقَ العينَ خيالٌ لم يدعْ   من سُليمى ففؤادي منتزِعْ

وأما التأسيس، فألف تكون قبل حرف الرَّوِيِّ، بينها وبينه حرف متحرك نحو قوله[3]: (طويل)

إذا أنْتَ لَمْ تُعرِضْ عَنِ الجَهْلِ والخَنَا   أَصَبْتَ حَليماً أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلُ

لا بد من تكرير الألف مع حرف الرَّوِيِّ، وأما الردف، فإنه: ألف تكون قبل حرف الرَّوِيِّ، ليس بينه وبينها حرف، لا يجوز معها غيرها، ولا بد من تكريرها وذلك قوله[4]: (مجتث)

طاف الخيالُ بركبٍ   سُقُوا بكأس الكلالِ

فألف الكلال هي الردف، وردف ثانٍ وهي واو ساكنة قبلها ضمّة، قبل حرف الرَّوِيِّ ليس بينها وبينه شيء، والياء الساكنة قبلها الكسرة في مثل ذلك مع الواو، وهي قبل حرف الرَّوِيِّ يجوزان جميعاً في قصيدة، قال الشاعر[5]: (مخلع البسيط)

أقفر من أهله ملحوبُ   فالقُطَبيّاتُ فالذَّنوبُ

فراكسٌ فثُعَيلباتٌ   فذاتُ فرقين فالقليبْ

فقال (الذنوب) و(القليب) في قصيدة، وأما الياء المفتوح ما قبلها، والواو المفتوح ما قبلها تكونان في موضع الواو المضموم ما قبلها من القافية فهما ردف أيضاً، يجوزان في قافيتين من قصيدة واحدة، قال الشاعر[6]: (رجز)

١ - كنت إذا ما جئْتُه من غَيْبِ

٢ - يشُمُّ عِطْفي ويشُمّ ثَوْبي

وأما حرف الوصل، فما كان بعد حرف الرَّوِيِّ متصلاً به من ياء ساكنة مكسور ما قبلها أو واو ساكنة

مضموم ما قبلها، أو ألف والألف لا تكون إلا ساكنة مفتوحاً ما قبلها أو هاء متحركةً كانت أو ساكنة، وما قبلها متحرك بأي الحركات كان. فالألف قوله[7]: (طويل)

سما لك شوقٌ بعدما كان أقصرا وحلت سليمى بطن قوٍ فعرعرا

والياء قوله[8]: (طويل)

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ونحو قوله[9]: (طويل)

ألا اعتزليني اليوم يا خول أوْ غضي فقد نزلت حرباء مُغضلة العضْ

والواو قوله[10]: (وافر)

متى كان الخيام بذي طلوح سقيت الغيث أيتها الخيامو

والهاء قوله[11]: (رجز)

١ ثار عجاجٌ مُستطيرٌ قسطلُهْ

٢ تَنْفسُ منه الخيلُ مالا تغزلُهْ

فإذا كان ما قبل هذه الأربعة ساكناً فهو حرف الرويّ نحو (ظَبْي) و (رَمْي) و(غَزْو) و(دَلْو) و(وَجْه)، وأما الألف فلا يكون ما قبلها إلا ساكناً. وأما الخروج، فإنه: كل ألف تبعَتْ هاء الوصل نحو (فعلها) أو ياء ساكنة تبعت هاء الوصل فهي مضمومة نحو (هذا لَهُو) و(دارُهُو) أي: (لَهُ) و(دارُه) وذلك مثل قول الشاعر[12] : (كامل)

عفت الديار محلُها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

وكذلك حال الواو والياء، قوله[13] في الواو: (البسيط)

بيناه في دار صدق قد أقام بها حيناً يعللنا وما نعللُهو

والياء قوله[14]: (متقارب)

إذا كُنت في حاجة مُرسلاً فأرسل حكيماً ولا توصهي

فأمّا ما خلا هذه الأحرفَ الاربعةَ من حروف المعجم فإنها لا تكون إلا حرفَ الرَّوِيّ. وإنما كان هذا في هذه الأربعة، لأن الألف والياء والواو حروف المدّ واللين. فإذا دخلن في القافية على حد ذكرنا. لزم الشاعر تَزديدُها لئلا يكون بعض قوافيها فيه مَدٌّ ولين. وبعض ليس فيها ذلك فتختلف حالها. وأما الهاء فإنما كانت وصلاً: لأنها حرفٌ خفيٌّ ضعيفٌ. قد تزاد في مواضع كثيرة من كلامهم. وقد يُدْخلونها ليُبيّنوا بها حركة ما قبلها نحو: (ارمِهْ) و(اغْزُهْ) ويدخلونها للتأنيث نحو هاء طلحة وحمدة وحمزة. وفي الإضمار في قوله (غلامه) و(داره) فلما كانت هذه حالها. احتملت أن تكون وصلاً. وكل هذه الحروف قد تكون حروف الرّويّ في بعض المواضع. وسنخبر عن ذلك فيما نستقبل من الكتاب إن شاء الله.

وأما الحركات اللوازم للقافية: فالحَذْو والرَّسّ والتوجيهُ والمجْرَى والنَّفَاذُ. فأما الرَّسّ: ففتحة الحرف قبل التأسيس. نحو فتحة جيم (جاهل) وعين (عاقل). وأما الحذو ففتحة الحرفِ قبلَ الردفِ نحو: (قَال) و(قيل) و(قَوْل) أو ضمّتُه وكسرتُه نحو: (قِيْل) و(قُول). وأما التوجيه فالفتحةُ تكون قبل الرَّوِيّ المقيّد نحو قوله[١٥]: (رجز)

وقاتم الأعْماق خاوي المُخْترقْ

أو كسرته أو ضمّته نحو قوله[١٦]: (رجز)

مضْبُوة قــرْواء هـرْجـاب فُنُقْ

ثم قال[١٧]: (رجز)

ألف شتّى ليس بالراعي الحمقْ

فالفتحة قبل الرَّوِيّ المقيد تُفرد كما تَفَرّدَتِ الألف في (قال) إذا كانت في قافية. والضمّةُ والكسرةُ تُفرَدان من الفتحةِ وتجتمعان في القصيدة كما اجتمعت الواو والياء في (محلوب) و (غريب): لأن الواو والياء كالكسرة والضمّة. والألف منها الفتحة وقد تجيء الكسرة مع الفتحة وقد تجيء الضمّة مع الفتحة: لأنها حركات وليست كالحروف أنفسها. قال: «هِرْجابٍ فُنُقْ». وقال: «خَاوِي المُخْتَرَق».

وأما المجرى: ففتح حرف الرَّوِيّ المطلق أو كسرتُه أو ضمتُه. وأما النفاذُ: فإنه فتحة هاء الوصل أو كسرتُها أو ضَمّتُها. لا يجوز مع فتحها كسرتُها ولا مع ضمتها فتْحُها. كل حركة منها تفرد على حالها.

وفي القوافي: الإقواءُ: وهو معيب رديءٌ، وهو رفع بيت ونصبُ آخر وجرُّه ورفعه إذا اختلف إعراب البيتين فذالك إقواء نحو قوله[١٨]: (كامل)

سقط النصيفُ ولم تُرد إسقاطه فتناولتْه واتّقتْنا باليد

بمخضب رَخْصٍ كأن بنانه عنمٌ يكاد من اللطافة يُعْقدُ

قوافي القصيدة كلها مجرورة و (يُعْقَدُ) مرفوع. وهذا في المقيّد ليس بعيب: لأنه يقف على حرف الرَّوِيّ ولا يطلقه ولا يحركه. نحو قوله[١٩]: (منهوك الرجز)

١ - طاف الخيالْ بغلسْ

٢ - يمشي بغصن قد غرسْ

٣ - على نقي منه وعسْ

٤ - رُمّانه ليس يُمسْ

وقال[٢٠]: (رجز)

١ - كأنما بين الوضيْن والحقبْ

٢ - منه نقيُ أعفرَ ضمّتْه الهضبْ

فـ(الحقب) في موضع جر. و(الهضب) في موضع رفع. وقواه (بغلس) مجرور وقد (غُرِسْ) مفتوح و(وَعِسْ) مجرور و(يُمَسّ) مرفوع. فهذا جائز.

وزعم يونس[21] أن الإكفاء هو الإقواء عند العرب. وبعضهم يجعله قلب حرف الرَّوِيِّ إلى غيره نحو إنشاد بعضهم[22]: (رجز)

١ - قُبِّحْتِ من سالفة ومن صُدُغْ

٢ - كأنها كُشْيةُ ضبٍّ في صُقُعْ

جعل إحدى القافيتين عيناً والأخرى غيناً. وقال[23]: (رجز)

١ - جارية من ضبة بن أُدِّ

٢ - كأنها في درعها المُنْعَطِّ

فجعل الدال مع الطاء. وقال[24]: (رجز)

١ - بنات وطاء على خدّ الليلْ

٢ - لا يشتكين عملاً ما أنقيْنْ

٣ - ما دام مخٌّ في سُلامى أو عينْ

فقال: الليلْ والعين. النون مع اللام فهذا يكون من العرب على الغلط كما قالوا[25]: هذا جُحْر ضَبٍّ خربٍ. فجرُّوا (خرب) على الضب وهو للجُحْر. وقال الراجز[26]: (رجز)

١ - كأن نسج العنكبوت المرمل

٢ - على ذُرى قُلامه المُهَدَّل

فجرّ (المرمل) على (العنكبوت) وهو للنسج لقربها من المُرمَّل كأنهم غلطوا هاهنا لأن العين قريبة المخرج من الغين. وكذلك الدال مع الطاء لأنها قد تدغم كل واحدةٍ في صاحبتها لقربها منها في المخرج وكذلك اللام والنون.

باب

وأما السِّناد: فإنه إدخال الفتحة مع الضمّة أو مع الكسرة في الأرداف نحو (قَيْل) مع (قِيل) و(قُول) مع(قَوْل) وهو نحو قول الشاعر[27]: (وافر)

ألم تر أنّ تغلب أهلُ عزٍّ جبالٌ معاقلٌ ما يُرتقينا

شربنا من دماء بني تميم بأطراف القنا حتى روينا

وهذا مطلق. وإدخال الفتحة مع الضمّة أو مع الكسرة معيب أيضاً فيما قبل حرف الرَّوِيّ المقيد نحو قوله[28]: (رجز)

وقاتم الأعماق خاوي المُخترقْ

ثم قال[29]: (رجز)

ألف شتّى ليس بالرّاعي الخمقْ

فأما في المطلق فليس معيب.

وأما الإيطاء: فهو أن يَرُدَّ القافية فيقول: (زيد) في قافيةٍ أولى و(زيد) في قافية أخرى، ويقول: (ضرب) في قافية ثم يقول: (ضرب) في قافية أخرى[30]. وكلما تباعد ما بين البيتين فهو أحسن، وأما المُضمّن: فهو أن لا تكون القافية مستغنية عن البيت الذي يليها نحو قوله[31]: (وافر)

وهم وردوا الجفار على تميم وهمْ أصحابُ يوم عكاظ إني

شهدتُ لهم مواطن صادقات أتيتهمُ بنُصح الصّدْر مني

وهذا معيبٌ لأن البيت الأول مُعلّق بالثاني لا يستغني عنه، وقال الشاعر فيما أردف ثم ترك الردف[32]: (طويل)

وبالطّوف نالا خير ما استغنيا به وما المرءُ إلا بالتقلُّب والطّوُف

فراق حبيب وانتهاءً عن الهوى فلا تعذليني قد بدا لك ما أُخْفي

وهذا قبيح، وأما إذا جاء بالردف في بيتين باختلاف فهو سِناد. وهو أحسن من هذا.

وفي القوافي المتكاوس: وهو الذي قافيته (فَعلتُنْ) أربعة أحرف متحركة بين حرفين ساكنين: نون (مُسْتَفْعِلُنْ) ونون (فَعِلَتُنْ).

ومنه المتراكب، وهو: (مُفَاعَلَتُنْ) و(مُفْتَعِلُنْ) و(فَعِلُنْ) و(فَعَلْ) إذا كان قَبْلَه (فَعُولُ) وذلك بيت يصلح أن يكون ثلاثة أحرفٍ متحركة بين ساكنين.

وأما المتدارك: فإنه ما كان من ذلك (مُتَفَاعِلُن) و(مُسْتَفْعِلُنْ) و(فَاعِلُن). و(فَعَلْ) إذا كان قبلها حرف ساكن، وذلك كل بيت يصلح أن يكون آخرهُ على حرفين متحركين بين ساكنين.

وأما المتواتر: فما كان من ذلك (مَفَاعِيلُنْ) و (فَاعِلاَتُنْ) و(فَعُولُنْ) و(مَفْعُولُنْ) و(فَعْلُنْ) و(فُلْ) إذا كان قبلها (فَعُوْلُنْ) وذلك ما كان آخره على حرفٍ متحرك بين ساكنين.

وأما المترادف: فما كان من ذلك (مُتَفَاعِلاَنْ) و(مُسْتَفْعِلاَنْ) و(فَاعِلاَنْ) و(مُفْتَعِلاَنْ) و(مُفَاعِلاَنْ) و(فَعِلَتَانْ) و(فَاعِلَيَّانْ) و(فَعِلِيَّانْ) و(مَفْعُلاَنْ) و(فَعُولْ) و(فَعِلاَنْ) وذلك كل بيت يصلح أن يكون آخره حرفين ساكنين قبلهما حرف متحرك. فالمترادف لا يكون إلا مقيداً لأنك لو أطلقته حركته[33].

«باب تفسير القوافي في الإنشاد واختلاف العرب في ذلك»

فإذا تَرنَّمُوا يلحقون الألف في النصب، والياء في الجر. والواو في الرفع، فيما نوّن من القوافي وما لم

ينوّن. لأنهم أرادوا مدّ الصوت وإطالته كما أدخلوا ألف الندبة في المندوب مدّ الصوت في قولهم (وازيداه) فمن ذلك قولهم في المنصوب المنوّن[٣٤]: (مجزوء الكامل)

ولــقــد بــلــوت شــمــائــلــي فــوجــدتــنــي يا عــبــل سمحا

وهذه الألف تثبت في الكلام في غير الشعر لأنها بدل من التنوين. وأما المرفوع المنوّن فقوله[٣٥]: (الكامل)

شــزواك مــفــقــودٌ فــمــثــلــك لا يُرى ونـــداك لــم يــظــعــن وأنـــت مُـــودَعُ

وأما المجرور المنوّن، فقوله[٣٦]: (الطويل)

تــســلــتْ عــمــايــاتُ الــرِّجــال عــن الصِّبا ولــيــس فُـــؤادي عــن هــواهــا بِمُنْسل

ومثله[٣٧]: (الكامل)

ولــقــد ســـريــتُ عــلــى الــظَّــلام بمغْشم جــلــدٍ مــن الــفــتــيــان غــيــر مُثقّل

فإذا أنشدوا قالوا: (غير مثقلي) وعن هواك (بمنسلي) وأنت (مُودّعُو) وكذلك غير المنون وذلك قوله[٣٨]: (الكامل)

لــيْــلــي نــهــارٌ لــلــسُّــهُــود ويــوْمُــه لــيْــلــي لــوحْــشــتــه ومــثْــلــي يــجْــزعْ

هذا فعلٌ لا ينون، هذا في الرفع. وأما الجرّ فقوله[٣٩]: (وافر)

وحـــور قــد لــهــوْتُ بــهـــنّ حــيــنــاً نــواعــم فــي الــمُــروط وفــي الــرِّيــاط

وأما النصب، فقوله[٤٠]: (طويل)

وإني لصبٌّ بالخليل إذا بَدتْ مودّته صرامَةَ إنْ تجرَّما

فقوله (تجرّما) فتحةٌ والنّصْبةُ لما لم يترنموا يعلمهم أن الذين [...[٤١]...] في أصل الإبناء، سمعناهم يقولون[٤٢]: (وافر)

أقــلّــي الــلــوم عـــاذل والــعــتــابْ وقــولــي إن أصــبــت لــقــد أصـــابْ

ووجـــد قــد طــويْــتُ يــكــاد مــنــه ضــمــيــرُ الــقــلــب يــلْــتــهــبُ الــتــهــابــا

فوقف على (العتابْ) و(أصابْ) كما يفعل ذلك في الكلام، وأثبت الألف في (الالتهاب) لأنها ثابتة في الكلام: لأنها بدل من بدل التنوين. و(أصاب) فعل لا يدخل عليه التنوين. و(العتاب) فيه ألف ولام فلا يدخله تنوين. وإذا كانت الياء والواو اللتان من نفس الكلمة في قافية وكان ما قبلها حرف الرّوِيّ فإن بعض العرب يحذفها في الوقف. قال الشاعر[٤٣]: (الكامل)

ولأنـــت تــفْــري مــا خــلــقْــت وبــعْــ ــضُ الــقــوْم يــخْــلــقُ ثُــمَّ لا يــفْــرْ

يريد (يفْري) لأن الراء حرف الرّوِيّ. وقال[٤٤]: (الطويل)

عـــدوك يخشى صولتي إنْ لقيته   وأنـــت عـــدوّي ليس ذاك بمستوْ

يريد (بمستوي) وكذلك حال الواو في قول الشاعر[44]: (الكامل)

صرمتك بعد تواصل دعْـدُ   (.......) بعض ما يبْدُ

يريد (يبدو) وإنما شبهها بحرف المد الذي يتبع القافية إذا ارتفعت تبعتها الواو وإذا انجرّت تبعتها الياء. وأما الألف في (قفا) و(مرمى) وأشباه ذلك إذا كانت لم تجئ لمد القافية إذا كان قبلها حرف الرّوِيّ فإنه يجوز حذفها في القوافي لأنا نُثْبِتُ في الكلام (الألف) فكل العرب تقول: (هذا قفا) و(هذا مرمى) في الوقف، وأكثرهم يقول: (هذا قاض) و(هذا رام) فيحذفها. فلذلك لم يجز حذف الألف في القافية لأنها تَثْبتُ في الكلام وشُبِّهت بألِفِ الإعراب التي لا يجوز حذفها في القوافي. وذلك قول رؤبة بن العجاج[46]: (رجز)

١ - داينتُ أروى والديونُ تُقْضى

٢ - فمطلت بعضاً وأدتْ بعْضا

فَتَثْبُتُ ألفُ (تقضى) كما تَثْبتُ ألف (بعض)، وأما قول الشاعر[47]: (رمل)

وقـبـيـلٌ مـن لـكـيـز شـاهـدٌ   رهْـطُ مـرجـوم ورهـطُ ابـن الـمـعلْ

يريد المعلى فترك الألف. فهذا خبيث وهذا اضطرار قليل. وإذا كانت الياء والواو حرف الرّوِيّ لم يجز حذفهما؛ لأنهما إذا حذفتا في الوقف بقي ما قبلهما على حرفين مختلفين لأن (يرمي) مع (يقضي) جائز إذا كانت الياء حرف الرّوِيّ و(يدعو) مع (يغزو) فلو حذفوا من (يدعو) و(يغزو) الواو لقالوا (يَدْعْ) و(يَغْزُ) فتختلف القوافي. والقافية يُلتزم فيها حرف واحد يكون في القصيدة كلها. وقد دعاهم حذف ياء (يقضي) وواو (يغزو) إذا كانتا وصلاً إلى أن حذف ناس من قيس وأسد الواو والياء اللتين هما علامة الإضمار وذلك قبيح شاذ شُبِّهتا بياء (يقضي) وواو (يغزو) ولأنهما ياءٌ مكسورٌ ما قبلها وواوٌ مضمومٌ ما قبلها كالواو والياء اللتين هما علامة الإضمار. فمما جاء محذوفاً إنشادُ بعضهم[47]: (البسيط)

لا يُبْعِدُ الله جيرانـاً تركتهُمُ   لم أدر بعد غداة البين ما صنعْ

يريد (ما صنعوا). وقال الآخر[48]: (الطويل)

وأعلمُ علم الحقِّ أنْ قدْ غويتُمْ   بني أسد فاستأخروا أوْ تقدّمْ

يريد (تقدموا). قال الراجز[49]: (الرجز)

كريمة قدرتهم إذا قدرْ

يريد: (إذا قدروا) وهذا مقيد. لو أدخل الواو لكسر البيت. وأنشد بعضهم[50]: (الكامل)

يـا دار عـبـلـة بـالـجـواء تـكـلـم   وعـمـي صـبـاحـاً دار عـبـلـة واسـلـم

يريد (تكلمي) و(اسلمي). وبلغني أن بعض العرب يحذف هاء الوصل في الوقف فينشد مثل[51]: (الكامل)

عفت الديار محلها فمقامها

(فمقام) بغير الهاء، والحذف في الهاء أبعد منه في الواو والياء: لأن الواو والياء شُبهتا (بالواو) و(الياء) اللتين تجيئان لمدّ القافية. والحذف في (يغزو) و(يتضي) أحسن منه في (صنعوا) و(تكلمي): لأن في (صنعوا) الواو حرف إضمار و(تكلمي) حرف إضمار، وواو (يغزو) و(ياء) يقضي ليستا كذلك. واعلم أنه جائز أن تدخل النون في لغة من قال[52]: (الكامل)

.... وبعـــــ ـضُ القوم يخلق ثم لا يفْرْ

فيحذف الياء، وفي لغة من قال[53]: (البسيط)

لمْ أدر بعْد غداة البيْن ما صنع

يجوز إدّخال النون ليتم الإبناء، كما أدخله[54]: (الوافر)

أقلي اللوم عاذل والعتابنْ

بعضهم ينشدها كذا

وأما مَنْ كان من لغته إثبات هذه الياءات والواوات، فإنه لا يدخل التنوين: لأنه قد أتم الإبناء ولزم المدة كمّا أراد مَدّ الصوت. وكذلك الألف إذا جاءت نحو (قنا) و(عصا) لم يجز أن تدخل عليها التنوين لتمام الإبناء إلا قبيحاً. وبعض العرب ينوّن (اضربْن) و(اضربنْ) و(يقْضْن) في القافية يريد (اضربوا) و(اضربا) و(يقّضي).

«تفسير ما يجوز أن يكون حرف الرّويّ مما لا يجوز أن يكونه»

كل حرف من حروف المعجم يجوز أن يكون حرف الرّويّ إلا الهاء في (طلحة) و(شهدة) والإضمار في (غلامه) و(داره)[55] وأشباه ذلك. وإذا جاءت الهاء لتُبيّن بها حركة الزاي من (اغْزُهْ) والميم من (ارمِه) فهذه الهاءات لا يكنّ إلا وصلاً: لأنها لحقت الاسم بعد تمامه؛ ولأنها زيادة. لأنه إذا قال (غُلامُه) و(دارُه) جرى الإعراب على ما قبل الهاء فلما اجتمع ذلك فيها مُنِعَت أن تكون حرف الرّويّ. فأما إذا كانت من نفس الكلمة، وكان ما قبلها متحركاً بأي الحركات كان، فإنه يجوز وصلاً: لأنها تُشبَّهُ بهاء الوصل لأنها هاء مثلها وما قبلها متحرك كالذي قبل هاء الوصل. وتلك الهاء نحو هاء (منبَه) و(أبْلَه) وأشباههما، وأن تكون حرف الرّوِيّ أحسن وأكثر، كقول الشاعر[56]: (رجز)

١ قالت أُبيلى لي ولم أُسبه

٢ ما السّنّ إلا غفلة المُدله

جعل الهاء رويّا. فأما إذا سكن ما قبل الهاء فلا يكون ما قبله ساكنا ويشبّه هذا به، وذلك مثل (وَجْه)

و(وَجيه) لا تكون الهاء فيها إلا حرف الرَّوِيّ. وأما الواو والياء والألف فانهن إذا كُنّ مدات توابع لحركاتهن أو كانت الألف بدلاً من التنوين. مثل (رأيتُ زيداً) و(لقيتُ عمراً) لم يكُنْ إلا وصلاً ولم يكن حرف الرَّوِيّ لأنهن تَوَلّدن من حركات حروف الرَّوِيّ فتبع كل منها حركته ليس لهن أصل في الكلام يَثْبُتن فيه. فإذا لحقن الاسم لغير ذلك. زوائد كنّ أو من نفس الكلمة. فأن يكُنّ حروف الرَّوِيّ، أحسن من أن تكون الزوائد: لأنهن يَثْبُتنَ في الكلمة في الوصل والوقف. فما كان منهن من نفس الكلمة فأن يكون حرف الرَّوِيّ أحسن. فالذي من نفس الكلمة (قَنَا) و(عَصَا) وياء (يرمي) و(يقضي) وواو (يغزو) و(يدعو) والزوائد نحو ألف (حُبْلى) و(غَرْثى) وياء (قراسي) و(ثماني) وواو (ثُنْدُوَة) و(عَرْقُوَة). وإنما جاز أن تكون هذه الزوائد أيضاً حرف الرَّوِيّ: لأنها بنيت على الكلمة. ولم تقع بعد تمام الكلمة وهذه الزوائد كلها والتي من نفس الكلمة يجوز أن يكُنّ روياً شُبِّهْنَ بالمدات لأنهن ياءات وواوات وألفات كالزوائد، وما قبلها حركته منها. وأما (اضْرِبُوا) و(اضْرِبي) و(اضرِبَا) وكل هذا الإضمار إذا كان الحرف تابعة له حركتُه فإنهن وصلاً أكثر وأحسن. لأن ألف (اضربا) لحقت (اضربْ) وألف (ضَرَبا) لحقت (ضَرَبَ) بعد تمامه. فلذلك كانت وصلاً أحسنَ: لأنها زوائد مع هذا في الفعل. وقد أجاز بعضهم أن يكُنّ روياً. ولا بأس به: لأنهن يَثْبُتنَ في الوصل والوقف. فهُنّ أقوى من المدّات. وهُنّ مع هذا جئن للمعاني. والمدات لم يُؤْتَ بهنّ لمعنى ليس في الكلمة قبل أن يحْدُثْنَ فيها.

وأما ياء (غلامي). فأن تكون وصلاً أجودُ. وكذلك أشعارهم كلها. لأن الياء لحقت (غُلام) بعد تمامه. ولأنها قد تحذف في بعض المواضع. بعض العرب يقول: (هذا غلامِ) يريد (غلامي) وقالوا: (يا غلامِ أقبِلْ) في النداء و(واغلاماه) فحذفوا الياء. فهنّ أضعف من ياء (اضربي) و واو (اضربوا) وقد جاءت روياً. وقال الشاعر[٦٧]: (رجز)

١ - إنـي امـرؤٌ أَحْـيـي ذمـار إخوتـي

٢ - إذا رأوا كـريـهـةً يـدْعـون بـي

فجعلها روياً. ومثلها[٦٨]: (الرجز)

١ - إذا تـغـدّيـتُ وطـابـتْ نفـسـي

٢ - فـليـس فـي الـحـيّ غـلامٌ مثـلي

جعلوها حرف الرَّوِيّ. وسمعنا بعض العرب ينشد هذين البيتين[٦٩]: (الرجز)

١ - بـالـخـيـر خـيـرات وإنْ شـراً فـا

٢ - ولا أريــدُ الـشـر إلا أنْ تـا

يريد: وإن شراً فَشَرٌّ. وإلا أن تا: أي تأبى. جعل الألف حرف الرَّوِيّ فتزعم أنه أظهر الفاء كلها والتاء. ولم يرد أنه يصل الفاء بحرف المدّ. ولكنها ألف التاء فهي من نفس الكلمة. ومثل هذا قوله[٧٠]: (رجز)

١ - قـد وعـدتـنـي أم عـمـرة أن تـا

٢ - تمشط رأسي وتفلّيني وا

يريد (وتفعل) فقال (وا) فهذا لا يجوز فيه أن يريد الواو؛ لأنه قد حذف الواو الأخيرة. فإن شئت [جعلت البيتين][٥٩] الأولين على هذا الحد. جعلت الألفات توابع للفتحة وجعلتها حرف الرّوِيّ. وهذا شاذ لا يقاس عليه. وإن شئت قلت: أظهروا التاء والفاء كلها واضطروا في الواو فحذفوا الأخيرة كما قالوا[٦٠]: (الرجز)

١ - قواطناً مكة من ورق الحمى

يريد: (الحَمام). وكما قال[٦١]: (الطويل)

ولاك اسقني إنْ كان ماؤك ذا فضْل

يريد: (ولكن) وهذا الذي نختار لأنا قد رأينا مثل هذا في الشعر، ولم نر ألفات المد يَكُنّ رويّاً. وأما ياء (قرشي) و(ثقفي) وكل ياءات النسبة إذا خُفِّفْنَ في الشعر فأنت فيهن بالخيار إن شئت كنّ روياً وإن شئت وصلاً. وإنما حسن أن يكُنّ روياً؛ لأنه حرف مخفف من مثقل قوي قد لزم الكلمة وثبت فيها في كل موضع وقد غيّرت له الكلمة في غير موضع قالوا: (قُرَشِيّ) فأسقطوا ياء (قريش) وقالوا: (طائي) فغيروا بناء (طيء) وقالوا: (حارِيّ) في (الحيريّ) فغيروا لفظ (الحيرة) في قولهم: (حاري). ومما جاء حرف الرّويّ منه وهو مخفف قول الشاعر[٦٢]: (رجز)

١ - إني لمن أنكرني ابن اليثربي

٢ - قتلت علباء وهند الجملي

٣ - وابناً لصوحان على دين علي

فجعل الياء روياً. فإذا كانت الياء مُثَقّلَةً لم تكن إلا روياً؛ لأن حرف الوصل لا يكون إلا ساكناً مخففاً. فلما تحرك قوي واشتدّ.

وإذا قال الشاعر: (حماها) و(رماها) أو (فيها) أو (حصاها) أو (يغزوها) فالهاء حرف الرّويّ وتكون وصلاً لساكن. وقد قالوا (فيها) و (فوها) في قصيدة واحدة. من ذلك قول الشاعر[٦٣]: (بسيط)

قسْ بالتجارب أغفال الأمور كما　　تقيس نعلاً بنعل حين تحذوها

أموالنا لذوي الميرات نجمعها　　ودُورنا لخراب الدهر نبنيها

فجعل الهاء رويا، فهذا يدل على أن الهاء حرف الرّويّ. وإن كان الشاعر قد يلزم ما قبل الهاء كما يلزم في (غلامهم) و (سلامهم) وأشباههما. وكذلك كل حرف قبل الهاء ساكناً. ومما يقوي ذلك أن (ظَبْياً) و (جدْيا) لا تكون الياء فيهما إلا حرف الرّويّ لسكون ما قبلها؛ لأنها إنما تكون وصلاً إذا كانت تابعة لحركتها.

وإذا قال الشاعر (تعالَي) أو (تعالَوا) لم تكن الياء والواو إلا حرف الرّويّ لأن ما قبلهما انفتح. فلما

صارت الحركة التي فيهما غير حركتهما ذهبت قوتهما في المدّ وكثر لينهما، وكذلك (اخْشَيْ) و(اخْشَوْا). وكل ياء وواو انفتح ما قبلها كذلك. وكذلك هذه الياء والواو إذا تحركتا لم تكونا إلا حرفَ الرَّوِيّ، لذهاب المد واللين. وذلك قولك (رأيت قاضياً) و(رامياً) و(أريدُ أنْ تَغْزُوَ) و(تَدْعُوَ) في قافيتين من قصيدة كقول الشاعر[٦٤]: (الطويل)

ألا ليت شعْري هلْ يرى الناسُ ما أرى ... منَ الأمرِ أو يبدو لهم ما بدا ليا

أراني إذا ما بتُّ بتُّ على هوًى ... وثمّ إذا أصْبحْتُ أصبحتُ غاديا

فجعل الياء روياً. وإذا قال: (اقْمطَرّتْ) و(اسْبَطَرّتْ) لم تكن التاء إلا حرف الرَّوِيّ؛ لأنها ليست بحرف ضعيف تشبه حرف اللين مثل الهاء، ولم تدخل على كل ما أُدخِلَتْ عليه الهاء مما ذكرنا. إلا أن الشعر قد يلزم ما قبل التاء كثيراً لِشَبَهِهَا بالهاء؛ لأنها تجيء للتأنيث كما تجيء الهاء؛ ولأنها قد تكون اسماً مضمراً كما تكون الهاء، وتزاد كما تزاد. قال الشاعر[٦٥]: (طويل)

وأشْعثَ يشْهى النومَ قلتُ له ارتحلْ ... وإذا ما النجومُ أعرضتْ فاسْتطرّتِ

فقام يجرُّ الثوبَ لو أنَّ نفْسه ... يقال له خُذْها بنفْسك خرّتِ

فلزم الراء في القصيدة. وقد يجيء ما قبلها مختلفاً. قال الشاعر[٦٦]: (الرجز)

١ - الحمد لله الذي استقلَّتِ

٢ - بإذنه السماءُ واطْمأنَّتِ

٣ - بإذنه الأرضُ فما تعتَّتِ

٤ - الجاعل الغيثَ غياثَ المُسْنتِ

٥ - وحى لها القرارَ فاستقرّتِ

٦ - وشدَّها بالراسيات الثُّبَّتِ

فجعل التاء روياً، وقال الطرماح[٦٧]: (الطويل)

حتى استقادتْ قيْسُ عيْلان عنوةً ... وصامتْ تميمٌ للسيوف وصلَّتِ

تركتم غداةَ المرْبديْن نساءكم ... لقحطانَ أهْلِ الشام لما اكفهرّتِ

فأتى باللام والراء في قصيدة واحدة. وكذلك حال الكاف في الشعر. إذا قال (جمالك) و(فعالك) فالكاف حرف الرَّوِيّ. وقد يلزم ما قبلها في أكثر الشعر، وقد يترك كثيراً وإنما يلزم ما قبلها لأنه يُشَبِّه الكاف بالهاء لأنها حرف إضمار كالهاء، وأنها تدخل كدخول الهاء وتكون الكاف اسماً للمجرور والمنصوب كالهاء. وكذلك إذا قال (جمالهم) و(فعالهم) الميم حرف الرَّوِيّ. وقد يلزم الشاعر ما قبل (كُمْ) و(هُمْ) كثيراً؛ لأنها تشبه الهاءَ لأنها حرفُ إضمار كالهاء، وقد تكون الكاف روياً فتلحقها كما لحقت الهاء. قال الشاعر في الكاف[٦٨]: (الطويل)

قفي لا يكنْ هذا تعلّة وصلنا لبين ولا ذا حظّنا من نوالك

ثم قال[69]: (الطويل)

أبرّ وأوفى ذمة يعقدونها إذا وازنت شمّ الذرى بالحوارك

فجعل الكاف روياً. وقال آخر[70] في (هُمْ): (الطويل)

تذكّر ذحلاً عندنا وهو فاتك من القوم يعزوه اجتراء ومأثم

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وأنكرت الوجوه هُمُ هُمْ

جعل الميم روياً.

تفسير ما يجوز تقييده وإذا أطلق كان شعرا مما لا يجوز ذلك فيه

أما قول الأعراب[71]: (متقارب)

تمرُّ كجندلة المنجنيـ ـق يُرمى بها السُّور يوم القتالْ

وقوله[72]: (مجزوء الكامل)

يا بشر والأفتال يضـ ـربها لذي اللُّبِّ الحكيمْ

وقوله[73]: (رمل)

يا بني الصيداء ردّوا فرسي إنما يفعل هذا بالذليلْ

فكل هذه الأبيات إذا أُطلقن كنّ شعراً. إلا أنه يجوز تقييده؛ لأن قبله بناءً أقصر منه وبعده بناءً أطول منه. فكأنه قصّره عما بعده ومدّه عمّا قبله لأن قوله (يرمى بها السور يوم القتالْ) (فعُول) وقبلها (فعَلْ) فكأنه مُدّ من (فعَلْ) كما يُمَدُّ في الشعر (مَساجد) فيقول (مساجيدُ) و(ضَوَارِب) فيقول (ضواريبٌ) فيَمُدُّ ما لا يُتكلمُ به إلا غير ممدود بالياء. وكذلك قوله (إنما يفعل هذا بالذليل) كأنه ممدود عن (الذّلِّ) وكذلك (يضربها لذي اللُّبِّ الحكيم) كأنه ممدود عن (الحُكمْ). وأمّا قوله[74]: (الطويل)

ستُبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزوّدْ

فهذا لا يجوز تقييده؛ لأن ليس قبله بناءٌ تُكلّم به يكون هذا ممدودا عنه. ولو جاء (مَفاعيلْ) في الطويل مقيّداً كان لا بأس به يكون ممدوداً عن (فعولن) وقد قاله بعض الشعراء[75]: (طويل)

صليت بها أسدي والحم أمرها وقد نام عنها كلُّ أغيد غفالْ

وقال سراة القوم إذ قلت خطتي: أطيعوا أخاكم إنما القول ما قالْ

وأما قوله[76]: (متقارب)

صفيّة قومي ولا تعجزي وبكّي النساء على حمزهْ

فإنه إن شاء أطلقه فجعل الرَّوِيّ التاء، وإن شاء تركه على حاله فهو مطلق بالهاء، وجعل الزاي روياً: لأن الهاء وصلٌ وهذا كقوله[٧٧]: (رجز)

بـــازلٌ عـــامـيْـن حـديـثٌ سـنِّـي

فقد أطلقه، وإن شاء (سِنِّيا) فجعله (مستفعلن) وجعل الياءَ حرف الرَّوِيِّ. فمما أطلق من هذه الهاء قول الشاعر[٧٨]: (الكامل)

شَطَّتْ تُماضِرُ غُرْبَةً فاحْتَلَّت فَلَجاً وأهْلُكَ باللِّوى فالحِلَّة

يريد: (فالحِلَّه). ثم قال:

فكأنّ بالعينين حَبَّة فُلْفُل أو سُنْبُلا كُحِلَتْ به فانْهَلَّت

ذَرَّتْ بأزْزاق الغُفاة مغالقٌ بيديّ من قَمَع العِشار الجِلَّة

يريد: (الجِلَّه) وقال آخر[٧٩]: (راجز)

١ أقولُ إذْ جِئْنَ مُذَبَّحات

٢ - ما أقْرب الموت من الحياة

يريد: (الحياه) وقال آخر[٨٠]*: (وافر)

يَـرُزُّ على ذوات الضِّغْن منها كما عَضَّ الثِّقاف على القَناة

يريد: (القناه) وقال فيها:

ألم تَزَع الفتى إذ لم تُواتِ بلى وصَحَوْتَ عن طلب الفَتاة

يريد: (الفتاه). فمن وقف من أهل القوافي على التاء فعلى لغة من يقول (حَمْزَتْ) و(طَلْحَتْ) و(شَهْدَتْ) لغة لبعض العرب[٨٠]** يقفون بالتاء على جميع الهاءات. وإذا اضطر الشاعر فأراد أن يحرك ما قبل القافية وكان ساكناً. نحو ميم (عمْرو) وكاف (بَكْر) وراء (بِزْع) وميم (رمْح) وعين (دَعْد) وميم (جُمْل) ونون (هِنْد) فإذا أراد أن يحرك أوساطهنّ والقوافي مرفوعةٌ قال: هذه هِنُدْ وهذه دَعُدْ وجُمُلْ. فضَمّ. وإن كان مجروراً قال: مررت بدَعِد وهِنِدْ وجُمِلْ. فأما (دَعُدُ) فلا تفتح في النصب. كل هذه لغات للعرب على ما ذُكِر. فإذا اضطر الشاعر إلى حركة عين (دَعْد) حرّكها بالفتحة. لأنها أقرب إليها لأن الدال مفتوحة فأُتْبِع. كما قالوا: تَمْرَةٌ وتَمَرَاتٌ وضَرْبَةٌ وضَرَبَاتٌ فحركوا الميم من تَمْرة والراء من ضَرْبة على فتحة ما قبلها، قال الشاعر فيما اتبعَ فيه حرف الرَّوِيِّ ما قبله[٨١]: (الرجز)

أنا ابنُ ماوِيَةَ إذ جَدَّ النَّقُر

فرفع القاف، وإنما أراد النَّقْرَ. وقال آخر فكسر مع الكسرة[٨٢]: (الكامل)

إنّ الرَّزِيَّة ما لها مِثْلٌ فُقْدانُ مَنْ يَنْمي إلى الحَزْم

وقال[٨٣]: (الرجز)

برجل طالت وبوء منشط

وإذا كانت قافية فيها (حُبْلى) و(قَنا) فأحسنُ ما يكون أن تقول (حُبْلَى) فتفتح ألفها لأن فتحها لغة ولا تُميل ألف (قنا) لأنهم لا يُميلونها وإن شئت تركتها يعني (حبلى) على إمالتها مع (قنا) فهو جائز كثيرٌ في الشعر، لأنهما ألفان جميعا. قال رؤبة[84]: (الرجز)

١ - داينتُ أروى والدُّيون تُقْضى

٢ فمطلت بعضاً وأدت بعْضا

ثم قال[85]: (الرجز)

أصبح أعْداءُ تميم مرْضى

بإمالة. أخبرنا أبو عبيدة[86] أن رؤبة كان ينشد (مرضى). وزعم أبو عبيدة أن العرب تقول: (حُبْلَى) مع (قنا) في أشعارها. وكذلك (هُدى) مع (قَنا) وإذا قال الشاعر (رأيتُ ظبيًا) مع (رأيتُ حيًّا) كان جائزاً. لأن ياء (حيّ) حرف الرّوي. وياء (ظبْي) و(جَدْي) كذلك وياء (حَيّ) الأولى ليست بِرِدْفٍ لأنها من حرف مُعْتَلٍ قد ذهب لينُه ومدُّه. وإذا قال الشاعر بيتاً فأطلقه نحو قوله[87]: (رجز)

١ - ما تَنْقِمُ الحربُ العوانُ منّي

٢ بازلُ عامين حديثُ سنّي

فإنه إن شاء تَرَكَهُ على هذه الحال. جعله (فَعُولُنْ) و(مَفْعُولُن) وإن شاء قال (منِيًّا) و(سنِيا) فجعل الياء حرف الرّوي. وإنما جاز أن تدعه (فَعُولُنْ) و(مفعُولن) لأنه قد أطلقه بالياء ولم يقيده. وإن قال الشاعر في قافية (اقتَدِه) و(اعْتَدِهْ) يريد الهاء التي تُبيَّنُ بها الحركةُ لم يَجُزْ أن يَصِلَ بها فيقول: (اقتَدِهي) و(اعْتَدِهي) لأن هذه الهاءَ قد دخلتْ لتُبيّنَ بها الحركة. فإذا اتصل بالحركة كلام غيرها حذفت. وإذا قال في قافية (هَذا خالِدْ) و(هذا عُمرْ) في لغة الذين يُثقِّلون في الوقف. جاز أن يصل بها لأنها حرف مُعْتَلّ. وقد يوصل بمثله لأن عمر بمنزلة (جَدبّ) في التثقيل. ولأن بعض العرب قال (أبيضُهْ) يريد (أبْيَضْ) فثقّل. وأما إجازة الياء مع الواو في الردف ولم تجز الألف إلا منفردةً وحدها فذلك لأن الياء أقرب إلى الواو من الألف إليها. لأن حركة كل واحد منهما قد تنتقل إلى صاحبتها. فالياء قد يكون ما قبلها مَضْمُوما في (سُيُور) و(بُيُوت) و(فُيُون) والواو قد يكون ما قبلها مكسوراً في (الطِّوال) و(الجوار) و(الحِوار) وقد تكونان مجتمعتين في حركة واحدة نحو (عَوْن) و(زَيْن) و(بَيْن) و(عَيْن) فيكون ما قبلهما مفتوحاً. والألف لا تنتقل عن الفتحة إلى غيرها. فهي أبعد منها شبها من كل واحدة منهما مع صاحبتها حتى تصير الياء واواً والواو ياء في قوله (اللّيّ) و(الطّيّ) من (لويتُ) و(طويْتُ) وإذا قال في قافية: رأيت رَحى وهذه رَحىً لم يكن إقواءً أن جعل الألف رويا أو كان مقيدا كقوله[88]: (رمل)

أرق العين خيالٌ لم يدع من سُليمى ففؤادي مُنتزع

فـ (منتزعُ) مرفوعٌ و(يدعُ) مجزوم فجاز لأنه مقيدٌ. وإن جعل الحاء حرفَ الرَّوِيّ فقد لَزِمها الفتح فلم

يُقْوِ في الوجهين جميعاً.

وأما السريع فقد جاء فيه (فَعِلُنْ) و(فَعْلُن) لأنهم شبهوه بـ (مُتَفَا) من (مُتَفَاعِلُن) مع (مُسْتَفْ) من (مُسْتَفْعِلن). وذلك أن الخليل كان يجعله إذا كان (فَعْلُنْ) (مَفْعُو) من السريع. وإذا كان (فَعِلُنْ) (مَفْعُلا) من (مَفْعُلاَتُ) وألزموا هذا الإبناء التقييد ليّبلغوا بـ (فَعِلُن) (فَعُلُنْ). لأن حرف الرَّوِيِّ أقوى من الوصل. لأنه يثبت في الوصل والوقف ولا يحذف من الشعر البتَّةَ. وقال قوم: (فَعْلُن) جاء مع (فَعِلُنْ) فأسكن لأن أصله (مَفْعُو) كما قالوا (فَعِلاَتُن) في الكامل فأجازوا إسكان العين. فأما السريع فقوله[89]:

النَّشْرُ مِسْكٌ والوُجُوهُ دنانيرٌ وأَطْرافُ الأَكُفِّ عَنَمْ

فقال: (فَعِلُنْ) مع (فَعْلُنْ) وقد جاء (فَعْلُن) مع (فَعِلُنْ) في الكامل وهذا تقوية للسريع. وذلك قوله[90]: (الكامل)

مِنْ آلِ ليلى دِمْنةٌ وطَلَلْ قد أَقْفَرَتْ فيها النَّعامُ زَجِلْ

ثم قال:

ولقد غَدَوْتُ بسابحٍ هَزِجٍ ومعي شَبابٌ كُلُّهُم أَخْيَلْ
ساطي الجِراءِ كأنَّه وَعِلٌ نَهْدٌ مُمَرٌّ خَلْقُهُ مُكْمَلْ
مُنْتَصِبٌ شَعَراتُ غُذْرَتِه فيزينُه عند المِراحِ خُصَلْ

فقال: (زَجِلْ) و(أَخْيَلْ) و(مُكْمَلْ) و(خُصَلْ) فجاء بـ (فَعِلُنْ) مع (فَعْلُنْ) وهذا الشعر شاذ قليل كان الخليل لا يعرفه. وقد جاءت أبنية كثيرة مما هو على غير أبنية ما ذكر الخليلُ قد ذكرتها في كتاب العروض.

تفسير ما يجوز أن يكون تأسيسا وما لا يجوز ذلك فيه

فإذا كانت القافية آخر كلمة، كان حرف التأسيس في كلمة قبلها تليها. فليس بحرف في أكثر أشعارهم. لانفصالها وتباعد الألف من حرف الرَّوِيِّ. لأن بينها وبينه حرفاً متحركاً. وذلك نحو قول الشاعر[91]: (رجز)

١ - فهُنَّ يَخْجُون به إذا حجا
٢ عكْفَ النَّبيط يلْعبُون الفنْزجا

وقال[92]: (رجز)

١ - وطال ما وطال ما وطال ما

٢ - غلبْتَ عاداً وغلبتَ الأعْجما

فلم يجعل الألف تأسيساً، وهي الكلمة التي القافية فيها. وقد قالوا: (الخَاتَم) مع (المُعَلَّم) وهو مثل (العالَم) و(الأكْرَم)[93] فلما جاء فيما هو متصل بحرف الرَّوِيّ لزم ما كان منفصلاً، لضعف المنفصل. مع أنه قد يجوز أن يكون تأسيساً إذا كانت الكلمة التي بعد حرف التأسيس مضمومةً فمن ذلك قول الشاعر[94]: (الطويل)

ألا ليْت شعْري هلْ يرى الناسُ ما أرى   منَ الأمرِ أوْ يبْدو لهُمْ ما بدا ليا

بدا لي أنّي لستُ مُدرِك ما مضى   ولا سابق شيئاً إذا كان جائيا

جعل الألف من (بدا) حرف التأسيس و(لي) منفصلة يتكلم بها وحدها إلا أنها مضمرة. وقال آخر[95]: (الطويل)

إذا بدّلوا عشرين ألف تعرّضتْ   لأمّ حكيم حاجةٌ هي ماهيا

لقدْ زدْت أهل الدين عندي مودّةً   وحبّبْت أضعافاً إلى المواليا

فجعل ألف (ما) حرف التأسيس وهي منفصلة كلها على حالها. إلا أنّ (هِيَ) المضمرة. وقد أجيز أنْ يقال (بَدَا بَدَا) مع (جابذا) فجعلها ألف التأسيس. (بَدَا) هي كقوله: (هِيَ مَا هِيَ). ومما يقوي أن (هِيَ) اسم منفصل أنك إن شئت لم تجعل الألف تأسيساً. وجعلت (هي ما هي) مع (يَرْمِي) بياء. كما قال العجاج[96]: (رجز)

فهُنَّ يحْجُون به إذا حجا

عكف النبيط يلْعبون الفنْزجا

فلم يجعلها تأسيساً. وإذا قال: (هذا غُلامُكَ) و(سَلامُكَ) و(فِرَاقُكَ) لم تكن الألف إلا تأسيساً لأن الكاف لا يَنْفصلُ من الغلام فكأنها بعضُها. فإذا كان الإضمار يَنْفصل فيتكلم به دون ما قبله فهو كغير المضمر في قُوَّته. إلا أن العرب قد تُصَيِّر الألف للتأسيس إذا كانت من كلمةٍ وكانت الكلمة التي تليها فيها إضمار، نحو (هِيَ) و(لي) وذلك أكثر في أشعارهم لقرب شَبَهِها من الإضمار الذي لا ينفصل نحو (غلامك) لأنه إضمار، كما أنّ هذا إضمار. وإن شئت لم تجعلها تأسيساً. وذلك جائز كما قال[97]: (الرجز)

١ - وطال ما وطال ما وطال ما

٢ - غلبتَ عاراً وغلبْتَ الأعْجما

فلم يجعل ألف (طال) حرف تأسيس و(ما) حرف ضعيف على حرفين كضعف المضمر. وأما الردف فإذا كانت الكلمة فيها الألف وحرف الرَّوِيّ من كلمة أخرى فهو ردف على مثال (حَبَالَهْ) ولو كانت القافية والألف من كلمة واحدة لقربه من حرف الرَّوِيّ واتصاله به. قال الشاعر[98]: (الرجز)

أنـيـن ثـكـلـى فـقـدت حـمـيـمـا

فـهـي تـرثـي بـأبـي وابـنـيـمـا

جعل الميم حرف الرَّوِيِّ وجعل ياء ابني ردفا، و(ما) منفصلة من ياء (ابني).

تفسير الإيطاء

كان الخليل يزعم أن كل ما اجتمع لفظاه واتفق معنياه أو اختلفا من الأسماء مع الأسماء والفعل مع الفعل فهو إيطاء، لأن الإيطاء عنده إنما هو ترديد اللفظين المتفقين مع الجنس الواحد. فكأن الإيطاء عنده: أنت (تضرب) للرجل، وللمرأة هي (تضربُ) فهذا فعل في لفظ واحد والمعنى مختلف، وأمّا الأسماء فقوله: (هذا أمرٌ جَلَلٌ) و(هذا أمرٌ جلل) يريد بالأول تصغير الأمر. وبالثاني تعظيم الأمر لأنهما لغتان[**]. يقول بعض العرب: هذا أمر جَلَلٌ. أي عظيم **وبعضهم يجعله للصغير. وأشد** ما يكون الإيطاء أن يقول في قافية (عُمَر) وفي الأخرى (عُمر) فيجيء باسمين ليس فيهما معنى أكثر من الاسم. أو يقول: (ضَرَب) يريد به الفعل. ثم يقوم في أخرى (ضَربَ) يريد به الفعل أيضا وكلما تدانى البيتان كان ذلك أقبح. وكلما كان هذا الإيطاء في قصة واحدة لم يَسْلُكْ غيرها فهو أيضاً أقبح. فإذا كان في سباب[] فخرج منه إلى مدح وفي مدح فخرج منه إلى هجاء فهو أحسن: لأن ابتداءه صنعة أخرى كابتدائه في قصيدة أخرى. ألا ترى أنه يقول عند الفراغ من السباب أو غيره (دَعْ ذا) أو (عَدِّ ذا) أو (فَعَدِّ ذا) أو (فَعَدِّ عنه). هذا في الشعر كثير يغلب عليه.

وإذا قال الشاعر (ذَهَب) في قافية يريد الفعل وقال في أخرى (ذَهَبٌ) يريد الذَّهَب لم يكن إيطاء: لأن أحدهما اسم والآخر فعل فاختلف جنساهما. فصارا كالمختلفين في لفظهما عندهم. وإن قال (عَمِل) يريد الفعل. ثم سَمّى به رجلاً فقال (عمِلَ) في أخرى يريد الاسم، لم يستحسن أن يكون إيطاءً: لأنه قد خرج من الفعل وصار اسماً لا يراد به الفِعْل.

وإذا قال (هذا لِرَجُلْ) و(أنت كرَجُلْ) في قافيتين كان إيطاء، لأنَّ الكاف واللام دخلتا على (رجل) وإذا حذفتا منه لم تُغَيِّرْ بناءَه. فصار (لرجل) وأنت (كرجل) بمنزلة (غلام رجل) و(دار رجل).

وإذا قال الشاعر (تَضْربُ) و(يَضْرِبُ) فليسا بإيطاء لاختلاف الفعلين: ولأن الياء والتاء لن تدخلا على (ضرب) كالكاف واللام اللتين دخلتا على (رجل)، لأن الضاد هاهنا ساكنة. ولو حذف الياء والتاء تحركت لأنها تصير أول الكلمة. فهذا دليل على أنها كلمة على حيالها. وإذا قال (لم تضربي) للمرأة (ولم تَضْربِ) للرجل اسْتُحْسِنَا، إلا أن يكون إيطاءً لاختلاف اللفظين والمعنيين. وإن دخلتا على (تَضْرِب) فإن (تضربي) للمؤنث. و(تضرب) للمذكر فلما اجتمع هذا فيه. تباعد من أن يكون إيطاءً. وكذلك (لم يضربوا) مع (هو يضربُ).

وإذا قال: (هذا غلامي) يريد به الإضافة، ثم قال (ومن غلام) لم يكن إيطاء عند بعضهم لاختلاف اللفظين: لأن الأول (غلامي) والآخر (غلام) وأنه معرفة والآخر نكرة. فلما اجتمع هذا فيه لم يُجْعَل إيطاءً

فصار كـ (تضربي) للمرأة و(تَضْرِب) للرجل وهذا الذي استُحسن، وكذلك (هذا رجل) و(هذا الرجلُ) ليس بإيطاء. والذي يجعل (غُلاَمِي) و(غُلام) إيطاءً لا يجعلُ (رجلٌ) و(الرجلُ) إيطاءً وهو في القياس سواء، وإذا قال (طال ذا) و(مالَ ذا) لم يكن إيطاءً إذا جعل الذال حرفَ الرَّوِيِّ؛ لأنه لا بد له من تكرير حرف الروِيّ وحرف الوصل، وإذا جعل الألف رَوِيّاً كان إيطاء. لأنه يصير مثل (يَدٌ) و(يَدٌ) في قافيتين. ونحن نستحسنُ أن يكون إيطاءً.

تفسير ما يلزمه أن يكون في قافيته حرف المد مما لا يلزمه ذلك فيه

وحروف المد: الألف والياء والواو، إذا كانت ساكنة. وإنما يَقِفْهُنَّ في القوافي أو ما أَشْبَهَهَا وإنما يلزم حرف المدّ من القوافي ما حذف منه ساكن أو حركةٌ فأما أكثر من ساكن أو حركةٍ فلا. لأن المدَّةَ لا تبلغُ قُوّتها أكثر من أن تقوم مقام ساكن أو حركة لأنها كانت حركةً. فإذا كان الحذف أكثر من حرفٍ أو حرفاً متحركا تفاقم وكثُر. فلم تكن المدَّة عِوضاً لكثرته وضَعُفَتْ المدَّة أن تبلغَهُ حتى تقوم مقامَهُ، فما لزم حرف المدّ (فَعُولُنْ) في الطويل. لأنه محذوف عن (مَفَاعِلن) فإنما حذفت النون الساكنة وأسكنت اللام لأنها صارت قافية. ويلزم (فَاعِلاَن) في المديد. لأنه محذوف عن (فاعلاتن). ويلزم (فَعْلُنْ)(**) منه لأنه محذوف عن (فَاعِلُنْ)(100). ويلزم (فَعْلن) في البسيط. لأنه محذوف عن (فاعلُن) في قول الخليل. وهو في قول من لم يُثْبت الدوائر مسكَّنٌ عن (فَعِلُنْ). فأما (مستفعلان) فأجازه قوم بغير حرف مَدّ لأنه قد تمّ وزيد عليه حرفٌ(101) وألزمه المد آخرون لأنه التقى فيه الساكنان فثقل ذلك في الشعر فمدوه لتكون المدَّة كلها حركة فيه(102) وأجازته بلا تليين لتمامه. وأما (مَفْعُولُن) منه فيلزمه المدّ لأنه محذوف عن (مستفعلن)(103). وأما الوافر فلا يلزم (مفاعيلن) منه حرف المدّ لأن السكون وقع في موضع الردف وليس بعده(104). ولا يلزم الذي آخره (فعولن) لأنه حذف منه حرفان في قول الخليل وهو يلزم في قول من لم يثبت الدوائر(105).

وأما الكامل. فيلزمه حرف المد في (فَعِلاتُن) منه لأنه محذوف عن (مُتَفَاعِلُن) ولا يلزم (فَعِلُنْ) منه حرف مدّ. لأن (فَعِلُن) هي (مُتَفَا) مِنْ (مُتَفَاعِلن) سكنت التاء فصارت (فَعْلُن) فصار جائزاً لذلك لكثرة إسكان هذا الموضع بالزحاف(106) ويلزم (مَتفاعلن) في الكامل لأنه حذف من (مُتَفَاعِلاتن)(107).

وأما الهزج فلا يلزم (فعولن) حرف مد لأنه حذف منه حرفان(108). وأما الرجز. فإنه يلزم (مَفْعُولُن) منه المد لأنه محذوف من (مستفعلن)(109). وأما الرَمَل فيلزم (فاعلان) المد(110) لأنه ناقص من (فاعلاتن). وأما (فاعِليّان) فحاله كحال مستفعلان فيما ذكرت لك.

وأما السريع. فيلزمه في (فاعلان) لأن نون (فاعلان) مسكنة عن تاء (مفعولاتُ) في قول الخليل(111)، وفي قول الآخر(112) لم يحذف منه شيء، إلا أن المدّة إنما استحسنت فيه لالتقاء الساكنين و(مفعولان) يلزمه لأنه ناقص من (مفعولات) مسكّن عنه في قول الخليل(113). وفي قول من لم يثبت الدوائر هو تام واستحسن فيه لالتقاء الساكنين. وأما (مَفْعُولن) فلا يلزمه المد(114) لأنه حذف التاء من (مفعولات) وهي

متحركة، والمد للساكن.

وأما المنسرح، فإن حال (مفعولان) فيه و(مَفْعولن) كحال السريع[115] وأما الخفيف، فإنه يلزمه في (فَعُولن) لأنه ناقص من (مُسْ تَفْعِ لُنْ)[116] وإنما ينظر إلى نقصان ما نقص من السبب الذي يلي القافية وهو في أول الجزء، وسَبَبٌ هذه حاله، لم يلزمه حرف مَدّ لأنه يصير قبل الردف وإنما يكون الردف عوضاً لما بعده: لأن المدة منه إنما هي بعد لفظك به، إنما ذكرنا هذا لأن (فعولن) في الخفيف قد سقط منه حرفان من (مُسْ تَفْعِ لُنْ) إلا أن أحدهما السين من (مُسْ تَفْعِ لُنْ) وهي من أول سببي الجزء وقبل الردف، والآخر نون (مُسْ تَفْعِ لُنْ).

وأما المضارع والمقتضب والمجتثّ، فليس فيها حرف مد لتمام أواخرها. وأما المتقارب فيلزم المد (فَعُولْ) منه[117] لأنه حذف من (فعولن)، وقد التقى ساكنان مع هذا، فالمدّ له أَلْزَمُ إذ كان الساكنان، وإذا انفردوا كان لزوم حرف المد أحسن. فلا يقع حرف المد في قافية قبل آخر حروفها حرفان متحركان نحو (مفاعلن) في الطويل وإن كان محذوفاً من (مفاعيلن) لأن حرف الردف لا يقع فيها لأن الموضع الذي يكون به من (مفاعلن) متحرك، وهو لا يكون إلا ساكناً، فإن أدخلوه متحركاً أدخلوه ولا لين فيه فصار كسائر الحروف، وكل هذه القوافي قد يجوز أن تكون بغير لين لأن الإبناء دائم صحيح على مثل حاله بحرف اللين. وقد قالوا بعض ذلك في أشعارهم. قال الشاعر[118]: (الكامل)

ولقد رحلتُ العنْس ثمّ زجرْتُها قدماً وقالتْ عليك خيْر معدّ
وعليك سعْد بن الضباب فسمّحي سيراً إلى سعْد عليك بسعْد

فهذا (فَعِلاتنْ) في الكامل بغير مد. وقال[119]: (مشطور السريع)

١ - رخّين أذيال الحقيّ وارْبعْنْ
٢ - مشي حيِيّات كأنْ لم يفْزعْنْ
٣ - إنْ تمنع اليوم نساءٌ تمْنعْنْ

فهذا (مفعولان) في السريع. وقال[120]: (مشطور السريع)

أنا جريرٌ كنيتي أبو عمْرْ

مثله، فكلها لم يلزم حرف المد، فكذلك سائرها نجيزها إذا قيل، وإن يكن بمد أحسن لكثرته ولزوم الشعراء إياه في أشعارهم (هذا)* آخر كتاب سهكل[121] وفي كتاب أبي جعفر أحمد بن فوذك[122]. وأما الهاء التي من الأصل فتكون روياً وتكون وصلاً، فما جاءت فيه روياً قول رؤبة[123]: (الرجز)

١ - قالت أبَيْلى لي ولم أُسبِه
٢ - ما السن إلا غفلة المُدلّه
٣ - لما رأتني خلق المُمّوه
٤ - برّاق أصْلاد الجبين الأجْله

وإذا انفتح ما قبل الواو والياء لم يكونا وصلاً. لأن الوصل لا يكون للساكن، إنما يكون للمتحرك. فمما جاءت فيه الهاء روياً لسكون ما قبلها: سمعت مَكْوَزَة[١٢٤] ينشد يونس: (الرجز)[١٢٥]

١ - ليس خليي بالخليل أنساه

٢ - حتى أرى مُصْبحه ومُمْساه

وأنشد غيره[١٢٦]: (رجز)

١ - لا تأويا للعيس وادلواها

٢ فإنها إنْ سلمت قواها

٣ - بعيدةُ المُصْبح من مُمْساها

وقال سابق البربري[١٢٧]: (بسيط)

أموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها

والنفس تكْلف بالدُنيا وقدْ علمتْ أنّ السلامة منها تركُ ما فيها

قسْ بالتجارب أغفال الأمور كما تقيس نعْلاً بنعْل حين تحذوها

وقال سويد بن أبي كاهل[١٢٨]: (البسيط)

أما القطاة فإني سوف أنعتها نعتاً يوافق نعتي بعض ما فيها

ويذكرون أن علياً رحمه الله تمثل بهذين البيتين[١٢٩]: (الرجز)

١ - هذا جناي وخياره فيه

٢ - اذ كل جان يده إلى فيه

وكان الخليل يزعم أن الرّس يحتاج إليه وهو حركة الحرف الذي قبل ألف التأسيس. وما قبل الألف في (منا)[١٣٠] لا يكون إلا مفتوحاً ولا يقدر في الإنسان على أن يكسر ما قبل الألف ولا أن يضمّه. فلما لم يكن إلا ذلك لم يحتج إلى ذكره.

تم الكتاب

قال أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي:

هذا ما نقلته من خط المبرّد وكتبه هو من خط المازني وكان يلقب بسهكل ويلقب المبرد حابان وثعلب عَوْهَم.

كلمة واجبة: من حَقّ محقق كتاب «الفصوص» علينا أن نقول: إن تخريج الشواهد الشعرية في عملنا هذا وكثيراً من التعليقات والحواشي التي ندرجها تالياً. هي في مجملها من عمله كما جاءت في هوامش الجزء الخامس من الكتاب. وقد قمنا بترحيلها إلى هذا العمل كما جاءت عنه. ولم نضف إليها أو نعدل فيها إلا حيثما اقتضى الأمر ذلك. وهي تعديلات وإضافات لبعض الجوانب التي كان سببها في تنديرنا السهو وانتقال النظر. ولم ننقل هذه الحواشي والتعليقات ولم نعتمد تخريجاته للشعر والرجز إلا عن قناعة بأن عمله في التعليق عليها وتوثيقها جاء كاملاً. وأن ما يمكن أن نضيفه إليه لن يجعل من الخطأ صواباً أو الممنوع جائزاً. ولن يقلل من شأن جهده الذي بذله. فالفضل في هذا الجانب من عملنا له وحده والعرفان بجميله والاعتراف بحقه مطلب تفرضه الأخلاق وتوجبه الأمانة.



الهوامش والتعليقات

(١) مطلع معلقة امرئ القيس في ديوانه ص٨.

(٢) هو لسويد بن أبي كاهل اليشكري في ديوانه ص ٢٨، والمفضليات ص ١٩٥.

(٣) لزهير بن أبي سلمى في ديوانه = شرح ديوان زهير ص ٣٠٠، والرواية فيه: لم تقصر.

(٤) الشاهد مجهول القائل.

(٥) البيتان لعبيد بن الأبرص في ديوانه ص٢٣.

(٦) الرجز لخالد بن زهير الهذلي في ديوان الهذليين ١/١٦٥.

(٧) البيت لامرئ القيس في ديوانه ص ٥٦

(٨) سبق تخريج البيت في الهامش رقم (١).

(٩) البيت لطرفة بن العبد البكري في ديوانه ص ١٣٧.

(١٠) الشاهد لجرير في ديوانه ١/٢٧٨، ورسم الكلمة فيه، الخيام بلا إشباع.

(١١) الرجز لأبي النجم العجلي في ديوانه ص ١٦٨.

(١٢) البيت من معلقة لبيد بن ربيعة في ديوانه ص ٢٩٧.

(١٣) البيت بلا نسبة في كتاب سيبويه ١/٣١، وخزانة الأدب ٢/٤٠٠، وانظر: معجم شواهد النحو الشعرية الشاهد رقم (٢٠٥٣) ومصادره هناك.

(١٤) البيت من أبيات أخر تنسب لغير واحد من الشعراء، فهي لعبد الله بن معاوية في ديوانه ص٥١، نقلاً عن الحماسة البصرية ٢/٥٩ وفي هامشها أن الأبيات لصالح بن عبد القدوس، كما تنسب للزبير بن عبد المطلب ولحسان بن ثابت ولبعض حكماء العرب، ولآخر لا يعرف اسمه من الشعراء، وقد استقصى ذلك كله عبد الحميد الراضي الذي جمع شعر عبدالله بن معاوية ونشره فانظر تخريجها في ديوان عبدالله بن معاوية الذي نشر باسم: شعر عبدالله بن معاوية ص٥١.

(١٥) البيت لرؤبة بن العجاج في ديوانه ص ١٠٤.

(١٦) المصدر السابق.

(١٧) المصدر السابق.

(١٨) البيتان للنابغة الذبياني في ديوانه ص ١٤٧.

(١٩) الرجز لم يعرف قائله.

(٢٠) لا يعرف قائله.

(٢١) هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب من أكابر النحاة، أخذ علومه عن أبي عمرو بن العلاء وغيره من أساطين اللغة والقراءة، وتتلمذ عليه جماعة من كبار العلماء، منهم سيبويه والكسائي والفراء، وكانت حلقته في التدريس قبلة طلاب العلم والأعراب الفصحاء، عمّر طويلا، وفي سنة وفاته خلاف، فقيل ١٥٢هـ، وقيل ١٨٢هـ، وقيل غير ذلك. (انظر في ترجمته: نزهة الألباء ص٤٩، وانباه الرواة ٤/٦٨، وللدكتور أحمد مكي الأنصاري دراسة وافية عن الرجل بعنوان: يونس البصري: حياته وآثاره ومذاهبه، وللدكتور حسين نصار بعنوان: يونس بن حبيب).

(٢٢) الرجز لجواس بن هريم كما في الموشح ص١٣، وهو بلا نسبة في: الحيوان ٦/٨ والعمدة ١/١٦٦، والكافي للتبريزي ص ١٦١، وجمهرة اللغة ٢/٨٧٩، ولسان العرب «صدغ» و«صدخ»، وهو لابن العجاج (ولعله) رؤبة في قوافي الأخفش ص٥٤، ولرؤبة ابن العجاج صراحة في القوافي للتنوخي ص١٢١، والقلب والإبدال لابن السكيت ص٣٤، ولم نجده في ديوان رؤبة.

(٢٣) الرجز في القوافي للتنوخي ص١٢٢ بلا نسبة، والثاني منهما في اللسان «عطط» برواية: كأن تحت درعها المنعط لأبي النجم.

لذا أثبت له من أرجوزة في ديوانه ص١٣٠.

(٢٤) الأبيات لأبي ميمون النضر بن سلمة العجلي في القلب والإبدال لابن السكيت ص٩. والثاني والثالث منها له أيضاً في عيون الأخبار ١/١٥٦ من أرجوزة طويلة، وكتاب الإبل للأصمعي ص٢٠٨، وخلق الإنسان لثابت ص٢٢٠. وبلا نسبة في اللسان «نقا» وعن ابن برّي أنهما مع البيت الأول لأبي ميمون النضر بن سلمة. والثاني والثالث منها في المخصص ١٠/١٧٥، وتهذيب اللغة ١٢/٤٥٠ بلا نسبة.

(٢٥) قول مشهور في كتب النحو تسوقه شاهداً على الجر بالمجاورة، وقد تحدثنا عنه بإفاضة في بحثنا الموسوم بـ «الحمل على الجوار بين القبول والاعتراض» فانظره ثمة.

(٢٦) البيتان للعجّاج في ديوانه ص ١٥٨ ، ١٥٩.

(٢٧) البيتان لعمرو بن الأيهم التغلبي في الموشح ص ٧ برواية بني سليم، وهما في اللسان «سند»، والقوافي للأخفش ص ٥٩ بلا نسبة، والرواية: بني عقيل.

(٢٨) سبق تخريج البيت في الهامش رقم (١٥).

(٢٩) سبق تخريج البيت في الهامش رقم (١٧).

(٣٠) يقصد بهذا أن تكون الكلمة قافية في بيت، ثم تأتي الكلمة نفسها قافية في بيت تالٍ له مباشرة.

(٣١) البيتان للنابغة الذبياني من قصيدة في ديوانه ص ١٩١- ١٩٢. ويساقان في كثير من كتب الأدب والبلاغة شاهداً على تعليق معنى البيت في القصيدة الواحدة بالبيت الذي يليه، والثاني منهما في ديوانه برواية: أتينهم بوُدّ الصدر مني.

(٣٢) البيتان للحطيئة في ديوانه ص ٢٢٠ ورواية الأول منهما فيه:

فبالظَرْف نالا خير ما أصبحا به وما المالُ إلا بالتقلّب والظَرْف

(٣٣) لعل من المفيد أن نذكر هنا أن المازني لم يذكر (مفاعِلُنْ) ضمن قوافي المتدارك، ولا (فَعِلاتن) ضمن قوافي المتواتر، ولا (مفَاعيلْ) ضمن قوافي المترادف، وقد ذكرها الأخفش في قوافيه، وما هذا إلا دليل على رفض المازني لها كما علق محقق الكتاب الأم. (تراجع الهوامش ذات الأرقام ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٩ من كتاب الفصوص ٥/١٧٩-١٨٠).

(٣٤) يغلب على الظن أن البيت لعنترة العبسي من قصيدة تناثرت فلم تحفظ لنا المصادر منها غير بيتين ساق أبو عبيدة أحدهما في كتاب الخيل ص٤٩، وساق الثاني ابن منظور في لسان العرب «ضبح»، وهما لهذا في صلة ديوان عنترة ص ٣٣٣، وذكره لاسم «عبلة» مرخماً في البيت يعضد هذا الظن.

(٣٥) البيت لم ينسب إلى قائل، والعينيات من قصائد الرثاء في الشعر العربي كثيرة جداً، ولكني أقدر أن البيت من مرثية سعدى بنت الشمردل الجهنية لأخيها، وهي من اختيارات الأصمعي وابن الشجري وابن طيفور في بلاغات النساء، ومطلعها:

أمن الحوادث والمنون أروّع وأبيتُ ليلي كله لا أهجع

ولكن البيت لم يرد فيما ذكروه من القصيدة.

(٣٦) البيت من معلقة امرئ القيس في ديوانه ص ١٨.

(٣٧) البيت لأبي كبير الهذلي في ديوان الهذليين ٢/٩٢ والرواية فيه: جلد من الفتيان غير مُهَبَّل.

(٣٨) البيت غير منسوب، ولعله من قصيدة سعدى الجهنية التي سبق التعليق عليها في الهامش رقم (٣٥).

(٣٩) البيت للمتنخل الهذلي في ديوان الهذليين ٢/١٩ والرواية فيه: بهن وحدي.

(٤٠) لم أعثر على قائل البيت، ولم أجده في أيّ من مصنفات العروض التي وصلت إليها

(٤١) بياض في الأصل بمقدار كلمة.

(٤٢) البيتان لجرير في ديوانه ٢/٨١٢.

(٤٣) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص٩٤.

(٤٤) البيت من غير نسبة في القوافي للتنوخي ص ١١٦. والرواية فيه: صولتي إن ترومني. وهو لزيد بن عبد ربه، وقيل ليزيد بن الحكم الثقفي في أمالي ابن الشجري ١/١٧٦، ١٧٧ من قصيدة عدة أبياتها أحد عشر بيتاً. وفي أمالي القالي ١/٦٨ من قصيدة في سبعة عشر بيتاً. وفي خزانة الأدب في سبعة وعشرين بيتاً عن أبي علي الفارسي في المسائل البصريات، وقد نسبت القصيدة ومنها البيت في بعض الأقوال لطرفة بن العبد وليست في ديوانه ولا في زياداته. والمجمع عليه عند رواة الشعر أنها ليزيد بن الحكم التغلبي (انظر. هوامش سمط اللآلي ١/٢٣٧-٢٣٨ والمقاصد النحوية في هامش خزانة الأدب ١/٨٧).

(٤٥) لم نعثر على قائل البيت.

(٤٦) البيتان لرؤبة بن العجاج في ديوانه ص٧٩.

(٤٧) البيت لابن مقبل في ديوانه ص١٦٨ وروايته فيه: أصحاباً تركتهم.

(٤٨) ينسب البيت لضرار بن الأزور وهو من أبيات الكتاب لسيبويه ٤/ ٢١٤. وانظر بقية التخريج في معجم شواهد النحو الشعرية، الشاهد رقم (٢٨٣١).

(٤٩) البيت لا يعرف قائله.

(٥٠) البيت لعنترة بن شداد من معلقته في الديوان ص ١٨٣.

(٥١) الشاهد مطلع معلقة لبيد بن ربيعة وتمامه. بمنى تأبد غولها فرجامها. وقد سبق تخريجه في الهامش رقم (١٢).

(٥٢) سبق تخريجه في الهامش رقم (٤٢).

(٥٣) سبق تخريجه في الهامش رقم (٤٧).

(٥٤) سبق تخريجه في الهامش رقم (٤٢).

(٥٥) يعني الضمير المتصل بهاتين الكلمتين وما أشبه ذلك.

(٥٦) البيتان لرؤبة بن العجاج في ديوانه ص ١٦٥.

(٥٧) البيتان ومعهما ثالث في قوافي الأخفش ص ٨٢، ٨٣ بلا نسبة. وهما أيضاً في القوافي للتنوخي ص ٨٠، والعقد الفريد ٥/٥٠٣ بلا نسبة. والثاني منهما مع آخر في اللسان «رجس» لسعد بن المنتحر البارقي، والثاني أيضاً مع آخر في اللسان «رجس» بلا نسبة، وهو مع آخر في اللسان «مرجس» لسعد بن المنتحر البارقي. نقلاً عن المؤرج. ولعله المؤرج السدوسي.

(٥٨) البيتان في القوافي للتنوخي ص ٧٣. والعقد الفريد ٥/٥٠٣ بلا نسبة.

(❖) البيتان لحكيم بن معية في الموشح ص ١٥ وبلا نسبة في الخصائص ١/٢٩١. واللسان «نتأ» و«قنف» و«خلا». وانظر معجم شواهد النحو الشعرية الشاهد رقم (٣٧٥٠).

(٥٩) كذا في الأصل. والوجه عندي أن يقال: أي تجعل البيتين.

(٦٠) البيت لعجاج في ديوانه ص ٢٩٥. وانظر: معجم شواهد النحو الشعرية. الشاهد رقم (٢٦٣٤).

(٦١) عجز بيت للنجاشي الحارثي وصدره: فلست بآتيه ولا أستطيعه. وهو من شواهد كتاب سيبويه. وانظر. معجم شواهد النحو الشعرية. الشاهد رقم (٢٣٠٩).

(٦٢) الأبيات بلا نسبة في القوافي للأخفش ص ٨٤ وروايتها: إني لمن ينكرني. وهي في القوافي للتنوخي ص ٨١ برواية: إن تنكروني فأنا. وواضح منها ان قائلها راجز يكنّى «ابن اليثربي». ومن تاريخ ابن الأثير الطبري عرف أن اسمه عمرو بن اليثربي الضبّي. وقد قال هذا الرجز في «يوم الجمل» وسمى أحمد راتب النفاخ محقق كتاب القوافي للأخفش في هامش الصفحة (٨٤) أسماء الذين قتلهم في ذلك اليوم وهم: علباء بن الهيثم السدوسي. وهند بن عمرو الجملي. وزيد بن صوحان العبدي.

(٦٣) البيتان في تاريخ دمشق ٧/٢٠ لسابق البربري وهما في القوافي للأخفش ص ٨٩. والثاني منهما في القوافي للتنوخي ص٧٧ بلا نسبة أيضا.

(٦٤) البيتان لزهير بن أبي سلمى في ديوانه. الأول منهما ص ٢٨٤ والثاني ص ٢٨٥. وقال ثعلب شارح الديوان ص ٢٨٤. وزعم

بعضهم، أن البيتين في قصيدة لصرمة بن أبي أنس الأنصاري ومثله قال: الأصمعي وأبو رياش.

(٦٥) لم نعثر على قائل البيتين. والأول منهما بلا نسبة في اللسان «شها».

(٦٦) الأبيات للعجاج في ديوانه ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(٦٧) البيتان في ديوانه الأول ص ٦١ والثاني ص ٦٥

(٦٨) البيت لطرفة بن العبد في ديوانه ص ٨١.

(٦٩) البيت لطرفة بن العبد في ديوانه ص ٨٤.

(٧٠) البيتان لأبي خراش الهذلي في ديوان الهذليين ٢/١٤٤، ١٤٧.

(٧١) البيت لأمية بن أبي عائذ الهذلي في ديوان الهذليين ٢/١٨٨.

(٧٢) لم نعثر على قائل البيت.

(٧٣) البيت لزيد الخيل الطائي في ديوانه ص ٢٠٠.

(٧٤) لطرفة بن العبد في ديوانه ص ٤٤.

(٧٥) لم نعثر على قائل البيتين في المصادر التي وصلنا إليها.

(٧٦) البيت لكعب بن مالك الأنصاري في ديوانه ص ٢١٦.

(٧٧) ينسب البيتان لعلي بن أبي طالب ولأبي جهل بن هشام، فهما لعلي بن أبي طالب في ديوانه ص ٥٩، واللسان «نقم». ولأبي جهل في القوافي للأخفش ص ٥٣، ٥٥، وأمالي ابن الشجري ١/٢٧٦، وخزانة الأدب ٤/٥٣٢، واللسان «بزل»، «سنن»، «عون» وبلا نسبة في المقتضب ١/٢١٨، وانظر: معجم شواهد النحو الشعرية، الشاهد رقم (٣٦٩٦).

(٧٨) الأبيات من مقطوعة لسلمان أو سُلمى بن ربيعة الضبي في النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري ص ١٢٠-١٢١، وشرح الحماسة للمرزوقي ص ٥٤٦، ٥٥١، وأمالي القالي ١/٨١، وهي لعلباء بن أرقم في الأصمعيات ١٦١-١٦٢، وانظر مصادر أخرى لها في سمط اللآلي ١/١٧٣، ٢٦٧، وفي رواية بعض ألفاظها اختلاف.

(٧٩) البيتان لأبي النجم العجلي في ديوانه ص ٧٥.

(٨٠) ❖ هذا البيت والذي يليه من قصيدة واحدة كما يفهم من قوله: وقال فيها، ولكنا لم نجد هذا البيت في القصيدة الثانية للطرماح والموجودة في ديوانه ص ١٩-٤٤، وقد جاء البيت الثاني مطلعاً لها في ديوانه ص ١٩.

(٨٠) ❖❖ نسبت هذه اللغة في المصادر التراثية إلى طيء وحمير، انظر، شرح المفصل ٩/٨١، ولسان العرب «ها».

(٨١) ينسب هذا البيت لأكثر من قائل، فهو لعبيد الله بن ماوية الطائي في اللسان والصحاح «نتر» وهو في المقاصد النحوية ٤/٥٥٩ لعبيد الله أو فدكي بن أعبد المنقري، وهو لبعض السعديين في كتاب سيبويه، ومن غير نسبة في كثير من المصادر. وانظر مزيداً من المصادر في معجم شواهد النحو الشعرية، الشاهد رقم (٢٤١٣).

(٨٢) البيت لزهير بن أبي سلمى في شرح ديوانه ص ٢٨٦.

(٨٣) البيت لرؤبة بن العجاج في ديوانه ص ٨٤.

(٨٤) البيتان في ديوانه ص ٧٩.

(٨٥) المصدر السابق ص ٨٠.

(٨٦) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) صاحب كتاب «مجاز القرآن» من كبار العلماء في الأدب واللغة ومن حفاظ الحديث، ولكنه كان مُتَّهماً بالشعوبية متحاملاً على العرب وقد نسب له تأليف كتاب في «مثالب العرب». (انظر في ترجمته: تاريخ بغداد ١٣/٢٥٢، وانباه الرواة ٣/٢٧٦-٢٨٧، ومصادر ترجمته في هوامشه.

(٨٧) سبق تخريج البيتين في الهامش رقم (٧٧).

(٨٨) لسويد بن أبي كاهل اليشكري وسبق تحريجه في الهامش رقم (٢).

(٨٩) البيت من قصيدة للمرقش الأكبر في المفضليات ص ٢٣٨.

(٩٠) هذا البيت والأبيات الثلاثة التي تليه نسبها الأخفش في كتاب القوافي ص٩٢ لعدي بن زيد العبادي، ولم أجدها في ديوانه. وقد جاء أحدها في اللسان «خيل» من غير نسبة.

(٩١) البيتان للعجاج في ديوانه ص ٣٥٤، والرواية فيه: يعْكُفن به. والفنزج كما في اللسان «فنزج» رقص المجوس. وفي الصحاح: رقص العجم إذا أخذ بعضهم يد بعض وهم يرقصون ثم استشهد بقول العجاج هذا.

(٩٢) البيتان لأبي النجم العجلي في ديوانه ص ٢١١.

(٩٣) قال محقق كتاب النصوص ٥/٢٠٨: لعله يقصد بـ «الخاتم» و«المعلم» و «العالم» و«الأكرم» ما اعتاد علماء القوافي الاستشهاد به من قول العجاج:

عند كريم منهم مكرم
معلم آي الهدى معلم
مبارك للأنبياء خاتم
فخندف هامة هذا العالم

إلا أن الرواية في ديوان العجاج ص ٢٩٩ «مكرم» لا «الأكرم» والعجاج يهمز «خاتم» و«العالم» وعلى رواية الهمز لا شاهد هناك.

(٩٤) سبق تخريجها والحديث عنها في الهامش رقم (٦٤).

(٩٥) البيتان لجرير في أم نوح ابنه وهي أم حكيم في ديوان جرير ص ٥٦٥، والرواية في الديوان:

إذا عرضوا الخمسين منها تعرضتْ   لأمِّ حكيم حاجةٌ في فؤاديا
لقد زدتِ أهل الري عندي ملاحة   ....

(٩٦) سبق تخريجها في الهامش رقم (٩١).

(٩٧) سبق تخريجها في الهامش رقم (٩٢).

(٩٨) ❖ البيتان لرؤبة بن العجاج في ملحق ديوانه ص ١٨٥، والثاني منهما من شواهد الكتاب لسيبويه. وانظر مصادرهما في معجم شواهد النحو الشعرية، الشاهد رقم (٣٦٠٥).

(٩٨) ❖❖ يعني باللغة هنا أن «جلل» من الأضداد، فهي بمعنى «عظيم» عند بعض العرب، وهي بمعنى «حقير» عند آخرين، ولا يقصد باللغة هنا اللهجة، أي طريقة نطق الكلمة. (انظر: الأضداد لقطرب رقم (٤) والأضداد لابن الأنباري رقم (٥٢).

(٩٩) يقصد هنا اللهو والمرح وغير ذلك من الأمور التي ينشغل بها الشعراء من الوقوف على الأطلال وتذكر المحبوبة وما جرى لهم مع صاحباتهم وغير ذلك.

(❖❖) لما كان الخلاف كبيراً بين المازني وغيره ممن ألف في القوافي وعللها، وجدت من الأمانة وزيادة في الفائدة، أن أنقل فيما بعد كثيراً من التعليقات التي ذكرها محقق كتاب النصوص، كما جاءت عنه والإشارة إليها بما يميزها عن غيرها مما وضعناه بعبارة: «قال المحقق» بدءاً من الهامش رقم (١٠٠).

(١٠٠) قال المحقق: هذا رأي الخليل، ورأي الأخفش أن «فعلن» في المديد يكون بغير لين. (النصوص ٥/٢١٤)

(١٠١) قال المحقق: الذي أجازه بغير حرف مد هو الأخفش. (النصوص ٥/٢١٤)

(١٠٢) قال المحقق: الذي ألزمه المد هو الخليل. (النصوص ٥/٢١٤)

(١٠٣) قال المحقق: على رأي الخليل. (النصوص ٥/٢١٤)

(١٠٤) قال المحقق: لم يذكر الخليل (مفاعيلن) في الوافر مما يلزمه الردف، ونص الأخفش على أن مجزوء الوافر لا يلزمه

اللين. (الفصوص ٥/ ٢١٤)

(١٠٥) قال المحقق. هو الأخفش. (الفصوص ٥/ ٢١٤)

(١٠٦) قال المحقق: هذا رأي الخليل والأخفش أيضا حيث لم ينص أي منهما على إلزامه اللين. (الفصوص ٥/ ٢١٥)

(١٠٧) قال المحقق: وهذا رأي فريد. لأن الأصل «متفاعلن لا «متفاعلاتن». لذلك لم يعتبر أي عروضي غير المازني هنا أن «متفاعلن» محذوف من «متفاعلاتن» ولا أحد ألزمه اللين غيره. (الفصوص ٥/ ٢١٥)

(١٠٨) قال المحقق: وهذا رأي الخليل فلم يؤثر عنه إلزامه المد. أما الأخفش فقد فصّل حيث جعل من يعتبره مجزوءاً لا يلزمه اللين. ومن يعتبر «فعولن» ناقصة من «مفاعيلن» ليس بمجزوء ألزمه اللين، وقال: وينبغي أن يكون مجزوءاً. فهو إذن لا يلزمه اللين. (الفصوص ٥/ ٢١٥)

(١٠٩) قال المحقق: وهو رأي الخليل والأخفش. (الفصوص ٥/ ٢١٥)

(١١٠) قال المحقق: هو رأي الخليل والأخفش أيضاً. (الفصوص ٥/ ٢١٥)

(١١١) قال المحقق. وهو رأي الأخفش أيضاً. (٥/ ٢١٥)

(١١٢) قال المحقق: المقصود بقوله الآخر: كل من يرفض فكرة الدائرة حيث تعتبر «فاعلان» غير محولة عن أصل في الدائرة. (الفصوص ٥/ ٢١٦)

(١١٣) قال المحقق. وهو رأي الأخفش أيضاً. (الفصوص ٥/ ٢١٦)

(١١٤) قال المحقق: لم يلزمه المد أيُّ عروضي. (الفصوص ٥/ ٢١٦)

(١١٥) قال المحق. وذلك رأي الخليل والأخفش أيضاً. (الفصوص ٥/ ٢١٦)

(١١٦) قال المحقق: وهذا رأي الخليل. أما الأخفش فلا يلزمه اللين. (الفصوص ٥/ ٢١٦)

(١١٧) قال المحقق: وهو رأي الخليل أيضاً. (الفصوص ٥/ ٢١٧)

(١١٨) البيتان لامرئ القيس في ديوانه ص٢٠٧. والرواية فيه: بعثت النس ..... وهناً.

(١١٩) الأبيات في القوافي للأخفش ص١٠٧، والخصائص ٢/ ٢٤٩، ٣/ ٢٥٣ بلا نسبة رواية عن أبي الحسن الأخفش. وهي أيضاً في المنصف ٣/ ٦٩ والقوافي للتنوخي ص٦٢ بلا نسبة. وقد ذكر الأستاذ أحمد راتب النفاخ مصادر أخرى للأبيات غير ما ذكر انظرها في هامش القوافي للأخفش بتحقيق النفاخ ص ١٠٧، ١٠٨.

(١٢٠) البيت لجرير بن عبدالله البجلي كما نسبه المعري في الصاهل والشاحج ص ٤٦٦ وهو بلا نسبة في القوافي للأخفش ص١٠٨.

(❖) كلمة وضعناها يقتضيها السياق.

(١٢١) هذا اللقب لأبي عثمان المازني مما لم نجده في ترجمته ولا في أخباره التي وقفنا عليها في المصادر المختلفة.

(١٢٢) لم نعثر على ترجمة أو تعريف بهذا الرجل، ولا نعرف ما اسم كتابه الذي نقل المازني بعضاً منه.

(١٢٣) الأبيات في ديوان رؤبة ص١٦٥. وقد سبق تخريج البيتين الأولين في الهامش رقم (٦٥).

(١٢٤) «مكوزة» من الأعراب الذين دخلوا الحاضرة كما أفاد القفطي في إنباه الرواة ٤/ ١٢٠. وقد ذكره تحت الرقم (٨٧٧) وذكر أبا الغمر واسمه العلاء بن بكر تحت الرقم (٨٧٨) بما يفيد أنهما ليسا شخصاً واحداً كما جاء عن المحقق في هامش الصفحة (٢١٩). وانظر: الفهرست ص٥٢. وقد تحدث الدكتور عبد الحميد الشلقاني عن الاسمين في كتابه الأعراب الرواة ص٢١٦ بما يغني عن الإعادة.

(١٢٥) لم نهتد إلى قائل البيتين.

(١٢٦) الأبيات لزفر بن الخيار المحاربي في تهذيب إصلاح المنطق ٢/ ١٣-١٤ واللسان «نبل». وهي إصلاح المنطق ص٢٣١ بلا نسبة، والأول منها مع آخر في تهذيب اللغة ١٥/ ٣٦٠ بلا نسبة.

(١٢٧) سبق تخريج الأبيات في الهامش رقم (٦٣).

(١٢٨) نسب المازني البيت لسويد بن أبي كاهل ولم أجده في ديوانه. وقد ورد البيت مع عدة أبيات قالها شاعر في وصف القطاة وتنازع القصيدة التي منها البيت عدد من الشعراء، هم: أوس بن غلفاء الهجيمي والعجير السلولي وعمرو بن عقيل بن الحجاج الهجيمي والعباس بن يزيد بن الأسود الكندي وسويد بن أبي كاهل. وقد تحدث النويري في نهاية الأرب ٢٦٢/١٠ عن هذه النسب المختلفة مرجحاً مع أبي الفرج الأصفهاني أنها لعمرو ابن عقيل بن الحجاج، كما نقل جامع شعر العجير السلولي هذه الأقوال المختلفة وقدم بها القصيدة الموضوعة فيما ينسب للعجير ولغيره من الشعراء في شعر العجير الذي نشره في مجلة المورد (المجلد٨) العدد (١) سنة ١٩٧٩م.

(١٢٩) نسب البيتان لعمرو بن عدي اللخمي في معجم الشعراء ص١٠. ومجمع الأمثال ٢٩٧/٢ وهما في عيون الأخبار ٥٣/١ مما تمثل به علي بن أبي طالب، وهما في القوافي للأخفش ص٦٩ بلا نسبة.

(١٣٠) قال المحقق: لعله يقصد بـ «منا» قول ذي الرمة: (ديوانه ص٤٩١)

خليلي عوجا من صدور الرواحل بوعساء حزوى فابكيا في المنازل

او قول النابغة الذبياني (ديوانه ص٢٠٧)

دعاك الهوى واستجهلتك المنـازل وكيف تصابي المرء والشيبُ شامل

وقد استشهد التبريزي بالأول في القوافي ص٢٢٨ والتنوخي بالثاني في القوافي ص٧٧ على ألف التأسيس. (الفصوص ٢٢١/٥).

فهرس قوافي الشعر

❖ رتبنا القوافي في هذا الفهرس وفق حركاتها، فقدمنا الضم ثم الفتح ثم الكسر ثم السكون. وجعلنا عقب كل منها ما وصل بهاء المذكر ثم بهاء المؤنث.

قدر	الرجز	؟	١٦٤
النقر	=	عبيد بن ماوية الطائي	١٧٠
عمر	مشطور السريع	جرير بن عبدالله البجلي	١٧٦
		(السين)	
بغلس	منهوك الرجز	؟	١٦٠
غرس		؟	١٦٠
وعس	=	؟	١٦٠
يمس	=	؟	١٦٠
		(الصاد)	
توصه	المتقارب	حسان بن ثابت أو عبدالله بن معاوية	١٥٩
		(الضاد)	
تقضي	الرجز	رؤبة بن العجاج	١٧١-١٦٤
بعضا	=	=	١٧١-١٦٤
مرضي	=	=	١٧١
العضِ	الطويل	طرفة بن العبد	١٥٩
		(الطاء)	
المنعط	الرجز	أبو النجم العجلي	١٦١
الرياط	الوافر	المتنخل الهذلي	١٦٣
منشط	الرجز	رؤبة بن العجاج	١٧١
		(العين)	
يجزع	الكامل	؟	١٦٣
مودع	=	؟	١٦٣
منتزع	الرمل	سويد بن أبي كاهل	١٧١-١٥٨
صدع	الرجز	رؤبة بن العجاج أو جواس بن هريم	١٦١
صتع	=	=	١٦١
صنع	البسيط	تميم بن أبي بن مقبل	١٦٥-١٦٤
		(الفاء)	
الطوف	طويل	الحطيئة	١٦٢
أخفي	=	=	١٦٢
		(القاف)	
المخترق	الرجز	رؤبة بن العجاج	١٦٢-١٦٠
فنق	=	=	١٦٠
الحمق	=	=	١٦٠

فهرس المصادر والمراجع

- الإبل للأصمعي، نشر ضمن كتاب «الكنز اللغوي في اللسن العربي» نشره وعلق حواشيه الدكتور أوغست هفنر، بيروت ١٩٠٣م.
- الأزمنة وتلبية الجاهلية لقطرب، تحقيق: الدكتور حنا جميل حداد، نشر دار المنار بالزرقاء/الأردن ١٩٨٥م.
- إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقي اليماني، تحقيق: الدكتور عبد المجيد دياب، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض ١٩٨٦م.
- إصلاح المنطق لابن السكيت، تحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط٢، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٥م.
- الأصمعيات للأصمعي، تحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط٣، دار المعارف بمصر ١٩٦٧.
- الأعراب الرواة للدكتور عبد الحميد الشلقاني، دار المعارف بمصر ١٩٧٧م.
- الأمالي والنوادر لأبي علي القالي، نشر دار الكتب المصرية ١٩٢٦م، (نشرة مصورة).
- الأمالي الشجرية = أمالي ابن الشجري لأبي السعادات هبة الله بن علي، حيدر آباد الركبية ١٣٤٩هـ (نشرة مصورة).
- إنباه الرواة للقفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط١، بيروت ١٩٨٦م.
- بغية الوعاة للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مطبعة الحلبي بالقاهرة ١٩٦٤م.
- البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزآبادي، تحقيق: محمد المصري، وزارة الثقافة السورية ١٩٧٢م.
- تاج العروس للزبيدي، تحقيق: مجموعة من العلماء، الكويت ١٩٦٥-٢٠٠١م.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، نشرة مصورة عن الأصل المطبوع في القاهرة ١٩٣١م.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق ودراسة: عمر بن غرامة العمروي، ط١، بيروت ١٩٩٥-٢٠٠٠م.
- تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق: مجموعة من العلماء، القاهرة ١٩٦٤-١٩٦٧م.
- جمهرة اللغة لابن دريد، تحقيق: رمزي بعلبكي، بيروت ١٩٨٧م.
- الحمل على الجوار بين القبول والاعتراض للدكتور: حنا حداد، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد (١٠)، العدد (٢) سنة ١٩٩٢م.
- الحيوان للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، القاهرة ١٩٦٥م.
- خزانة الأدب للبغدادي، نشرة مصورة عن طبعة بولاق بالقاهرة ١٢٩٩هـ.
- الخصائص لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ط٢، نشرة مصورة، بيروت بلا تاريخ.
- ديوان ابن أحمر = شعر عمرو بن أحمر الباهلي، جمع وتحقيق: الدكتور حسين عطوان، دمشق بلا تاريخ.
- ديوان ابن مفرغ = شعر ابن مفرغ الحميري، جمعه وحققه: الدكتور داود سلوم، بغداد ١٩٦٨م.
- ديوان ابن مقبل، تحقيق: الدكتور عزة حسن، منشورات وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٢م
- ديوان ابن هرمة = شعر ابن هرمة القرشي، تحقيق: محمد نفاع وحسين عطوان، دمشق ١٩٦٩م.
- ديوان أبي حية النميري = شعر أبي حية النميري، جمعه وحققه: الدكتور يحيى الجبوري، دمشق ١٩٧٥م.
- ديوان أبي العتاهية = أبو العتاهية: أخباره وأشعاره، عني بتحقيقها، الدكتور: شكري فيصل، دمشق ١٩٦٥م.
- ديوان أبي النجم العجلي، تحقيق: علاء الدين آغا، منشورات النادي الأدبي بالرياض ١٩٨١م.
- ديوان أبي الهندي وأخباره، صنعه: الدكتور عبدالله الجبوري، النجف بالعراق ١٩٧٠م.

- ديوان الأخطل = شعر الأخطل، صنعه السكري، تحقيق: الدكتور فخري الدين قباوة، منشورات دار الأصمعي بحلب ١٩٧٠م.
- ديوان الأفوه الأودي، نشر ضمن (الطرائف الأدبية)، تحقيق: عبد العزيز الميمني، القاهرة ١٩٣٧م.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٩م.
- ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، دار صادر في بيروت ١٩٦٠م.
- ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق وشرح: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، تونس ١٩٧٦م.
- ديوان بشر بن أبي حازم الأسدي، تحقيق: الدكتور عزة حسن، دمشق ١٩٦٠م.
- ديوان تأبط شرا، جمع وتحقيق: سلمان القرنولي وجبار نعمان، النجف ١٩٧٣م.
- ديوان جرير بشرح ابن حبيب، تحقيق: الدكتور نعمان محمد أمين طه، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٩م.
- ديوان جميل بثينة، جمع وتحقيق: الدكتور حسين نصار، ط٢، القاهرة ١٩٦٧م.
- ديوان الحارث بن حلزة اليشكري، تحقيق: هاشم الطعان، بغداد ١٩٦٩م.
- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: الدكتور سيد حنفي حسنين، القاهرة ١٩٧٤م.
- ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق: نعمان أمين طه، ط١، القاهرة ١٩٥٨م.
- ديوان الخنساء، تحقيق: الدكتور أنور أبو سويلم، ط١، عمان ١٩٨٨م.
- ديوان ذي الرمة، تصحيح وتنقيح: كارليل، كمبردج/لندن ١٩١٩م.
- ديوان الراعي النميري، جمعه وحققه: راينهرت فايبرت، بيروت ١٩٨٠م.
- ديوان زهير بن أبي سلمى = شرح ديوان زهير، صنعه أبو العباس ثعلب، نشرة دار الكتب المصرية ١٩٦٤م.
- ديوان زيد الخيل الطائي = شعر زيد الخيل الطائي، صنعه الدكتور نوري القيسي، النجف بالعراق ١٩٦٨م.
- ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري، جمع وتحقيق: شاكر العاشور، البصرة ١٩٧٢م.
- ديوان طرفة بن العبد، نشر بعناية: مكس سلغسون، شالون ١٩٠١م (نشرة مصورة).
- ديوان الطرماح بن حكيم الطائي، تحقيق: الدكتور عزة حسن، دمشق ١٩٦٨م.
- ديوان عبدالله بن معاوية = شعر عبدالله بن معاوية، جمع وتحقيق: عبد الحميد الراضي، بيروت ١٩٧٦م.
- ديوان عبيد بن الأبرص، شرح وتحقيق: الدكتور حسين نصار، القاهرة ١٩٥٧م.
- ديوان العجاج، تحقيق: الدكتور عزة حسن، دار الشروق، بيروت ١٩٧١م.
- ديوان عدي بن زيد، جمع وتحقيق: محمد جبار المعيبد، بغداد ١٩٦٥م.
- ديوان عنترة العبسي، تحقيق: محمد سعيد المولوي، بيروت ١٩٧٠م.
- ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تحقيق: سامي مكي العاني، ط١، بغداد ١٩٦٦م.
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، الكويت ١٩٦٢م.
- ديوان المتلمس الضبعي، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، نشر في مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد (١٤) سنة ١٩٦٨م.
- ديوان المؤمل بن أميل المحاربي = شعر المؤمل بن أميل المحاربي، جمع وتحقيق: الدكتور حنا جميل حداد، نشر ضمن مجلة المورد العراقية، المجلد (١٧)، العدد (١) لسنة ١٩٨٨م.
- ديوان النابغة الجعدي = شعر النابغة الجعدي، جمع وتحقيق: عبد العزيز رباح، دمشق ١٩٦٤م.

- ديوان النابغة الذبياني، حققه وقدم له: فوزي العطوي، بيروت ١٩٦٩م.
- ديوان هدبة بن الخشرم = شعر هدبة بن الخشرم العذري، للدكتور يحيى الجبوري، ط٢، الكويت ١٩٨٦م.
- ديوان الهذليين، نسخة مصورة عن نشرة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٦٥م.
- سمط اللالي لأبي عبيد البكري، تحقيق: عبد العزيز الميمني، القاهرة ١٩٣٦م.
- سيبويه إمام النحاة لعلي النجدي ناصف، نشر عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٩م.
- شذرات من النحو واللغة والتراجم للدكتور حنا جميل حداد، منشورات دار حمادة، اربد ٢٠٠٦م.
- شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي، تحقيق: عبد السلام هارون وأحمد أمين، القاهرة ١٩٥١-١٩٥٣م.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٣م.
- الصحاح للجوهري = تاج اللغة وصحاح العربية، نشر بعناية: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٩م.
- الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري، تحقيق: الدكتورة عائشة عبد الرحمن، ط٢، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٠م.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي، ط١، بيروت ١٩٩٢م.
- العقد الفريد لابن عبد ربه، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، دار الكتب المصرية ١٩٤٠-١٩٦٨م.
- العمدة لابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، القاهرة ١٩٥٥م.
- عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري، نشرة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٦٤م.
- الفصوص لأبي العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي، تحقيق: الدكتور عبد الوهاب التازي سعود، منشورات وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية ١٩٩٦م.
- الفلاكة والمفلوكون للدلجي، قدمت له الدكتورة: زينب الخضيري، القاهرة ٢٠٠٢م.
- الفهرست لابن النديم، تحقيق: رضا تجدد، طهران ١٩٧١م.
- القوافي لابن جني = مختصر القوافي لابن جني، تحقيق: الدكتور حسن شاذلي فرهود، ط١، القاهرة ١٩٧٥م.
- القوافي لابن كيسان = تلقيب القوافي، نشر ضمن كتاب «جرزة الحاطب وتحفة الطالب» تحقيق: وليم رايت، ليدن ١٨٥٩، ثم أعاد نشره الدكتور إبراهيم السامرائي في مجلة الجامعة المستنصرية، بغداد، المجلد (٢) لسنة ١٩٧١م.
- القوافي للأخفش = كتاب القوافي لأبي الحسن الأخفش، تحقيق: أحمد راتب النفاخ، ط١، دمشق ١٩٧٤م.
- القوافي للتنوخي = كتاب القوافي لأبي يعلى عبد الباقي بن المحسن التنوخي، تقديم وتحقيق: عمر الأسعد ومحيي الدين رمضان، ط١، بيروت ١٩٧٠م.
- القوافي للتبريزي = كتاب الكافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي، تحقيق: الحساني حسن عبدالله، نشر ضمن مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد (١٢)، الجزء (١)، القاهرة ١٩٦٦م.
- القوافي لابن السراج الشنتريني = المعيار في أوزان الأشعار، والكافي في علم القوافي، حققه الدكتور: محمد رضوان الداية، ط٣، دمشق ١٩٧٩م.
- القوافي للمبرد = القوافي وما اشتقت ألقابها منه لأبي العباس المبرد، تحقيق: الدكتور رمضان عبد التواب، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٢م.
- الكتاب لسيبويه (١) نشرة مصورة عن طبعة بولاق بالقاهرة١٣١٦هـ وبهامشها كتاب شرح شواهد الكتاب للشنتمري.
  (٢) نشرة بتحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، بيروت ١٩٨٣م.
- لسان العرب لابن منظور الإفريقي، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ١٣٠٠-١٣٠٧هـ.

- المثلث لقطرب = مثلثات قطرب، تحقيق ودراسة ألسنية للدكتور: رضا السويسي، نشر الدار القومية للكتاب في تونس وليبيا بلا تاريخ.
- المثلث لابن السيد البطليوسي، تحقيق ودراسة: صلاح مهدي الفرطوسي، نشر وزارة الثقافة العراقية، بغداد ١٩٨١م.
- معجم الأدباء لياقوت الحموي = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، نشر بعناية: مرجليوث، نسخة مصورة عن مطبعة هندية بالقاهرة ١٩٢٣م.
- معجم الأمثال للميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٥م.
- معجم البلدان لياقوت الحموي، نشرة دار صادر، بيروت بلا تاريخ.
- معجم الشعراء للمرزباني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، القاهرة ١٩٦٠م.
- معجم شواهد النحو الشعرية للدكتور حنا حداد، ط١، دار العلوم بالرياض ١٩٨٤م.
- المفضليات للمفضل الضبّي، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط٤، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٤م.
- المقاصد النحوية للعيني، منشور بهامش خزانة الأدب، طبعة بولاق.
- المقتضب للمبرد، تحقيق: عبد الخالق عضيمه، القاهرة ١٣٨٥ - ١٣٨٨هـ.
- المنصف لابن جني، شرح التصريف لأبي عثمان المازني، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، القاهرة ١٩٥٤م.
- من نسب إلى أمه من الشعراء = تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه للفيروزابادي، تحقيق: عبد السلام هارون، نشر ضمن سلسلة نوادر المخطوطات، المجموعة الأولى، القاهرة ١٩٥١م.
- المؤتلف والمختلف للآمدي، تحقيق: عبد الستار فراج، القاهرة ١٩٦١م.
- نزهة الألباء لابن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٧م.
- نور القبس المختصر من المقتبس للمرزباني، اختصره: الحافظ اليغموري، نشر بعناية: رودلف زلهايم، فيسبادن/ألمانيا ١٩٦٤م.
- وفيات الأعيان لابن خلكان، حققه الدكتور إحسان عباس، دار صادر في بيروت ١٩٧٨م.